

# مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

العدد الأول – السنة العاشرة – جمادى الآخرة ١٣٩٢ هـ – مايو يونية ١٩٧٢ م

# الجامعة الإسلامية

مجلة تصدر اربع مرات فى السنة
من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة





المراسلات المتعلقة بالتحرير ترسل الى
الجامعة الاسلامية ـ المدينة المنورة
العلاقات العامة

ISLAMIC UNIVERSITY MADINA
PUBLIC – RELATIONS

# «المجلـة»

# فى عامها العاشر

نحمد الله على آلائه ونسأله أن يصلي ويسلم ويبارك على أفضل رسله وخاتم انبيائه نبينا محمد وعلى آله واصحابه ومن سار على نهجه الى يوم الدين .

أما بعـــد :

فبهذا العـــدد دخلت المجلة عامها العاشر مخلفة وراءها تسعة أعوام من عمـــرها تضمنت اعدادها الستة والثلاثون مقالات جيدة وبحوثا مفيدة في جوانب مختلفة في الثقافة الاسلامية وتعتبر هذه المجلة جزءاً مما تؤدى به الجامعة رسالتها في تبليغ الدعـــوة الإسلامية والحت على اتباع طريقة السلف الصالح في السير على نهج الكتاب العزيز والسنة المطهرة واعتبارهما مصدر كل خير وأساس كـــل صلاح واصلاح وانه لا سعادة في الدنيا ولا فلاح في الآخـــرة الا في الاستضاءة بنورهما وامتثال أوامرهما واجتناب نواهيهما .

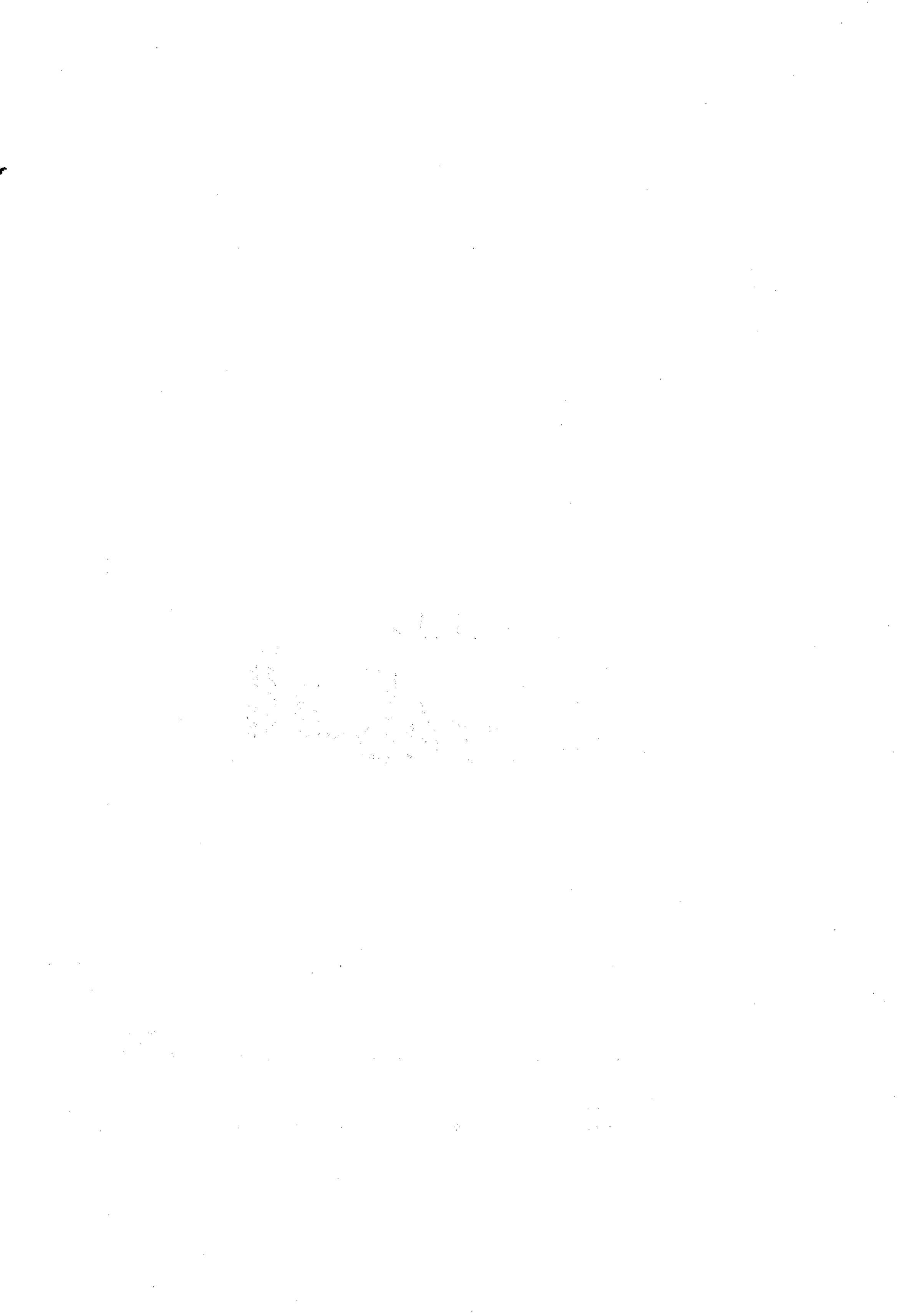
ونأمل أن يجد القراء في مستقبل أيام هذه المجلة تحولا من حسن إلى أحسن ومن جيد إلى أجـــود وأن يكون نفعها عظيما وفائدتها شاملة .

نائب رئيس الجامعة الإسلامية

عبد المحسن بن حمـــد العباد

# دراسات في

# القرآن وعلومه



# نظرات في كتاب الله الكريم

لفضيلة الشيخ حسين محمد المصري

كانت مهمة القرآن الكريم والتشريع السماوى الحكيم إبان توالى نزول الآيات البينات – تركيز العقيدة السليمة في نفوس الناس ثم بناء الأحكام والتشريعات على العقيدة الحقة .

وهذا الاسلوب الحكيم نجده واضحا في سياق سورة الحج التى اختتمها سبحانه بقولـه :

« يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير . »

وقد تضمنت سورة الحج امرين هامين أحدهما يتعلق بالله جل جلاله وثانيهما يتعلق بالرسل عليهم الصلاة والسلام ، وهذان الأمران هما أساس العقيدة السليمة الصحيحة ، وجاءت الآيتان الكريمتان اللتان اختتمت بهما هذه السورة بمثابة النتيجة الصحيحة لهذه المقدمات التى اثبتت العقائد بأسلوب حكيم يخاطب القلب والعقل .

والأمر الأول الذى ركزت عليه السورة الكريمة هو إثبات وجود الله سبحانه وقدرته المطلقة التى لا تحدها حدود ، فهو القادر على أن يعيد الناس يوم البعث ليحاسبهم على ما قدموا في هذه الدنيا من خير أو شر ، ويسير في التدليل على ذلك بتوضيح وإطناب يتناسب مع حال المنكرين للإلوهية والبعث .

« يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من

نطفة . . الآيات ثم تخلص الآيات الكريمة من ذلك الى نتائج حتمية ، وعقائد لا بـــد أن تستقر في القلب نتيجة الاقتناع المنطقى السليم .

« ذلك بأن الله هو الحق ، وأنه يحيى الموتي ، وأنه على كل شئ قدير . . »

« وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور »

ويسوق سبحانه أدلـــة أخرى لتركيز العقيدة ثم يتبعها بالنتائج الثابتة

« ذلك بأن الله هو الحق ، وأن ما يدعون من دونه هـــو الباطل ، وأن الله هو العلى الكبير »

ثم يعدد تعالت اسماؤه آيات قدرته ومظاهر رحمته في ثنايا أدلة وحدانيته

« ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة . . »

« ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجرى في البحر بأمره »

ثم ينكر عليهم عبادة غيره مع وضوح هذه الأدلة وكثرتها فيقول سبحانه

« ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً وما ليس لهم به علم ومـــا للظالمين من نصير »

ثم يبين أن هذا الغير الذى يتجه إليه الضالون بالعبادة والتقديس ضعيف غاية الضعف لا يقوى على خلق ذبابة بل وأكثر من ذلك ضعفا أنه اذا سلبه الذباب شيئا لا يستطيع استرداده فهو إذن أضعف من الذباب فكيف يعبد هذا الضعيف من دون الله القوى القادر .

« يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب » .

أما الأمر الثاني ، وهو مترتب على الأول ، فهو إثبات نبوة الأنبياء ، ورسالة الرسل عامـــة لتدخل فيها رسالة نبينا المصطفى عليه الصلاة والسلام دخولا أوليا فيقول سبحانه

« الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير »

فقد أخذ سبحانه العهد على نفسه تفضلا ورحمة ، أن يبين للناس طرق الخير من الشر ، وأن يهديهم النجدين ، وأن يبعث لهم الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل كما أخـــذ العهد على نفسه ألا يعذب أحدا إلا بعد اقامة الحجة عليه بارسال الرسل .

« وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا »

فاصطفاء الرسل من الملائكة ومن

الناس داخــل في حدود قدرته ، وهو تفضل ورحمة منه سبحانه حتى تسقط حجة الغاوين حين تصدمهم الحقيقة .

★ ★ ★

والآن وقد ثبت بالحجة وحدانية الله سبحانه ، وقــدرته المطلقة على الإيجاد والاعــدام والبعث والنشور والحساب والجزاء .

وثبت أن الناس سيقسمون في الآخرة إلى قسمين يختصمان في ربهم ، فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نــار يصب من فوق رءوسهم الحميم . .

« والذين آمــنوا وعملوا الصالحات يدخلهم جنات تجــرى من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير »

وثبت بجوار ذلك أن الله سبحانه اصطفى من الملائكة ومن الناس رسلا يبشرون وينذرون .

وجب نتيجة لهاتين العقيدتين المستقرتين في النفس المؤمنة أن تظهر آثارهما ، وأن تترتب عليهما نتائجهما بأن تكون العبادة المطلقة والخضوع المطلق لهذا الالــه القوى القادر الواحد الأحد ، بالطريقة التى يرسمها عن طريق هؤلاء الرسل المصطفين فقال سبحانه .

« يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . وجاهدوا في الله حق جهاده » .

★ ★ ★

وقد تضمنت الآية الكريمة بعد ذلك أوامر أربعة ، كل منها يعتبر أساسا ودعامة لهذا الدين المتين .

وقد أحاطت الأوامر الأربعة بأنواع التكليف

منها أمران ينظمان العلاقة بين العبد وربه، وهى اساس الإيمان الصادق، والأمران الآخران يتعدى أثرهما ذلك إلى الناس ، فينظمان العلاقة بين أفراد المجتمع لتتكون أمة فاضلة ، تعمل لغاية ، وتقصد لهدف ، وهو تحقيق السعادة في هذه الحياة ، وجعلها طريقا موصلا إلى حياة أسعد ، فيها الخلود الدائم ، والنعيم المقيم .

أما الأمران اللذان ينظمان العلاقة بين العبد وربه فأولهما قوله سبحانه« اركعوا واسجدوا » والمقصود بذلك صلوا وانما عبر عن الصلاة بالركوع والسجود لأنهما أشرف أركانها ، وليس هناك ركوع ولا سجود في غيرالصلاة ، والصلاة مناجاة بين العبد وربه ، ترك للترابية المادية وتحليق بالنفس الى عالم الروحانية المطلقة . ولذلك يقول عليه الصلاة والسلام .

أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد .

ولقد تكـــرر الأمر بإقامة الصلاة والمحافظة عليها في غير ما آية من كتاب الله تنويها بشأنها ، وتعريفا بفضلها .
« أقيموا الصلاة »

«حافظوا على الصلوات والصلاةالوسطى»
« والذين هم على صلواتهم يحافظون »
حتى جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم فارقا بين المسلم والكافر ، حيث يقول : ( إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة ) اخرجه مسلم
وفي قوله عليه الصلاة والسلام :

( العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر ) اخرجه الترمذى .
وهذا التشديد من الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه في أمـــر الصلاة ليس غريبا فهى عماد الدين ، وهى أساس الصلة بين العبد وربه ، فمن تركها جاحدا لها فقد كذّب الله ورسوله وخرج بذلك من نطاق المسلمين .
أما من تركها كسلا وتهاونا فيخشى عليه من سوء الخاتمة ، فقد جعل سبحانه الصلاة سببا في الاستقامة والبعد عن مواطن الزلل حيث يقول سبحانه :
« إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر »
والصلاة وإن كانت أهم مظاهر العبادة والخضوع المطلق للمعبود إلا أن هناك أنواعا أخرى من العبادة لا يجوز أن تهمل . فهناك الصدقة والحج والدعاء الى غير ذلك من أنواع التقرب إلى الله سبحانه . ولذلك جعل هذا العموم في الأمر الثاني بقوله « واعبدوا ربكم » .

وأصل العبودية الخضوع والذل . والتعبيد التذليل ، ومنه طريق معبد أى مذلل،والخضوع المطلق والذلة الكاملة لا تكون لغير المنعم بأصل الحياة . وبجليل النعم ورقيقها فلتخضعوا له . ولتتقربوا اليه بكل ما يشرعه لكم من أوجه القرب ، وأنواع العبادة ، فهذا تعميم بعد تخصيص ، فالصلاة المذكورة أولا داخلة في عموم الأمر بالعبادة ، فكأن الامر بها جاء مرتين .

أما الأمران اللذان يتعدى أثرهما ذلك إلى الناس فأولهما قوله سبحانه :
« وافعلوا الخير لعلكم تفلحون »

وفعل الخير دعامة من دعائم الحياة الراقية السعيدة ، فالناس في هذه الحياة متفاوتون في قدراتهم ، متفاوتون في مواهبهم، منهم القوى ومنهم الضعيف، منهم الغنى ومنهم الفقير ، منهم ذو الجاه والسلطان ومنهم الخلو منهما،الكل محتاج بعضهم إلى بعض ، فكل فرد في الأمة يستطيع أن يضع لبنات

في صرح مجدها سواء منهم القوى والضعيف والغنى والفقير ، ولذلك يدعو الإسلام الجميع الى التسابق في الخيرات فيقول : « فاستبقوا الخيرات » ويقول

« وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » ثم يبين صفة هؤلاء المتقين الذين يستحقون هذه الجنة بأنهم خيرون بطبعهم ينفقون في السراء والضراء ويكظمون الغيظ ويعفون عن الناس .

ويزيد عليه الصلاة والسلام طرق الخير بيانا وتوضيحا ويضرب لذلك الأمثال فيقول : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه .

ويقول :

اتقوا النار ولو بشق تمرة .

فيدفع الناس الى عمل الخير مهما كان ضئيلا ، فالقليل إلى القليل كثير .

بل ويجعل عليه الصلاة والسلام واجبا على كل فرد في هذه الأمة المسلمة أن يبذل لغيره معروفا إن استطاع ليكون ذلك له بمثابة الجهاد .

هذا أبو ذر جُندب بن جُنادة رضى الله عنه يقول : قلت يا رسول الله أى الأعمال أفضل ، قال الإيمان بالله والجهاد في سبيله ، قلت أى الرقاب أفضل قال أنفسها عند اهلها وأكثرها ثمنا ، قلت فإن لم أفعل ، قال تعين صانعا أو تصنع لأخرق . قلت يا رسول الله أرأيت ان ضعفت عن بعض العمل . قال : تكف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك . ويعد الله العاملين ، ووعده الحق ، أن ثوابهم لن يضيع عنده .

« إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا »

وأن العمل مهما قلّ سيحفظ لصاحبه

« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »

وأنه سبحانه مطلع على جميع الأعمال ظاهرها وخفيها وسيجزى عليها

« وما تفعلوا من خير يعلمه الله »

« وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم »

والأمر الذى معنا يشمل كل خير يخطر على البال ، ثم يبين سبحانه أن الحكمة في هذه الأوامر هى إرادة الخير والفلاح لمن يحافظ عليها فيقول .

« لعلكم تفلحون »

ولعلّ في أصل وضعها تفيد الشك والرجاء والتوقع ، وهذا يليق بحال المخاطبين وكأنه سبحانه يقول افعلوا الخير وأنتم ترجون وتتوقعون الفلاح .

أو تكون ( لعل ) للتعليل فحسب مجردة عن الشك والرجاء ، وهذا يليق بجانبه سبحانه وكأنه يقول افعلوا الخير لتنالوا الفلاح .

والمقصود بالفلاح الفوز والبقاء والنجاة، النجاة من عذاب الله ، والفوز برضاه والبقاء في رحمته وجنته ، ومنه قوله سبحانه « قد أفلح المؤمنون »

أى فازوا ونجوا ، ومنه الدعوة في الأذان والإقامة حيّ على الفلاح أى أقبلوا على ما فيه فلاحكم وفوزكم ونجاتكم .

الأمر الثاني قوله سبحانه « وجاهدوا في الله حق جهاده »

أى جاهدوا في ذات الله من أجل مرضاته جهادا حقا . والجهاد مأخوذ من الجُهْد ( ضم الجيم وفتحها ) وهو الطاقة والوسع ، أى ابذلوا جهدكم أى طاقتكم ووسعكم في الله من أجل مرضاته بذلا حقا وصدقا .

والضمير في قوله حق جهاده راجع اليه سبحانه أى حق جهاد الله ، وإضافة الجهاد اليه سبحانه لاختصاصه به ، فالجهاد مختص بالله لأنه مفعول من أجله ولوجهه ، ولذلك صحت الإضافة إليـــه .

وقد اختلف في المقصود بالجهاد هل هو جهاد الكفار وقتالهم ونشر الدعوة بينهم ؟ أو هو جهاد الظلمة والفساق بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؟ أو هو جهاد النفس والهوى وحملها على الخير والسداد ؟ أو هو جهاد الشيطان برد وسوسته، والظلمة برد ظلمهم، والكافرين برد كفرهم . إلى غير ذلك من أنواع المجاهدة في الله .

والجهاد بهذا المعنى العام أساس استقرار الحكم الصالح ، يقول سبحانه « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها لسم الله كثيرا »

ولذلك ورد الحث على الجهاد وفروعه المختلفة في كثير من آى الكتاب العزيز وسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام ومن ذلك قوله سبحانه

« والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا »

وهذا يفيد الجهاد العام كالآية التى معنا .

وجاء في قتال المشركين قوله سبحانه

« وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » وقوله سبحانه

« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا . . »

وقد سئل عليه الصلاة و السلام : أى العمل أفضل ؟ قال : إيمان بالله ورسوله قيل ثم ماذا ؟ . قال : الجهاد في سبيل الله . قيل : ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور

وروى البخارى أن رجلا قال: يا رسول الله دلني عن عمل يعدل الجهاد قال: لا أجد. ثم قال: هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر؟. قال: ومن يستطيع ذلك؟

وجهاد الظلمة من أعظم أنواع الجهاد. سئل عليه الصلاة والسلام أى الجهاد أفضل؟ فقال كلمة عدل عند سلطان جائر.

★ ★ ★

هذه هى الأوامر الأربعة التى فصلها سبحانه هذا التفصيل البين، ولو نظرنا فيها نظرة تمعن لوجدنا أن هذه الأوامر تتدرج نحو العموم المطلق.

فالصلاة التى أمر بها أولا تدخل في الأمر الثاني وهو الأمر بالعبادة، فالعبادة تشمل الصلاة وغيرها من أوجه العبادات، ثم تندرج العبادة في الأمر الثالث وهو الأمر بفعل الخير، فالعبادة بجميع مظاهرها نوع من أنواع الخير الذى أمرنا بفعله، وحمل النفس على فعل الخير نوع من أنواع الجهاد العام، ففعل الخير مندرج كذلك في الأمر الرابع وهو الأمر بالجهاد في الله حق جهاده.

ثم بين سبحانه السبب الذى من أجله وجب على الأمة المحمدية أن تتقبل هذه الأوامر التكليفية بقلوب راضية مطمئنة، فهناك أمور ثلاثة كل منها كافٍ وحده ليكون سببا في وجوب هذا التقبل ففيه رضا للنفس واطمئنان للقلب.

أولها قوله سبحانه: «هو اجتباكم» أى اختاركم واصطفاكم وجعلكم خير أمة أخرجت للناس، وأنت اذا اصطفيت لك صديقا تفاني في حبك وتنفيذ أمرك وتحمل المشقة في سبيل مرضاتك، فما بالك بمن اختارهم رب العزة واجتباهم وفضلهم على العالمين وجعلهم أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس. أفلا يجدر بهم أن يكونوا عند هذا التقدير فيتقبلوا التكاليف راضين؟ ثم أنه مع ذلك لم يكلفكم شططا. ولم يحملكم ما لا تطيقون «وما جعل عليكم في الدين من حرج» والحرج الضيق والمشقة، وقد نفاهما سبحانه، وجعل لكل عسرٍ يسرا، ولكل فريضة رخصة وذكر النبى عليه الصلاة والسلام ان الله يحب أن تؤتي رخصه كما يحب أن تؤتي عزائمه، ولم يخير عليه الصلاة والسلام بين أمرين إلا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما. فإن كان إثما كان أبعد الناس عنه.

وهناك موجب آخر لقبول هذه الأوامر والتكاليف، وهى كونها

في عمومها ملّة أبيكم ابراهيم الذى تحبونه وتنتسبون إليه فكيف يدعى عبدة الأوثان أنهم على دين ابراهيم وهو الذى حطم الأصنام . وأقام صرح التوحيد ،

ثم انكم بعد ذلك سميتم بالمسلمين ، والإسلام من السلامة فأنتم حملة مشاعل السلام في الأرض تنشرونه في ربوعها ، وتركزونه في دولها ، وتدافعون المعتدين عليه ، هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا . والذى سماكم المسلمين من قبل هو أبوكم ابراهيم فأنتم إجابة دعوة الخليل عليه السلام حينما قال :

« ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك »

والأولى أن يكون الذى سماكم المسلمين من قبل هو الذى اجتباكم واختاركم ، وهو الذى سماكم بهذا الاسم ليكون الرسول شهيدا عليكم ولتكونوا شهداء على الناس فأى تشريف يبلغ مبلغ هذا التشريف ، وأى تكريم يصل الى هذا الحد من التكريم؟.

هذه أمور ثلاثة كل منها يوجب — منفردا — الطاعة المطلقة للأوامر وهى أنه سبحانه اجتباكم واختاركم ، وأن هذه الشريعة امتداد لملة أبيكم ابراهيم الذى تنسبون إليه ، وأنه سبحانه سماكم المسلمين في الكتب السابقة وفي القرآن الكريم ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس .

وشهادة الرسول علينا أنه بلغنا الرسالة ولم يكتمنا أمرا ولا نهيا .

وشهادة الأمة على الناس تحتمل معنيين :

أولهما أن المقصود بالناس الأمم السابقة على أمة محمد عليه الصلاة والسلام فأنتم تشهدون للأنبياء على أممهم يوم القيامة بأنهم بلغوا الرسالة ، وأدوا الأمانة ، يشهد لهذا المعنى ما أخرجه البخارى رضى الله عنه عن أبي سعيد الخدرى أنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يدعى نوح يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك يارب فيقول : هل بلغت ؟ فيقول نعم . فيقال لأمته : هل بلغكم ؟ فيقولون : ما جاءنا من نذير . فيقول من يشهد لك ؟ فيقول محمد وأمته . فيشهدون أنه قد بلغ . وقد ذكر هذا الحديث مطولا في غير البخارى وفيه ردود على الاعتراضات التى تخطر بالذهن عند سماعه ففيه . فتقول تلك الأمم : كيف يشهد علينا من لم يدركنا ؟ فيقول لهم الرب سبحانه : كيف تشهدون على من لم تدركوا ؟ فيقولون : ربنا بعثت إلينا رسولا . وأنزلت إلينا عهدك وكتابك ، وقصصت علينا أنهم قد بلغوا ، فشهدنا بما عهدت إلينا فيقول الرب : صدقوا .

والمعنى الثاني أن المقصود بالناس أفراد

الأمـــة المحمدية ، أى أن بعضهم يشهد على بعض بعد الموت .

يؤيد هذا المعنى ما أخرجه مسلم عن أنس رضى الله عنه أنه مرت جنازة فأثنى عليها خير . فقال عليه الصلاة والسلام وجبت وجبت وجبت . ثم مُرّ عليه بأخرى فأُثنى عليها شر . فقال : وجبت وجبت وجبت . فسأله عمر رضى الله عنه في ذلك . فقال : أنتم شهداء الله في الأرض ، أنتم شهداء الله في الأرض ، أنتم شهداء الله في الأرض

ثم يؤكد سبحانه وتعالى تلك الأوامر التى شملت أنواع التكاليف فيقول :

« فأقيمـــوا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير » فقوله سبحانه وأقيموا الصلاة تأكيد لقوله في صدر الآية اركعوا واسجدوا » وقوله : وآتوا الزكاة تأكيد لقوله وافعلوا الخير لأن الزكاة أظهر معاني الخير

والعصمة معناها المنعة .

فقوله سبحانه « واعتصموا بالله » أى أمتنعوا بالله وبحبله وهو قرآنه : امتنعوا من أن تقعوا فيما يغضبه .

أو اعتصموا بدلائله العقلية والسمعية التى ساقها لكم في تلك السورة حتى لا يجد الزيغ والشك والضلال الى قلوبكم سبيلا .

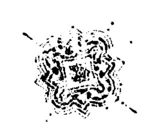
يقول القفال : اجعلوا الله عصمة لكم مما تحذرون .

ويقول ابن عباس : سلوا الله العصمة من كل المحرمات .

وإنما تلجأون إليه ليعصمكم لأنه مولاكم وسيدكم والمتصرف فيكم والذى يتولاه ربه وينصره فلن يزل ولن يشقى

وفي الدعاء المأثور : انه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم المرسلين .



# تصويب

وقع في هامش مقال ( الباقلاني ومفهومه للاعجاز القرآني ) الذى نشر في مجلة الجامعة العدد الثالث ــ السنة التاسعة ذى الحجة ١٣٩٦ هـ خطأ غير مقصود أريد الآن استدراكه : وهو في عبارة : ( ومعروف أن للاشعرى مذهبين ، انتهج في الأول مذهب التأويل ، ورجع في الثاني إلى التفويض ) فكلمة التفويض خطأ . . .

وتصحيح الأمر ــ أن لأبي الحسن الأشعرى ثلاثة مذاهب :

١ ــ كان معتزليا ينكر جميع الصفات .

٢ ــ ثم صار كلابيا من أتباع محمد بن سعيد بن كلاب يؤمن بسبع صفات فقط .

٣ ــ ثم رجع إلى العقيدة السلفية على يدى شيخه الحافظ زكريا الساجى تلميذ الإمام احمد بن حنبل ، يؤمن بجميع صفات الله الذاتية والفعلية والخبرية على الأسس الثلاثة التالية :

أ ــ تنزيه الله عن مشابهة المخلوقات في ذاته وفي صفاته وفي اسمائه كما في قوله تعالى ( ليس كمثله شئ ) .

ب ــ اثبات كل ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم على الوجه اللائق بكماله وجلاله كما في قوله عز من قائل ( وهو السميع البصير ) .

جـ ــ اليأس وعدم الطمع من إدراك كيفية صفات الله واسمائه كما في قوله سبحانه ( ولا يحيطون به علما ) هكذا في كتابيه اللذين أجمع العلماء والمؤرخون على أنهما آخر ما كتب : ( الإبانة عن أصول الديانة ) و ( المقالات الاسلامية ) . . لذلك لزم التنويه .

د. احمد جمال العمرى

# أهل الكتاب في القرآن الكريم

لفضيلة الشيخ معوض عوض ابراهيم

**أهل الكتاب حيث كانوا في القــرآن الكريم ، هم أتباع موسى وعيسى عليهما السلام ، في عصورهم ، ومنذ تحدث اليهم نبينا محمد صلوات الله عليه بآيات الله الصادعة بالحــق ، الهادية الى توحيد الله بعد أن اتخذ القــوم أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم واشركوا مع الله غيره من خلقه ومخلوقاته في العبادة والقصد، وجعلوا لــه صاحبة وولدا ــ حاشاه ــ**

**« قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد (الاخلاص)**

**« و أنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ( الجن ٣ )**

**« فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا لله الدين الخالص ( الزمر ٢ـ٣ )**

والقرآن الكريم يولى أهل الكتاب عنَايته ، بحفاوته بخطابهم ، ودعوتهم الى الأذعــان للحق ، الذى جاء به البشرية كلها عربها وعجمها وابيضها وأحمرها الرسول الخاتم ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، انطلاقا من أنهم من أمــة الدعوة أولاً ثم انهم أوتوا شيئا من العلم ثانيا وهم يزعمون ــ ثالثا ــ اتباعهم لانبيأهم صلوات الله عليهم ، ويستمسكون بما أدوه في أزمنتهم من توجيه إلهى مرحلى لم تدع عصورهم لاكثر منه .

ولو أن القوم في عصر الرسالة الخاتمة أنصفوا ماتابع عليه موسى الانبياء من قبلهم من الدعوة الى توحيد الله ، وما قفَّى على آثارهم فيه نبينا محمد صلوات الله عليه كما يظهر في قوله تعالى :

« وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى اليه أنه لا آله الا الله انا فاعبدون الانبياء ٢٥ . أجل لو أنصف القوم انبياءهم لآمن اليهود بعيسى ومحمد ولآمن النصارى من بعد بخاتم المرسلين وبالدين والكتاب الذى تعظم منة الله به

على هؤلاء ، فهو ينصفهم ويذكر اوائلهم من آمن منهم ومن كفر ، ومن بر ومن غدر ، ليكون لهم فيهم أسوة حسنة . .

ولأخذ هؤلاء وأولئك أنفسهم بدعوة التوحيد ، وهى انداء الفطرة بين أعطاف الناس ، وُلِدُوا عليها وشبوا ودرجوا كما قال النبى صلى الله عليه وسلم .

« كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه . » ولاستجابوا الى توجيه الله تعالى في كتابه الخالد لمصطفاه :

« قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » آل عمران ٦٤ .

« إن أولى الناس — لا ريب — بالايمان بالله ، ومؤازرة مصطفاه ، هم الذين اتبعوا رسله وانتسبوا إلى أنبيائه ، وكان لهم ذكر سائر في كتاب الله يوم كانوا يقارعون كفر أصحاب الأخدود ، وضلال الشرك بصوره وألوانه المتمثلة في عبادة الكواكب وغير ها من المعبودات الباطلة .

إن حجة القرآن الكريم قائمة على كل ذى مسكة من عقل منذ جاء البشرية به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، قوى الحجّة ، جامعا لكل ما تفرق في التّوراة والإنجيل وما تقدمها قبل أن تنالها الأهواء ، وتصرفات الأحياء .

والنظرة في الآيات التى لا نحصيها هنا تقفنا على نماذج من أهل الكتاب نوه بهم القرآن الكريم وباهى بايمانهم وأمانتهم وصدق تقديرهم للقرآن الكريم ، وجميل انصاتهم لتلاوته على الوجه الذى يقول فيه رب العالمين .

« من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ، يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات واولئك من الصالحين ، وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين » آل عمران ١١٣ ١١٥

ويقول « « واذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ، وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين المائدة ٨٤ — ٨٥ .

« ان الذين اوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم

خشوعاً « الاسراء ١٠٧ ١٠٩ »

ان حفاوة القرآن بأهل الكتاب على هذا النحو الذى جلونا بعضه ونجلوه — ان شاء الله — شهادة بصدق نسبة القرآن إلى الله تعالى ، وبأن الأسلام هو دين الله المهيمن وكلمته التى لا يُعْبد الله بحقّ وغيرها ، ولا يستمسك احدٌ بعده بغير قبض الريح وهو بحث نحرص على استكماله بما يُعين الله من جهد وتوفيق ، فقد ينفع تتبع ما يحدث به القرآن عن أهل الكتاب في أن نجتمع على اداء محمد صلوات الله عليه عن ربه تباركت آلاؤه « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم . . » فذلك هو السبيل القاصد، لا تلك الخديعة التى يتولى كبرها الدعاة إلى فكرة التقريب بين الأديان » ولا إحْدى الكبر التى أطلت برأسها من أيام متمثلة في دار كبرى من ديار الاسلام يدعو بعض طوائفها الى تأليف كتب دينية مشتركة تكون بأيدى الطلاب المسلمين وهم أهل التوحيد، والطلاب الآخرين الذين ليس لعقيدتهم بالتوحيد أدني صلة ولا أدرى كيف يلتقى الحق والباطل ويتناجى الخطأ والصواب؟ ويأتلف النور والظلام؟ ألا أن يذهب خيرها بشرها فيدمغها ويصفو الجو للنور والحق والصواب والاسلام دين الله الخاتم هو جماع ذلك كله . .

إن دعوة التقريب بين الأديان ، ودعوة التقريب بين السنّه وغيرها ، ودعوة الكتب الدينية الواحدة للاسلام وغيره من أديان القوم . من أساليب المكر الموروث ، والكيد الذى لم يفتر للإسلام ، الذى هو الدين لا ريب فيه ، وهل يتعدد الحقُ ، ويكون ما عندنا وما عند غيرنا سواء في حتمية الأخذ به والتزامه ؟ ! .

إن الحق أحق أن يُتَبع « فماذا بعد الحقّ إلا الضلال فأني تصرفون » يونس ٣٢

« البحث موصول »

معوض عوض ابراهيم
المدرس بكلية الدعوة وأصول الدين — الجامعة الاسلامية



# مفهوم الجرجانى للاعجاز القرآنى

لفضيلة الدكتور أحمد جمال العمرى
الاستاذ المساعد بكلية الدعوة

**يُعد عبد القاهر الجرجاني (١) ( المتوفي سنة ٤٧١ هـ ) أحد العلماء القلائل الذين فهموا الإعجاز القرآني فهما خاصا ، وتناولوا إبراز وجوهه تناولا دقيقا . إستناداً إلى بلاغته ، ودقـــة نظمه ، وتآليف كلامه . . لذلك فإن بحوثه حول هـــذا الإعجاز ، تمتاز بالطابع الأدبي ، القائم على المقارنات والمـــوازنات الأدبية ، وإثارة القضايا المنطقية ، ومناقشتها مناقشة تحليلية استدلالية لتبيين تفاوت النتاج الأدبي للعرب ، بين الغث والسمين ، بخلاف ما عليه القرآن الكريم ، الذى يخلو من كل ما يعيبه .**

ألفّ الجرجاني في إعجاز القرآن مؤلفين . . كتابا ورسالة . .

أما الكتاب فهو « دلائل الإعجاز (٢) » وأما الرسالة فقد سماها « الرسالة الشافية » ختم بها بحثه الأصيل . . العميق .

ومن الطبيعى أن يكون تأليف هذه الرسالة في مرحلة تالية . يدفعنا إلى القول بهذا الرأى عدة أمور :

---

(١) هو ابوبكر عبدالقادر بـــن عبدالرحمن الجرجاني ، احد علماء السنة الموهوبين ، كان عالما واسع الثقافة ، كما كان متكلما عـــلي مذهب الاشعرى ، وفقيها عـــلي مذهب الشافعي ، اخذ النحو عـــن ابي الحسن محمد بن الحسن ابن اخت ابي علي الفارسي المشهـــور كما اخذ الادب والنقد عن القاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني

من مؤلفاته : العوامل المائة في النحو ، ودلائل الاعجاز ، واسرار البلاغة ، والرسالة الشافية

انظر في ترجمته : دمية القصر للباخرزى ١٠٨ ، طبقات الشافعية للسبكي ٢٦٢/٣ النجوم الزاهـــرة لابن تغرى بردى ١٠٨/٥ ، بغيـــة الوعاة للسيوطي ٣١٠ ، شـــذرات الذهب لابن العمـــــاد ٣٤٠/٣ ، وبروكلمان ٢٨٦/١

(٢) طبع كتاب دلائل الاعجـــاز في القاهرة عدة طبعات وبتحقيقات متعددة .

أولها : التسلسل الفكرى والموضوعى للبحث في إعجاز القرآن كما وضح من المؤلَّفين .

وثانيها : أنه في مصنفه دلائل الإعجاز أبرز وجوه الاعجاز القرآني فقط .
ثم كان عليه أن يؤكد وقوع الأعجاز ذاته ، واثباته بالبراهين والأدلة ، فألف هذه الرسالة العلمية ، لتكون شافية كافية بتوضيح ما قصد إليه ، لذلك اشتق اسمها من مضمونها ومقصودها ، وجاءت الرسالة مكملة لما بدأه في كتابه . (١)

وثالثها : ما تمتاز به هذه الرسالة من التركيز والتكثيف لبعض الموضوعات التى طرقها وتحدث عنها مسبقا في كتابه ، فهى عمل علمى متمم « لدلائل الاعجاز » حتى ليمكن القول : ان الرسالة الشافية وحدها لا تعكس مفهومه للإعجاز القرآني مباشرة إلاّ بعد الاطلاع على كتابه . . وان الكتاب لا يمكن الاستغناء به — فى فهم الاعجاز القرآني — عن الرسالة ، فكلاهما عمل علمى يكمّل بعضه بعضا .

لقد وضح لنا من تتبع الجرجاني بين ثنايا مُؤَلَّفَيْه — أنه أحد العلماء النابهين الذين فهموا الإعجاز القرآني فهما خاصا، وكرسوا حياتهم لدراسته ، حيث صوّر هذا الاعجاز تصويرا دقيقا ، ينمّ عن ملكة حساسة ، وعقلية نفاذة ، فأوضح معالمه ، وأبرز دقائقه ، بأسلوب تحليلى أدبي ، يتسم بالعمق والدقة والموضوعية معا . ومن هنا اعترف الباحثون المحدثون بأن بحوثه حول الاعجاز القرآني تُعدّ انتقالاً كبيرا في التفكير والبحث ، وكشفاً دقيقا لاسرار هذا الاعجاز .

لقد ركز الجرجاني في بحوثه على موضوع « النظم » وجعله المحور الأساسى الذى يدور حوله كل موضوع ، وينتهى إليه كل طريق ، لذلك كان النظم — من وجهة نظره — هو الوجه الوحيد المشرق للإعجاز القرآني . . أما بقية الأوجه التى توصل إليها الباحثون والعلماء السابقون ، وسجّلوها في مصنفاتهم ورسائلهم فلم يعرها إلتفاتا ، ولم يعطها إهتماما .

مهد الجرجاني لاثبات وجهة نظره هذه بمقدمة هامة ، جعلها فاتحة كتابه « دلائل الاعجاز » بيّن فيها أولا ماهية النظم وحقيقته ، ثم كيف يحصل ، وما هى أسبابه وروابطه . . فيقول :

---

**(١) طبعت هذه الرسالة ضمن ثلاث رسائل في اعجـــاز القران بتحقيق الاستاذين محمد خلف الله ومحمد زغلول ســــلام — في دار المعارف بمصر .**

« معلوم أن ليس النظم إلاّ تعليق الكلم بعضها ببعض ، وجعل بعضها بسبب بعض » ثم يفصح عن مضمون معنى الكلم بقوله : « والكلم ما هو إلا إسم وفعل وحرف . وللارتباط بين هذه الاقسام الثلاثة طرق معلومة لا تعدو ثلاثة أحوال . . تعلق اسم بإسم ، واسم بفعل ، وتعلق حرف بهما (١) » .

ثم ينتقل الجرجاني بعد ذلك إلى توضيح هذه الأحوال الثلاثة ، فيقدم لنا مجموعة من الشواهد لكل منها ، ويستعرض بعض الآثار الأدبية التى توضح مقصوده ، وتبيّن مفهومه لمعنى الكلم . . وهو يرمى من وراء هذا كله إلى توضيح الفكرة التى توصل إليها وهى « أن تأليف الكلام ونظمه لا يتعدى هذه الأحوال الثلاثة ، سواء كان هذا الكلام وحيا أو كلام بشر .

إن الجرجاني يهدف من هذا التقرير – أن يثير انتباه القارئين . . إنه يضع أمام الاذهان قضية ، يحيط بها مجموعة من التساؤلات ، ليشرع بعد ذلك في الاجابة عليها . . لذلك نسمعه يقول :

« واذا كان ذلك كذلك ، فما جوابنا لخصم يقول : إذا كانت هذه الأمور وهذه الوجوه من التعلق التى هى محصول النظم موجودة على حقائقها وعلى الصحة، وكما ينبغى في منثور كلام العرب ومنظومه ، ورأيناهم قد استعملوها وتصرفوا فيها ، وكملوا بمعرفتها ، وكانت حقائق لا تتبدل ولا يختلف بها الحال ، إذ لا يكون للاسم بكونه خبرا لمبتدأ أو صفة لموصوف أو حالا لذى حال ، أو فاعلا أو مفعولا لفعل في كلام حقيقة هى خلاف حقيقته في كلام آخر . .

فما هذا الذى تجدد بالقرآن من عظيم المزية ، وباهر الفضل ، والعجيب من الوصف حتى أعجز الخلق قاطبة ، وحتى قهر من البلغاء والفصحاء القوى والقدر ، وقيد الخواطر ، والفكر حتى خرست الشقاشق(١)، وعدم نطق الناطق ، وحتى لم يجر لسان ، ولم يبنْ بيان ، ولم يساعد إمكان ، ولم ينقدح لأحد منهم زند ، ولم يمض له حد ، وحتى أسال الوادى عليهم عجزاً ، وأخذ منافذ القول عليهم أخذاً

---

**(٢) دلائل الاعجاز ــ المقدمــــةالصفحة ز**

**(١) الشقاشق : جمـــع شقشقةبكسر الشين : لهاة البعير ومــــايخرج من فمه اذا هاج**

أيلزمنا أن نجيب هذا الخصم من سؤاله ، نرده عن ضلالة ، وأن نطلب لدائه ، ونزيل الفساد عن رائه (١) .

وهنا يتصدى الجرجاني للرد على هذه التساؤلات جميعها ، مستخدما الأسلوب المنطقى التحليلى ، مستعرضا الكثير من الموضوعات اللغوية والبلاغية والمقارنات الأدبية ، ليصل من وراء ذلك جميعه الى غايته . . فنراه يتحدث عن المقصود من النظم ، وأنه ليس تأليف الألفاظ ، أو تنظيم مخارج الحروف . . وانما النظم — في مفهومه — يخضع لقواعد وأصول يجب أن يراعيها الناظم في نظمه ، ليصل إلى قمة الجمال والروعة .

وبعد أن يؤكد الجرجاني على هذا الجانب في أكثر من موضع من ( دلائل الاعجاز ) يصل بقارئه إلى هدفه الأساسى وهو : إثبات حقيقة عجز العرب عن معارضة القرآن الكريم ، وانقطاعهم دونه بعد أن تحداهم على أن يأتوا بمثله ، أو بعشر سور من مثله ، أو بسورة واحدة من سوره . . فعجزوا عن ذلك كله . . يقول :

« إنا إذا سئلنا دليل الاعجاز فقلنا : لولا أنهم حين سمعوا القرآن، وحين تحدوا إلى معارضته ، سمعوا كلاماً لم يسمعوا قط مثله ، وأنهم قد رازوا (٢) أنفسهم، فأحسوا بالعجز عن أن يأتوا بما يوازيه ، أو يدانيه ، أو يقع قريبا منه ، لكان محالا أن يدّعوا معارضته ، وقد تحدوا إليه وقرعوا فيه ، وطولبوا به ، وأن يتعرضوا لشبا الأسنة ، ويقتحموا موارد الموت ، فقيل لنا : قد سمعنا ما قلتم ، فخبرونا عنهم عماذا عجزوا ؟ . . أعن معاني من دقة معانيه وحسنها وصحتها في العقول ؟ . . أم عن ألفاظ مثل ألفاظه ؟ فإذا قلتم عن الألفاظ . . فماذا أعجزهم من اللفظ ؟ أم ما بهرهم منه ؟

فقلنا : أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه ، وخصائص صادفوها في سياق لفظه ، وبدائع راعتهم من مبادئ آيه ، ومقاطعها ومجارى ألفاظها ومواقعها . . وفي مضرب كل مثل ، ومساق كل خبر ، وصورة كل عظة ، وتنبيه واعلام وتذكير ، وترغيب وترهيب ، ومع كل حجة ، وبرهان ، وصفة وتبيان، وبهرهم

(١) دلائل الاعجاز ـ الصفحة ف ـ والراء : الراى .
(٣) رازوا انفسهم : اى اختبروا قوتهم .

أنهم تأملوه سورة سورة ، وعشرا عشرا ، وآية آية ، فلم يجدوا في الجميع كلمة يَنْبُو بها مكانها ، ولفظة ينكر شأنها ، أو يرى أن غيرها أصلح مكانا أو أشبه ، أو أَحْرى وأخلق . . بل وجدوا إتساقا بهر العقول ، وأعجز الجمهور نظاما والتئاما وإتقانا وإحكاما ، لم يدع في نفس بليغ منهم ، ولو حَكّ بيافوخة السماء موضع طمع ، حتى خرست الألسن عن أن تدعى وتقول ، وخلدت القروم فلم تملك أن تصول (١) .

وهنا يتضح لنا مفهوم الجرجاني لفكرة الإعجاز ، وأن مردّها جميعا هو « النظم » لذلك فهو يطلب من الباحث عن حقيقة وكنه هذا الاعجاز أن يُعمل عقله ، وأن يكد فكره ، ليصل عن طريق ذلك إلى المزايا والخصائص التى إمتاز بها نظم القرآن ليقف عليها بنفسه ، ونتيجة لاحساسه وذوقه ، لا أن يقلد غيره ، ويسير مع السائرين. وفي هذا المعنى يقول :

« فإذا كان هذا هو الذى يذكر في جواب السائل ، فبنا أن ننظر : أى أشبه بالفتى في عقله ودينه ، وأزيد له في علمه ويقينه . . أأن يقلّد في ذلك ، ويحفظ متن الدليل وظاهر لفظه ، ولا يبحث عن تفسير المزايا والخصائص ما هى ؟ . . ومن أين كثرت الكثرة العظيمة ، واتسعت الاتساع المجاوز لوسع الخلق وطاقة البشر ؟ . وكيف يكون أن تظهر في ألفاظ محصورة ، وكلم معدودة معلومة ؟ بأن يؤتي ببعضها ، في أثر بعض لطائف لا يحصرها العدد ، ولا ينتهى بها الأمد ، أم أن يبحث عن ذلك كله ، ويستقصى النظر في جميعه ، ويتتبعه شيئا فشيئا ، ويستقصيه بابا فبابا ، حتى يعرف كلا منها بشاهده ودليله ، ويعلمه بتفسيره وتأويله ويوفق بتصويره وتمثيله ، لا كمن قيل فيه :

يقولـــون أقـــوالا ولا يعلمونها ‏ ‏ ‏ ‏ ولو قيل هـــاتوا حققوا لم يحققوا(٢)

بعد كل هذا التمهيد والاسترسال ، والتنقل من موضوع إلى موضوع لإبراز الوجه الحقيقى للإعجاز وهو النظم — يعقد الجرجاني فصلا خاصا للحديث عن ماهية النظم ، يتحدث فيه عن الفرق بين نظم الحروف الذى يأتي بحسب تواليها في النطق ،

**(١) دلائل الاعجاز ص ٢٩**

**(٢) دلائل الاعجاز ص ٢٩ والبيت منسوب لانس بن انيس انظر الكامل للمبرد ٣١٦/١ طبع مصر**

وبين النظم الذى يأتي اقتضاء لمعنى وفي ذلك يقرر : أن نظم الألفاظ يجب أن يقترن بترتيب المعاني ، لأن المعاني هى الأساس الذى يجب أن يراعى عند نظم الكلام ، ثم تأتي الألفاظ لتستوعب هذه المعاني ، لأنك « إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني وتابعة لها ، ولاصقة بها ، وأن العلم بمواقع المعاني في النفس ، علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها من النطق ، وأعلم أنك إذا نفسك علمت علماً لا يعترضه الشك إلا نظم في الكلم ، ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ، ويبين بعضها على بعض ، ولا تجعل هذه بسبب تلك (١) .

ويؤكد الجرجاني هذا المضمون في موضع آخر فيقول : « وأعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذى يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجهالتى نهجت فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التى رسمت ، فلا تخل بشئ منها . . . إلخ (٢) .

هذا هو محور بحث الجرجاني في إبراز وجه الإعجاز القرآني ، كما وضح في كتابه دلائل الإعجاز . وهو نفس المحور الذى دار حوله لتأكيد وقوع هذا الاعجاز واثباته في رسالته الشافية . . فلننظر كيف أثبت وقوع الاعجاز القرآني . . وكيف توصّل إلى ذلك في رسالته . .

افتتح الجرجاني رسالته – كعادته في بحوثه – بمقدمة استعرض فيها علاقة الألفاظ بالمعاني – أو كما يقول البلاغيون : الشكل بالمضمون ، وعلى طريقة المدرسين قال : « اعلم أن لكل نوع من المعنى نوعا من اللفظ هو به أخص وأولى ، وضروبا من العبارة هو بتأديته أقوم وهو فيه أجلى . ومأخذا إذا أخذ منه كان إلى الفهم أقرب ، وبالقبول أخلق ، وكان السمع له أوعى ، والنفس إليه أميل ، وإذا كان الشئ متعلقا بغيره ، ومقيساً على ما سواه ، كان من خير ما يستعان به على تقريبه من الأفهام وتقريره في النفوس أن يوضع له مثال يكشف عن وجهه ، ويؤنس به ويكون زماماً عليه يمسكه على المتفهم له ، والطالب علمه (٣) .

---

(١) دلائل الاعجاز ص ٣٨ (٤) دلائل الاعجاز ص ٥٥ انظرايضا ص ٢٨٤ من المصدر نفسه

(٣) الرسالة الشافية ص ١٠٧

إن المتأمل لهذه المقدمة . يستطيع أن يضع يده بسهولة على ما يرمى إليه الجرجاني خاصة بعد أن درسنا مفهومه . .

إنه يودّ أن يقول : إن القرآن الكريم بنظمه وتآليفه ، قد حاز هذه الفضيلة ، وان هذا النظم كان مدعاة لأن يعترف العرب الذين تحدوا إلى معارضته ، أن الذى سمعوه تقصر دون محاكاته قوى البشر ، ويضيق به ذرع المخلوقين لأنه كلام رب العالمين. وتأكيدا لهذا الأمر — يقدم لنا جُملاً من القول «في بيان عجزالعرب حين تُحدّوا إلى معارضة القرآن ، وإذعانهم وعلمهم أن الذى سمعوه فائت للقوى البشرية ، ومتجاوز للذى يتسع له ذرع المخلوقين ، وفيما يتصل بذلك مما له اختصاص بعلم أحوال الشعراء والبلغاء ومراتبهم ، وبعلم الأدب جملة .

ثم يتحدث الجرجاني عن بلاغة العرب ، وتملكهم لزمام القول . . ولما كان القرآن معجزة الرسول الأميّ ، لذا كانت بلاغته فوق بلاغة العرب أنفسهم ، الذين دانت لهم الأساليب ، وتملكوا كل شئ فيها شعراً ونثراً وخطباً . .

من هنا سمعنا صوت الجرجاني وهو يتحدث طويلا عن البلاغة العربية ، وعن التفاوت والتفاضل بين أساليب العرب من كلام الشعراء والأدباء ، وأن لهذا التفاضل غايات ينأى بعضها عن بعض ، ومنازل يعلو بعضها فوق بعض ، ليصل إلى حقيقة يعرفها وهى : أن العرب ( زمن الرسول الكريم ) كانوا القدوة في ذلك . ومن عداهم تبع لهم وقاصر فيه عنهم . . يقول :

« معلوم أن سبيل الكلام سبيل ما يدخله التفاضل ، وان للتفاضل فيه غايات ينأى بعضها عن بعض ، ومنازل يعلو بعضها بعضا ، وأن علم ذلك علم يخص أهله ، وأن الأصل والقدوة فيه العرب ، ومن عداهم تبع لهم ، وقاصر فيه عنهم وأنه لا يجوز أن يدّعى للمتأخرين من الخطباء والبلغاء عن زمان النبى صلى الله عليه وسلم — الذى نزل فيه الوحى ، وكان فيه التحدى ، أنهم زادوا على أولئك الأولين ، أو كملوا في علم البلاغة أو تعاطيها لما لم يكملوا انيه (١) .

ويقدم الجرجاني شواهد على ذلك من واقع المجتمع العربي يومئذ . .

---

(١) الرسالة الشافية ١٠٨

فهذا خالد بن صفوان يعترف بسبقهم ، وأنه وأمثاله لا يستطيعون مجاراتهم . . ويقول : « كيف نجاريهم وإنما نحاكيهم ، أم كيف نسابقهم ، وإنما نجرى على ما سبق إلينا من أعراقهم ؟ (١) » .

أما الجاحظ فإنه ينسب إلى العرب الفضل على الأمم كلها في الخطابة والبلاغة ويناظر في ذلك الشعوبية ، ويجهلهم ويسفه أحلامهم في إنكارهم ذلك ، ثم يقول :

« ونحن أبقاك الله إذا أدعينا للعرب الفضل على الأمم كلها في أصناف البلاغة ، من القصيدة والأرجاز ، ومن المنثور والأسجاع ، ومن المزدوج وما لا يزدوج . . فمعنا على أن ذلك لهم شاهد صادق من الديباجة الكريمة ، والرونق العجيب ، والسبك والنحت الذى لا يستطيع أشعر الناس اليوم ، ولا أرفعهم في البيان أن يقول مثل ذلك إلا في اليسير والشئ القليل (٢) . .

إن الجرجاني يريد أن يقول . . إنه إذا كان العرب الذى نزل فيهم القرآن قد تحدوا به فعجزوا عن الاتيان به — مع ما كان في جعبتهم من أدوات الفصاحة وألوان البيان . . فمن الطبيعى أن يكون ما بعدهم من الأجيال أعجز منهم، وما سوى العرب في ذلك منهم تبع لهم . . وفي الحقيقة فإن هذا الرأى قد سبق إليه الباقلاني ولكن الجرجاني لم يشر إليه . .

بعد هذا التمهيد ينتقل الجرجاني إلى توكيد عجز العرب عن معارضة القرآن ولقد اتخذ إلى ذلك سبيلا ملموساً من واقع أحوالهم . ودلائل أقوالهم . فيقول « وإذا ثبت أنهم الأصل والقدوة فإن علمهم العالم ، فبنا أن ننظر في دلائل أحوالهم وأقوالهم حين تلى عليهم القرآن وتحدوا إليه ، وملئت مسامعهم من المطالبة بأن يأتوا بمثله ، ومن التقريع بالعجز عنه ، وبتّ الحكم بأنهم لا يستطيعونه ولا يقدرون عليه . . واذا نظرنا وجدناها تفصح بأنهم لم يشكوا في عجزهم عن معارضته والاتيان بمثله ، ولم تحدثهم أنفسهم بأن لهم إلى ذلك سبيلا على وجه من الوجوه » . .

ثم يتناول بالتحليل دلائل الأحوال فيقول :

« أما الأحوال فدلّت من حيث كان المتعارف من عادات الناس التى لا تختلف وطبائعهم التى لا تتبدل أن لا يسلموا لخصومهم الفضيلة ، وهم يجدون سبيلا إلى دفعها ، ولا ينتحلون العجز وهم يستطيعون قهر هم والظهور عليهم .

---

الرسالة الشافية ١٠٨ وترد (٢) المصدر السابق نفسه

كيف ؟ وأن الشاعر أو الخطيب يبلغه أن بأقصى الاقليم الذى هو فيه من يبأى (١) بنفسه ويدل بشعر يقوله أو خطبة يقوم بها أو رسالة يعملها ، فيدخله من الأنفة والحمية ما يدعوه إلى معارضته ، وإلى أن يظهر ما عنده من الفضل ، ويبذل ما لديه من المنة ، حتى إنه ليتوصل إلى أن يكتب إليه ، وأن يعرض كلامه عليه ببعض العلل وبنوع من التمحل ، هذا ولم ير ذلك الانسان قط ، ولم يكن منه إليه ما يهز ويحرك ويهيج على تلك المعارضة ، ويدعو إلى ذلك التعرض ، وإن كان المدعى ذلك بمرأى منه ومسمع ، كان ذلك أدعى له إلى مباراته ، وإلى إظهار ما عنده ، وإلى أن يعرف الناس أنه لا يقصر عنه ، أو أنه منه أفضل ، فإن تضاف إلى ذلك أن يدعوه الرجل إلى مُمَاتَنَتِه ، ويحركه لمقاولته ، فذلك الذى يسهر ليلة ويسلبه القرار ، حتى يستفرغ مجهوده في جوابه ، ويبلغ أقصى الحد في مناقضته .

ويضرب الجرجاني لذلك مثلا — بما حدث في العهد الأموى بين الشعراء عامة ، وما حدث بين جرير والفرزدق خاصة ، وقد اجتمعا في عصر واحد فيقول :

« كيف جَدّ كل واحد منهما في مغالبة الآخر ، وكيف جعل ذلك همه وكده وقصر عليه دهره ، وليس به ولا يخشى إلا أن يُقضى لصاحبه بأنه أشعر منه ، وأن خاطره أحَدّ ، وقوافيه أشرد ، لا ينازعه ملكاً ، ولا يفتات عليه بغلبته له حقاً ، ولا يلزمه به أتاوة ، ولا يضرب عليه ضريبة . . »

وبعد أن يكشف الجرجاني عن هذه الغريزة المتأصلة في النفس البشرية ، وكيف أن الناس فطروا على منافسة بعضهم البعض ، وتحدى بعضهم بعضا . . يطبّق هذه الفكرة على ما حدث في الأمة العربية منذ فجر تاريخهم الأدبي ، وكيف استبدت بهم هذه الغريزة يوم سمعوا القرآن ، ليصل من وراء ذلك إلى مرامه وهو :

إظهار موقف العرب من القرآن الكريم الذى جاء يتحدى هذه الغريزة في موطنها وعُقر دارها فيقـــول :

« وإذا كان هذا واجبا بين نفسين لا يروم أحدهما من مباهاة صاحبه إلاّ ما يجرى على الألسن من ذكره بالفضل فقط . . فكيف يجوز أن يظهر في صميم العرب ،

(١) يبأى : أى يفخر

وفي مثل قريش ذوى الأنفس الأبية ، والهمم العلية ، والأنفة والحمية ، من يدعى النبوة ، ويخبر أنه مبعوث من الله تعالى إلى الخلق كافة ، وأنه بشير بالجنة ونذير بالنار ، وأنه قد نسخ به كل شريعة تقدمته ، ودين دان به الناس شرقا وغربا ، وأنه خاتم النبيين . وأنه لا نبي بعده . . إلى آخر ما صدع به صلى الله عليه وسلم ، ثم يقول :

وحجتى أن الله قد أنزل علىّ كتاباً عربياً مبيناً ، تعرفون ألفاظه وتفهمون معانيه ، إلا أنكم لا تقدرون على أن تأتوا بمثله ، ولا بعشر سورة منه ، ولا بسورة واحدة . ولو جهدتم جهدكم ، واجتمع معكم الجن والأنس ، ثم لا تدعوهم نفوسهم إلى أن يعارضوه ويبينوا سَرّفه في دعواه ، مع إمكان ذلك ، ومع أنهم لم يسمعوا إلا ما عندهم مثله أو قريب منه » .

« هذا وقد بلغ بهم الغيظ من مقالته ، ومن الذى ادّعاه حَدّا تركوا معه أحلامهم الراجحة ، وخرجوا له عن طاعة عقولهم الفاضلة ، حتى واجهوه بكل قبيح ، ولقوه بكل أذى ومكروه ، ووقفوا لـــه بكل طريق ، وكادوه وكل من تبعه بضروب المكايدة ، وأرادوهم بأنواع الشر . . »

« وهل سمع قط بذى عقل ومسكة استطاع أن يخرس خصماً له فقد اشتط في دعـــواه بكلمة يجيبه بها ، فترك ذلك إلى أمور يسفّه فيها ، وينسب معها إلى ضيق الذرع والعجز ، وإلى أنه مغلوب قد أعوزته الحيلة ، وعز عليه المخلّص ؟ . »

« أم هل عرف في مجرى العادات ، وفي دواعى النفوس ومبنى الطبائع أن يدع الرجل ذو اللب حجته على خصمه ، فلا يذكرها ، ولا يفصح عنها ، ولا يجلى عن وجهها ، ولا يريه الغلط فيما قال ، والكذب فيما ادعى ، ولا يدعى أن ذلك عنده وأنه مستطيع له ، بل يجعل أول جوابه له ومعارضته إياه التسرع إليه ، والسفه عليه والإقدام على قطع رحمه ، وعلى الإفراط في أذاه ؟ . »

« أم هل يجوز أن يخرج خارج من الناس على قوم لهم رياسة ، ولهم دين ونحلة فيؤلب عليهم الناس ، ويدبر في إخراجهم من ديارهم وأموالهم ، وفي قتل صناديدهم وكبارهم ، وسبي ذراريهم وأولادهم ، وعمدته التى يحد بها السبيل إلى تألف من يتألفه ، ودعاء من يدعوه ، دعوى له إذا هى أبطلت بَطَل أمره كله ، وانتفض

ع يه تدبيره ، ثم لا يعرض له في تلك الدعوى ، ولا يشتغل بإبطالها ، مع إمكان ذلك ، ومع أنه ليس بمعتذر ولا ممتنع ؟ (١) . .

هذا عن دلائل أحوال العرب عند بدء الدعوة — أما أقوالهم التي استشهد بها الجرجاني فكثيرة — منها ما حدّث به الوليد بن المغيرة ، حين وقف متحيراً أمام روعة القرآن . لا يدرى ماذا يقول فيه ، وقد وفدت جموع العرب — في الموسم — من كل مكان ، فذهب إلى قومه يشاورهم في الأمر ، فلم يجدوا ما يقولونه في هذا القرآن . قاسوه على الشعر وهم أفذاذه ، فلم يجدوا فيه ما يشبه شعرهم ، وقرنوه بالسجع فلم يتفق معه ، فلما أعيتهم الحيلة ، قالوا : إنه سحر . . سحر يفرّق فيه بين المرء وزوجه ، وبين الأخ وأخيه ، إلخ ما قالوه (٢) .

ومن هذه الأقوال أيضا — حديث عتبة بن ربيعة ، وكان سيداً حليما — حين أرسله قومه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم — ليثنيه عن هدفه ، ويعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضا منها ، فيعدل عن رأيه « فاستمع الرسول إلى قوله ، حتى إذا فرغ من كلامه ، تلا عليه الرسول ، « حم . . تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون ، بشيرا ونذيراً ، فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون (٣) » فلما سمعها عتبة أنصت له ، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليها ، يستمع منه ، حتى انتهى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الى السجدة منها فسجد ثم قال له : قد سمعت ما سمعت فأنت وذاك ، فقام عتبة إلى أصحابه لينصحهم أن يكفوا عن محاربة محمد صلى الله عليه وسلم (٤) . . ومنها حديث أبي ذر في سبب إسلامه (٥) .

ولكي يوضح الجرجاني مراده ، يوسّع دائرة بحثه ، فيستطرد بالحديث عن ماذاع على ألسنة الناس من وقوع المعجزات عند بعض الناس ، دون بعضهم الآخر ، وهو ما يقع في الحياة بين الحين والحين من ظهور العباقرة والنوابغ في فن القول من أمثال إمرئ القيس وزهير والنابغة والأعشى وغيرهم ، ممن أجمع عليهم القول بأنهم

(١) الرسالة الشافية ص ١٠٩ـ ١١٠
(٢) انظر الحديث كاملا في الرسالة الشافية ص ١١١
(٣) سورة فصلت الايتان ١ ، ٢
(٤) انظر نص الحديث كاملا في الرسالة الشافية ص ١١٣ ومابعدها
(٥) انظر نص الحديث كاملا في الرسالة الشافية ص ١١٤ ومابعدها

شعر العرب . « فهؤلاء الأعلام يكونون عند ظهورهم قمما شامخة بين أبناء عصرهم بل ربما كانوا كذلك بين أبناء العصور السابقة أو اللاحقة ، فيأتون من الأعمال أو الأقوال ما يعجز عنهم أبناء جيلهم ، أو أبناء أجيال كثيرة قبلهم أو بعدهم ، ومع هذا فلم يكونوا من الانبياء، ولم يدّعوهُمْ — أو يدّعى لهم أحد أنهم من الأنبياء أصحاب المعجزات (١) .

فما تأويل هذا عند من يؤمنون بالأنبياء ، ويؤمنون بما حملوا من معجزات ؟ وما الفرق بين ظهور النبى في عصره . واحتلاله بالمعجزة التى بين يديه قمة الحياة . . وبين العبقرى أو النابغة حين يظهر فيحتل بعلمه أو عمله قمة أشبه بهذه القمة ؟

هذا هو محور المناقشة في الفصل الذى خصصه الجرجاني لتولى الرد على هذه التساؤلات وتفنيدها . يقول في مطلعه (٢) :

«وأعلم أن ها هنا باباً من التلبيس أنت تجده يدور، في أنفس قوم من الاشقياء وتراهم يومئون إليه، ويهمسون به، ويستهوون الغر الغبي بذكره، وهو قولهم: قد جرت العادة بأن يبقى في الزمان من يفوت أهله حتى يسلموا له ، وحتى لا يطمع أحد في مداناته ، وحتى ليقع الاجماع فيه أنه الفرد الذى لا ينازع ، ثم يذكرون إمرأ القيس والشعراء الذين قدموا على من كان معهم في أعصارهم ، وربما ذكر الجاحظ . وكل مذكور بأنه كان أفضل من كان في عصره . . ولهم في هذا الباب خيط وتخليط لا إلى غاية ، وهى نفثة نفثها الشيطان فيهم ، وإنما أتُوا من سوء تدبيرهم لما يسمعون وتسرعهم إلى الاعتراض قبل تمام العلم بالدليل . . .

« وذلك أن الشرط في المزية الناقضة للعادة ، أن يبلغ الأمر فيها إلى حيث يبهر ويقهر ، حتى تنقطع الأطماع عن المعارضة ، وتخرس الألسن عن دعوى المداناة ، وحتى لا تحدث نفس صاحبها بأن يتصدى ، ولا يجول في خلد أن الاتيان بمثله يمكن ، وحتى يكون يأسهم منه ، وإحساسهم بالعجز عنه في بعضه مثل ذلك في كله (٣) . . »

(١) عبدالكريم الخطيب ، اعجاز القران ص ٦٧ ،
(٢) الرسالة الشافية ص ١١٧
(٣) الرسالة الشافية ١١٧

هذا الذى يقرره الجرجاني . . هو مقطع القول في هذا الأمر . . إذ ليس الذى يأتي به العبقرى ، أو النابغة من قول أو عمل ، الشيء الذى يقطع على الناس سبيل النظر فيه ، أو المساماة له ، أو الغلبة عليه ، فلم تشهد الحياة أبداً لإنسان أنه انقطع بعمله أو قوله عن منازعة الناس له ، والدخول معه فيما قال أو عمل ، فيقصرون عنه في جانب ، ويعملون عليه من جانب آخر ، فيما خيّل إلى الناس أنه انفرد به . .

ويقيم الجرجاني مقارنة أدبية نقدية يجعل محورها إمرأ القيس ، الذى عرف بأنه أشعر أهل زمانه ، ليصل عن طريق ذلك إلى تضحيد أقوال الظّانين وردّها فيقول :

« وليت شعرى من هذا الذى سلم لهم أنه كان في وقت من الأوقات من بلغ أمره في المزية وفي العلو على أهل زمانه هذا المبلغ ، وانتهى إلى هذا الحد — إن قيل امرؤ القيس فقد كان في وقته من يباريه ، ويُمَاتِنه ، بل لا يتحاشى من أن يدعى الفضل عليه ، فقد عرفنا حديث علقمة الفحل ، وأنه لما قال امرؤ القيس وقد تناشدا أيُّنا أشعر ؟ قال : أنا : غير مكترث أو مبالٍ حتّى قال امرؤ القيس : فقُل وأنعت فرسك وناقتك ، وأقول وأنعت فرسى وناقتى ، فقال علقمة ، إني فاعل ، والحكمُ بيني وبينك المرأة من ورائك ، يعنى أم جنَدب ، امرأة إمرئ القيس ، فقال امرؤ القيس :

خليلَيَّ مُرَّا بي على أمِّ جُنْدَبِ نُقَضِّ لُبَانَاتِ الفُؤَادِ المعذَّبِ

وقال علقمة :

ذَهَبت من الهِجْرَانِ في كل مَذْهَبِ ولم يَكُ حَقّاً كلُّ هذا التجنُّبِ

وتحاكما إلى المرأة ففضلت علقمة (١)

ويمضى الجرجاني ، فيروى ما جرى بين امرئ القيس وغيره من شعراء عصره من المساجلات والمباريات ، التى احتفلت بها كتب النقد والأدب ، ليصل في النهاية إلى ما يريد فيقول لقارئه :

« فاعلم أنهم إذا ذكروا في تعلقهم بالتوابع ومحاولتهم أن يمنعوا من الاستدلال مع تسليم عجز العرب عن معارضة القرآن ، من تراخى زمانه عن زمان النبى صلى

(١) الرسالة الشافية ص ١١٨

الله عليه وسلم ، كالجاحظ وأشباهه كانوا في ذلك أجهل ، وكان النقض عليهم أسهل ، وذلك أن الشرط في نقض العادة أن يعم الأزمان كلها ، وأن يظهر على مدّعى النبوة ما لم يستطعه مملوك قط . . »

« وأما تقدم واحد من أهل العصر سائرهم ، ففى معنى تقدم واحد من أهل مصر من الأمصار غيره ممن يضمه وإياه ذلك المصر ، لاَ فضل في ذلك بين الأمصار والأعصار ، إذا حققت النظر ، إذ ليس بأكثر من أن واحداً زاد على جماعة معدودين في نوع من الأنواع ، فكان أعلمهم أو أكتبهم أو أشعرهم أو أحذقهم في صنعه ، وأبرهم في عمل من الأعمال ، وليس ذلك من الاعجاز في شئ . .

إنما المعجز ما علم أنه فوق قوى البشر وقدرهم ، إن كان من جنس ما يقع التفاضل فيه من جهة القدر ، أو في علومهم إن كان من قبيل ما يتفاضل الناس فيه بالعلم والفهم .

ويدعم الجرجاني هذا الرأى بتقديم مثال ملموس من واقع الحياة الأدبية ، وهو ما بلغه الجاحظ وأمثاله من مكانة علمية وأدبية ، نتيجة لما استقوه من كلام بلغاء العرب الذى تقدموا في الأزمنة . . فيقول :

« وإذا كنا نعلم أن استمداد الجاحظ وأشباه الجاحظ من كلام العرب والبلغاء الذين تقدموا في الأزمنة ، وأنهم فجروا لهم ينابيع القول فاستقوا ، ومثلوا لهم مثلاً في البلاغة ، فاحتذوا ، إذن لم يبلغوا شأو ما بلغوا ، ولم يدُرّ لهم من ضروع القول ما درّ ، ولو أن طباعاً لم تشرب من مائهم ، ولم تُغتَذ بجناهم ، ولم يكن حالهم في الاكتساب منهم ، والاستمداد من ثمار قرائحهم ، وتشمم الذى فاح من روائحهم . حال النحل التى تغتذى بأريج الأنوار ، وطيب الأزهار ، وتملأ أجوافها من تلك اللطائف ، ثم تمجها أرياً وتقذفها مذياً (١) — إذن لكان الجاحظ وغير الجاحظ في عداد عامة زمانهم الذين لم يرووا ، ولم يحفظوا ، ولم يتتبعوا كلام الأولين من لدن ظهر الشعر ، وكانت الخطابة إلى وقتهم الذى هم فيه ، ولم يعرفوا إلا ما يتكلم به آباؤهم وإخوانهم ومساكنوهم في الدار والمحلة ، أو كانوا لا يزيدون عليهم إن زادوا إلا بمقدار معلوم » .

---

(١) الازى والمذى من اسمـــاءعسل النحل

« فمن أعظم الجهل واشد الغباوة أن يجعل تقدم أحدهم لأهل زمانه من باب نقض العادة وأن يُعدّ معدّ المعجز . »

وهنا تتضح الفكرة التى تبناها الجرجاني وقدّم لها ، وسعى إليها من كل هذا العرض والسَّرْدِ والتحليل، لقد فرق بين النبى ومعجزته، وبين العبقرى وما تجود به قريحته من آثار أدبية يتميز بها عن عصره ، ويفوق بها أنداده ومعاصريه ، فيبدو وكأنه في القمة . . هذه القمة التى حَبَتْ بها القدرة الإلهية الأنبياء والرسل وأيدتهم بها دون سائر الخلق .

وعلى الرغم مما توصل إليه الجرجاني حتى الآن من نتائج . . وما وضح من أفكار إلا أنه يبدو غير مقتنع . . فنراه يفرد فصلاً جديداً يلحقه بما فات ، يذكر فيه ما دار على ألسنة الناس ، وكأنه يعير هذا الموضوع اهتماما كبيرا ، ويجعل منه منطلقا لتفنيد مَزَاعِمِهِم ، وردّ إدعاءاتهم . . فيقول :

« إنا قد علمنا من عادات الناس وطباعهم أن الواحد منهم تواتيه العبارة ، ويطيعه اللفظ في صنف من المعاني ، يمتنع عليه مثل تلك العبارة وذا اللفظ في صنف آخر فقد يكون الرجل – كما لا يخفى – في المديح أشعر منه في المراثي . . وأنفذ منه في الحكم والآداب ، ونراه يستطيع في الأوصاف والتشبيهات ما لا يستطيع مثله في سائر المعاني . . وإذا كان كذلك ، فلعل العجز الذى ظهر فيهم عن معارضته القرآن لم يظهر لأنهم لا يستطيعون مثل ذلك النظم ، ولكن لأنهم لا يستطيعونه في مثل معاني القرآن . »

ويورد الجرجاني شواهد كثيرة من الشعر والنثر تؤيد وجهة نظره ، وتوضح هدفه . بعد ذلك – يرد رداً حاسماً يبطل كل إدعاء ، ويضحد كل زعم ، فيقول : « وإذا كان الأمر كذلك لم يمتنع أن يكون سبيل لفظ القرآن ، ونظمه هذا السبيل ، وأن يكون عجزهم عن أن يأتوا بمثله عن طريق العجز » .

« وأعلم أنهم في هذا كَرَامٍ قد أضل الهدف ، وبانٍ قد زال عن القاعدة ، وذلك أنه سؤال لا يتجه حتى يقدّر أن التحدى كان إلى أن يعبروا عن معاني القرآن أنفسها وبأعيانها بلفظ يشبه لفظه ، ونظم يوازى نظمه ، وهذا تقرير باطل .

فإن التحدى كان إلى أن يجيئوا في أى معنى شاءوا من المعاني بنظم يبلغ نظم القرآن في الشرف أو يقرب منه ، يدل على ذلك قوله تعالى :

« قل فأْتوا بعشرْ سُورٍ مثله مُفْتريات (١) » أى مثله في النظم . واذا كان كذلك كان بيّنا أنه بناء على غير أساس ، ورمى من غير مرمى ، لأنه قياس ما امتنعت فيه المعارضة من جهة ، وفي شئ مخصوص على ما امتنعت معارضته من الجهات كلها ، وفي الاشياء جميعها (٢) .

وهكذا وضحت فكرة الجرجاني . . العالم الأديب ، وهكذا أيضا وضح مفهومه للإعجاز . . لقد جعل الجرجاني نظم القرآن وجها يعلو على كل الوجوه ، وبنى عليه كل آرائه ، بل لقد جعله محور تأليفه وتصانيفه التى خصصها لدراسة البلاغة العربية عامة ، والبلاغة القرآنية خاصة .

ومن الحق أن نقول ان الجرجاني وقد توفي في القرن الخامس ( ٤٧١ هـ ) قد أفاد إفادة كبيرة من كل الآراء التى طرحت على مائدة البحث ، خاصة آراء الجاحظ والرماني والباقلاني ، درسها واستوعبها ، ولكنه تأثر أكثر ما تأثر بالرماني ( المتوفي سنة ٣٨٨ هـ في آرائه البلاغية، وإرجاعه أسرار الإعجاز القرآني إلى الوجوه البلاغية.

ومن الحق أيضا أن نقول — أن الجرجاني قد إلتقى مع الرماني فهما وتحليلا . كما إلتقيا في المنهج إذ أن منهج كل منهما كان يعتمد على الذوق الفنى ، والتذوق الأدبي ، وكلاهما نظر إلى أسلوب القرآن ووقفا على مواطن الحسن والجمال فيه ، ويتضح هذا الأمر من تساؤل الجرجاني . . ماذا أعجز العرب ؟ وعن ماذا عجزوا ؟ أعن معانٍ من دقة معانيه وحسنها وصحتها في العقول ؟ أم عن ألفاظ مثل ألفاظه ؟ ثم يجيب على هذا التساؤل بقوله : « أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه ، وخصائص صادفوها في سياق لفظه ، وبدائع راعتهم من مبادئ آية ومقاطعها ، ومجارى ألفاظه ومواقعها ، وفي مضرب كل مثل ومساق كل خبر وصورة ، كل عظة وتنبيه وإعلام وترغيب في كل حجة وبرهان وصفة وبيان (٣) » .

ولكن الجرجاني أخذ هذا المنهج الذى وضع أسسه الرماني ، فتوسع فيه ، وربط

---

(١) سورة هود الاية ٢٣

(٢) الرسالة الشافية ص ١٢٩

(٣) دلائل الاعجاز ص ٢٨

بين المعاني والألفاظ ، مؤكدا على وجوب تلاؤم الألفاظ مع بعضها من حيث جرسها وموسيقاها (١) .

كما أننا لا نستطيع أن ننكر جهد الباقلاني ( المتوفي سنة ٤٣١ هـ ) ومدى تأثر الجرجاني به ، فالباقلاني أول من أشار إلى النظم بوصفه أحد وجوه ثلاثة حددها الرجل للإعجاز القرآني ، بيد أن هذا الوجه عند الباقلاني لم يكن محدد المعالم ، واضح القسمات ، إنما الذى وضّحه وأبرز قسماته ومعالمه ، وألقى عليها مزيداً من الضوء : الجرجاني .

فلنستمع إلى قوله وهو يوضح مفهومه — بعد أن ردّ على القائلين والزاعمين وفنّد مزاعمهم ، « وإذا إمتنع ذلك فيها فلم يبق إلا أن يكون ( يقصد الإعجاز ) في النظم والتأليف . وكنا قد علمنا أن ليس النظم شيئا غير توخى معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم ، وأنّا ان بقينا الدهر نجهد أفكارنا حتّى نعلم للكلم المفردة سلكا ينظمها ، وجامعاً يجمع شملها ويؤلفها ، ويجعل بعضها بسبب من بعض ، غير توخى معاني النحو واحكامه فيها ، طلبنا ما كل محال دونه (٢) » .

فإن قيل : قولك ( إلا النظم ) يقتضى إخراج ما في القرآن من الاستعارة وضروب المجاز من جملة ما هو به معجز ، وذلك ما لا مساغ له . .

قيل : ليس الأمر كما ظننت ، بل ذلك يقتضى دخول الاستعارة ونظائرها فيما هو به معجز ، وذلك لأن هذه المعاني — التى هى الاستعارة والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجاز من بعدها — من مقتضيات النظم ، وعنها يحدث وبها يكون » .

وهكذا عمّق الجرجاني مفهومه للنظم ، ولم يقف عند حد ما وقف عنده الباقلاني لذلك وضح بين أفكاره هذا الوجه الإعجازى وضوحا جليا ، واستحق أن ينسب إليه دون غيره .

د. أحمد جمال العمـــرى

.........................

(١) انظر دلائل الاعجــاز ص٣١ ـ ٣٢
(٢) دلائل الاعجاز ٢٩٦


العقيدة
الإسلامية
أمام التحديات

# ملامح المجتمع الإسلامي

لفضيلة الشيخ محمد السيد الوكيل

تمهيد : لقد بعث النبى صلى الله عليه وسلم – والناس فوضى متفرقون ، لا تكاد تجد شخصين يلتقيان على كلمة سواء ، ولا زوجين يسيران في اتجاه واحد ، قبائل متناحرة ، وبيوت ممزقة واسر متفرقة .

مجتمع مهلهل في عقيدته ، مشتت في أوضاعه ووجهته ، واصدق تعبير عن هذا التمزق قول شوقي :

اتيت والناس فوضى لا تمر بهم ... إلا على صنم قد هام في صنم

بعث النبى – صلى الله عليه وسلم – وهذه حال العرب ، بل حال الدنيا كلها ، فكانت مهمته – صلى الله عليه وسلم – جمع الشتات ، ولم الشمل ، ولهذا جاء – صلى الله عليه وسلم – بالتوحيد ، توحيد العقيدة وتوحيد الوسائل وتوحيد الغاية .

هذا التوحيد الشامل لكل نواحى الحياة المختلفة ، هو الغاية العظمى التى من أجلها بعث رسول الله ، فقامت أمته على التوحيد ، حتى كان التوحيد اساس عقيدتها ، وواضع نظمها وثقافتها وروح منهاجها وطريقتهـا ومنطلق وسائلها وغايتها .

لم يكن هناك شئ يجمع هذه الأشلاء الممزقة الا التوحيد ، حيث عجزت هذه الأمة أن تلتقى على شئ فشلت عروبتها في جمعها ، كما عجزت آلهتها عن لم شملها ، وبالتالى عجزت صرخات الحنفاء من أبنائها الذين نادوا بالتحذير وحاولوا تبصيرها بعاقبة أمرها .

لقد عجزت كل الوسائل ، ولم يبق إلا التوحيد بمعناه الشامل الواسع الذى ذكرته سابقا . ولقد شاء الله – سبحانه لهذه الأمة أن تكون خاتمة الأمم ، كما شاء لرسالتها أن تكون للناس كافة ، فهى ليست دعوة أقليمية ، ولاهى

دعوة شعوبية ، بل هى للأمم عامة وللناس كافـــة « وما ارسعناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا » (١) .

فكان لابد لهذه الأمة المصطفاه ، التى كتب لهـــا ان تبقى لتشهد مصرع الحياة ، كان لابـــد لهذه الأمة مـــن ملامح تميزها عن غيرها من الأمم التى ستعاصرها في تلك الحقيقة من الزمان ، فكانت تلك الملامح مجتمعة في التوحيد : وحدة العقيدة ، وحدة الوسائل ، ووحدة الغايـــة .

١ — وحدة العقيدة :

العقيدة أهم وسائل توحيد الأمة ، لأن الأمة إذا كانت موزعة العقيدة متفرقة الدين تتخطفها آلهة شتى ، ويتنازعها أرباب متفرقون ، كانت أمـــة مبعثرة الاتجاه ، ممزقة الشريعة ضالة الغاية .

فتوحيد العقيدة يتجه أولا إلى توحيد الله — عز وجـــل — إذ يقتضى التوحيد أن يكون إلهها واحدا ، وأن يكون هو ربها الذى تدين له بالربوبية ، وهو هو — سبحانه معبـــودها الذى تعنو له جباهها .

وتوحيد العقيدة يقتضى صرف العبادة بأنواعها المختلفة إلى ذلك الإله الواحد ، فيكون توكلها عليه ، ورجاؤها فيه ، وخوفها منه ، ومحبتها له ، كما يكون نذرها وذبحها ، واستغاثتها واستعانتها ، ودعاؤها وأملها ، كل ذلك يكون لذلك الإله الواحد — جل وعـــلا — .

وإن أول تفرق الأمة وتمزقها ، يأتيها من تفرق عقيدتها ، فدعاء الناس مخلوقا لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا هو أول أبواب الشر الكثيرة التى تفتح عليهم وخوفهم من المخلوقين وتوقع الضر والنفع منهم هو أعظم البلاء الذى ينزل بهم ، وتوكلهم على ذوى الجاه والمناصب واعتقادهم بأنهم هم الذين يسيرون الأمور ، ويدفعون الشرور ، هو اكبر المخاطر التى تحيق بهم .

فإذا تحقق التوحيد — بهذا المعنى — في القلوب ، وسيطر على النفوس ، غير مجرى الحياة كلها ، فترى الناس يستمدون قوتهم من الله الواحد ، ويستلهمون خطتهم من الإله الواحد ، تطمئن قلوبهـــم إلى نصره ، وتطمع نفوسهم في تأييده ، وتمتد إليه — سبحانه أيديهم بالسؤال ، لأنه وحده الذى يملك الإجـــابة وتعنو جـــباههم له بالعبادة ، لأنه الواحـــد الذى يستحق العبادة ، وتطاطئ رؤسهم لعظمته ،

(١) سورة سبا الاية (٢٨)

لأنه الواحد المتفرد بالعظمة ، وتنحنى هاماتهم خضوعا لجلاله ، لأنــه وحده ذو الجلال والإكرام ش وتنقطع آمالهم إلا من كرمه لأن خزائنه سحاء الليل والنهار ، وتخضع اعناقهم لحكمه ، لأنه ــ جل شأنه ــ لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه .

فهو ــ جل جلاله ــ الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن لــه كفوا أحــد .

إن عقيدة التوحيد تجمع القلوب المتفرقة ، وتمــد الضعفاء بقوة فوق قوة البشر وتجعل الأمة المبعثرة الممزقة وحدة ترهب الأعداء ، وتحقق الآمال ، وتنشر العــزة بين الصفوف فيواجهون الشدائد بعزة المؤمنين ، ويتغلبون على الصعوبات بقوة اليقين بنصر الله .

تلك هى اللمحة الأولى من ملامح المجتمع الإسلامى وهى اللمحة الأهم التى ركز عليها الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ منذ بعثته حتى انتقل إلى جوار ربه .

## ٢ ــ وحدة الوسيلة :

إذا كانت وحدة العقيدة هى اللمحة الأولى للمجتمع الإسلامى فإن وحدة الوسيلة هى اللمحة الثانية من تلك الملامح ووحدة الوسيلة من أهم أسباب وحدة الأمة لأن الوسائل هى الطرق المؤدية إلى الغاية .

والغاية في الاسلام هى إرضاء الله ــ عز وجل ــ بطاعة فيما أمر ونهى وإخلاص العبادة له وحده دون سواه « وما خلقت الجن والأنس الا ليعبدون » (١)

ولقد شرع الإســلام الوسائل التى تتضمن توجيه الناس إلى الغاية التى خلقوا لها حيث شرع العبادات ، وكلف بها الجميع على السواء ، وهى علاوة على كونها عبادة لله ــ عز وجل ــ فإنها وسائل تجمع الأمة ، وتخط لها طريقا سويا ، تسير فيه على هدى وبصيرة حتى تصل إلى غايتها .

والوسائل في الإسلام يجب أن تكون شريفة تشرف الغاية التى تريد الوصول اليها ، والإسلام يرفض القاعدة التى اختطها بعض الناس ، ورسموا على أساسها منهج حياتهم ، وهى ( الغاية تبرر الوسيلة ) برفض الإسلام تلك القاعدة ، لأن الغاية التى يعمل لهانظيفة وشريفة ولا يمكن الوصول إليها إلا بالوسائل النظيفة الشريفة .

---

(١) الزاريات : ٥٦

فمهما كانت عظمة الغاية ، ومهما كانت حاجة الإنسان إليها ، فإن ذلك لا يبرر مطلقا الوصول إليها بوسائل غير مشروعة ، لأن الوسائل غير المشروعة ، لا توصل إلا إلى غايات غير مشروعة.

فإذا كنت تريد جمع المال الحلال ، فإنه لا يمكنك الوصول إليه بطريق الربا ، أو الاحتكار أو الرشوة أو القمار .

وإذا كانت غايتك أن تعف نفسك ، فلا يمكنك ذلك عن طريق الزنا أو اللواط . وإذا أردت أن تكون شجاعا ، فلا يتأتي ذلك بالاعتداء على الناس ، وظلم الضعفاء . وفرق واضح بين أولئك الذين يتحرون الحلال في المكسب والمطعم والمشرب ، وبين أولئك الذين يريدون جمع المال ، ولا يهمهم كيفية الحصول عليه ، وبين أولئك الذين يريدون إعفاف انفسهم ، وبين الذين لا هم لهم إلا اشباع رغباتهم، وبين الشجاع الأبي وبين المعتدى الأثيم .

الفرق واضح بلا شك ، لأن الغاية الشريفة تأبي أن تنال بوسائل خسيسة لهذا فإننا نرفض تلك القاعدة ، ونرفض أن تكون منهاج حياتنا ، ولهذا أيضا كانت وسائلنا كلها وسائل سامية ، تدعو إلى مثل وفضائل عالية ، وهى تجتمع كلها في العبادات .

## كيف تحقق الوسائل أهدافها ؟

سنرى فيما يأتي كيف تحقق هذه الوسائل أهدافها ولنبدأ بالصلاة :

الصلاة : فالصلاة تجمع المسلمين في الحى كل يوم خمس مرات ، وفي كل أسبوع مرة على صعيد القرية أو المدينة في صلاة الجمعة ، ثم في كل عام مرتين في صلاة العيدين على صعيد المدينة .

ولا يجوز لمسلم يسمع النداء ، وهو غير معذور ، ثم يصلى في بيته ، وهذه الصلاة تكون في جماعة ليجتمع المسلمون فتزيد قوتهم ، وتقوى روابط المحبة والمودة بينهم .

الصيام : وهو فريضة جماعية من حيث زمانه ، فلا يجوز لمسلم أن يصوم شهر شعبان بدلا من شهر رمضان ، وفترة الصيام محدودة من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، وذلك هو عين المعنى الجماعى الذى ينشده الإسلام .

الزكاة : تجمعها الدولة من كافة الموسرين وتوزع على المحتاجين ، فمجموع المسلمين الأغنياء يحسون بحاجة إخوانهم الفقراء ، فيبذلون من أموالهم ، فتتوطد علاقات المحبة ،

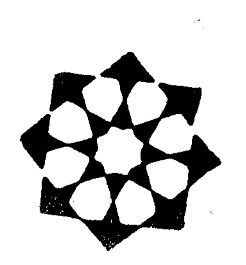
والمودة بين أفراد الشعب ، فيعيشون كالجسد الواحد .

ثم الحج : وهو فريضة يظهر فيها الجانب الجماعى واضحا ، فالمسلمون يلتقون في يوم واحد ، وليس لمسلم ان يتقدمه أو يتأخر عنه ، ثم هم يلبسون زيا واحدا ، ويؤدون أعمالا جماعية ، واجتماع المسلمين في يوم واحد ، ومكان واحد ، وقيامهم باعمال واحدة كل ذلك ينمى فيهم الروح الجماعية التى جاء من أجلها الإسلام .

ومن هذا العرض السريع نتبين أن العبادات التى فرضها الله — تعالى — على المسلمين ، كلها وسائل تجميع للأمة تربي فيهم حب الجماعة ، وتنمى فيهم الروح الجماعية .

فالإسلام إذن هو دين التوحيد الخالص ، دعا إليه في العقيدة ، ورسمه في الوسائل وفرضه على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وتلك هى اللمحة الثانية من ملامح المجتمع الإسلامى فالمجتمع الإسلامى هو المجتمع الذى يعيش بعقيدة التوحيد ، ويتوصل إلى غايته بوسائل واحدة .

وهناك لمحة ثالثة موعدنا معها العدد القادم :



# الإنسان .. والعصيان .. !

لفضيلة الشيخ عبد الفتاح عشماوى

**لقد هممت أن أقلب العنوان فأجعله ( العصيان والإنسان ) فتصبح كلمة ( العصيان ) سابقة لكلمة ( الإنسان ) ، لولا خشيتى من أن أقلب معها ترتيب الخلق الإلهى ، حيث كان الإنسان ثم العصيان ، وسبب تفكيرى في أن أجعل المعصية أولا ، هو أن الإنسان من شدة حرصه على أن يذنب ، يكاد يجعل عمره بحثا عن الذنب أين يكون ليقترفه ، فالإنسان هو اللاحق التابع ، وذنبه هو السابق المتبوع ، ودليلى فيما ذهبت إليه من هذا التصوير ، هو كلام خالق الإنسان سبحانه ، حيث يقول : ( فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ) ( ومن أضل ممن اتبع هواه ) . .**

فالآيتان الكريمتان تخبران بأن الأهواء هى المتبعة ، وأصحابها هم التابعون لها ، وقوله أيضا عز من قائل : ( أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ) ، فالآية هنا لم تجعل الذنب متبوعا من الإنسان فقط كما في الآيتين السابقتين ، وإنما زادت بأنه قد اتخذ إلها ، فالمعروف بأن الإله هو المطاع ، والعابد هو المطيع ، فهل يكون في الأمر غرابة إذا عكسنا العنوان وقلنا : ( العصيان والإنسان ) ، بعد أن سمعنا قول العليم بما نخفى وما نعلن ، وبما أكد أن الإنسان هو المنقاد لذنبه ، بغض النظر عن الدافع لأرتكاب الذنب شيطانا كان أو نفسا أمارة ، وبغض النظر أيضا عن النسبة القليلة المطيعة في المجموعة البشرية ، الذين غلب خيرُهم شرَّهم ، ولم يسمحوا للنفس ولا للشيطان عليهم بمطلق السلطان ، لأن الشيطان نفسه بادئ أمره في السماء قد أعلن ذلك أمام هذه القلة العاقلة من الذرية الآدمية ، حين قال لربه : ( لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا ) ، فقد أدرك أن هؤلاء المطيعين سيكونون مستعدين للمقاومة الدائمة لكل نوازع السوء ، فيصبح حديثى عنهم تحصيل حاصل ، ولأنهم قليل ما هم حيث أحبوا العمل وكرهوا القول ، وأنفوا التحدث عنهم ، فلم يعطونا من أنفسهم مادة لنكتب عنهم أو نخطب ، أما عكسهم فهم الأكثر والأشهر ، فقد قدموا المدد

العريض من شرهم ليقول عنهم من شاء بما يشاء ، إذاً لما جعلت الإنسان والعصيان شيئين لا يفترقان ، وعبرت عن الفريق الذى فسق عن أمر ربه لكثرته كأنه الكل ، ما غلوت في ذلك ، خاصة بعدما سمعنا عن اللعين أبي الشيطان ( لأحتنكن ذريته ) أى لأستأصلن الخير من كل ذرية آدم ولم يستثن إلا القيل الذى ذكرته الآية ، واستثناؤه لهذا القليل هو الدليل على عجزه عن بلوغ قصده ، وإلا لاحتنك كل الذرية ولم يستثن أحدا ، فقد قيل إنه سئل عن أى شئ أحب إليه فقال : لو عرض علىّ ملك الدنيا وأن أضل واحدا من ذرية آدم لاخترت الثانية ، إذاً فقد أطيع ممن أطاعوه بسهولة منهم ورضا ، وهو بنفسه سيقول هذا يومها ( وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستحببتم لى ، فلا تلوموني ولو موا أنفسكم ) وعليه فلا يجوز للعصاة قولهم غلبنا الشيطان ، والصحيح أن يقولوا دعانا فاستجبنا ، حيث لم نستعمل مجرد العقل لندرك به النجاة من الهلكة ، وحيث تقرر في الآخرة الحقيقة التى كان يكفى فيها تحكيم العقل قبل النقل ، عندما يقال لهم عن حصاد الشيطان معهم : ( ولقد أضل منكم جبلا كثيرا ، أفلم تكونوا تعقلون ) ؟ فهو هنا سبحانه اكتفى بذكر العقل الذى هو أساس فهم الأمر ضار ا كان أو نافعا ، وما الرسل مع العقل إلا مبشرين لمن عقل ، ومنذرين لمن جهل ، والعجب في الإنسان أنه ما نقم وكان لربه خصيما ، إلا وهو موقن من أنه أكثر المخلوقات استئثاراً بما في دنيا الله من نعم ، وغمره بما في سمائه وأرضه من خير ( وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه ) ولأني مصر على أن الإنسان أذل نفسه للمعصية وجعلها سيدته المتحكمة في أمره ، ولم يكرم آدميته المكرّمة من الله ، ولا ما أشهده على نفسه يوم أن أخذ من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ، أقدم دليلا من قصة أمر رسولنا صلى الله وسلم أن يقصها علينا ، ( فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ) ، ليعلّمنا بها سبحانه أن أول عمل عمله الإنسان على الأرض بعد الإشهاد والتكريم ، هو مقابلة الإحسان بإغضاب المحسن تعالى ، وبأفحش ما يستجلب به سخطه ، فكانت أول معصية وقف أمامها الإنسان أحقر ما يكون ، لما فتك بإنسان مثله ، وجعل بداية ما تستقبل الأرض هو الدم الأحمر القاني يختلط بثراها ، يتفجر من جسد المظلوم هابيل ، بيد قابيل أخيه ابن أمه وأبيه ، من هنا ، كان الشر في الدنيا هو السائد ، والذّنب للإنسان هو القائد ، واستحق أن يكون ظلوما جهولا ، لمّا لم يكن مع عهد الله من الأوفياء ، ولا على أمانته من الأمناء ، والقصة هى ، ( واتل

عليهم نبأ بنى آدم بالحق ، إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ، قال لأقتلنك ، قال إنما يتقبل الله من المتقين ، لئن بسطت إلىّ يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك ، إني أخاف الله رب العالمين ، إني أريد أن تبوء بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ، فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله ، فأصبح من الخاسرين ) ، فالأخ القتيل ذكر أخاه القاتل بربه وخوفه منه ، لما ذكر له أنه لن يرد سوء العمل بمثله لأنه يخاف الله ( لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك ) السبب ( إني أخاف الله رب العالمين ) لكن لما كان جانب الشر في الإنسان أقوى وأسبق ، وأنه عندما يسيطر عليه شره ، يصبح الأسير المطيع لخبث نفسه ، وعلى هذه الصورة قدمت إلينا الآية قابيل القاتل بأنه وقد ذكره أخوه بربه ، ورهبه من ناره التى أعدها لكل أثيم ، ، عندما قال له : ( فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ) . أقول بعد هذا كله ، لم تتحرك شعرة في قابيل نحو أخيه من حنو أو رحمة ، ولم يحاول التخلص من طاعة نفسه المتوحشة ، وإنما انقاد لها ذليلا بأسرع ما تكون الطاعة ( فطوعت له نفسه ) ، وقتل من ؟ تقول الآية ( قتل أخيه ) وبهذا قضى عليه بالخسران ( فأصبح مـــن الخاسرين ) ، ووضع قابيل بإثمه بداية الخُسْرِ على الأرض لما أصبح أول خاسر ، فكانت الكثرة والهيمنة فيها من نوع أول ما عمل على ظهرها ، وهو الكفر بالله والاقتران بمعصيته ، وهكذا انطلق الإنسان في أحقاب الدنيا متقلبا في دركْ المنكر ينوعه ويفرعه ، لا يرده حياء ولا يخجله فحش ، حتى أتي نوعا من الذنب بعد القتل تكاد السماء منه تنهال وتندك له الجبال ،ما فعلها كائن من خلق الله ولا عالما من عالمينه، لقد رأى الكثير منا أحط الحيوانات تتناكح ، كالقرد والخنزير والكلب، ورأينا كيف تترفع هذه الحيوانات وتتعفف من أن يعتلى الذكر ذكرا مثله ، ويرفض أن يقذر نفسه بمفرز الغائط ، يحدث هذا من أحط الكائنات التى يسميها العلماء حيوانات غير محترمة ، ولكنها أثبتت أنها محترمة عن الإنسان لما تعالت عن هذه الفعلة الوسخة ، وراح هو يفعلها ليكون في ذلك أحط من الكلب والقرد والخنزير ، وليكون له فضيحة البدء وعار السبق بعمل لم يكن له من قبل وجود في دنيا الله ، عندما اعتلى الإنسان الإنسان تاركا أنثاه التى كمل الله بها إنسانيته وذرأ بها نوعه ، وذلك بما حكى القرآن على لسان نبى كريم ( ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين ، إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء ، بل أنتم قوم مسرفون ) ، فالآية هذ

لم نقل : أتأتون الكبيرة ، لأنها قد تدخل مع أنواع الكبائر على عمومها ، وإنما وصفت بأغلظ وصف وضع لكبائر معينة لا يؤجل أمرها إلى لقاء الآخرة ، كذلك أثبتت الآية دليلا إلى ما تقدم من أدلة على أن الإنسان أسلم قياده للمعصية ، حتى جعلها تسبق وهو يلحق ، لما قال لوط عليه السلام لقومه المنضوحين : ( ما سبقكم بها من أحد من العالمين ) ، والتفسير هنا واضح من أن كلمة ( أحد ) مقصود بها كل كائن حي وليست مقصورة على جنس الإنسان ، أى لم يسبقكم إليها كائن ما والدليل قوله : ( من العالمين ) ، فلو كان القصد عالم الإنسان فقط ما جمعت الكلمة على الإطلاق ، وحتى كلمة ( ما سبقكم ) ، ليس الغرض منها — والله أعلم — السبق الزمني وحده ، وإنما السبق الزمني والفعلى قبل لوط وبعده ، فإنه وإن كان الإنسان لم يفعلها قبل إنسان لوط لكنه لا زال يرتكبها نوع من الإنسان حتى الآن ، أما الحيوان فلم يفعلها لا قبل لوط ولا بعده ، ومن هنا يكون معنى قوله ( ما سبقكم بها من أحد من العالمين ) لم يفعلها غيركم من كل العالمين ، ولذلك كان عقاب الله فريدا في نوعه لم يقع لقوم أى رسول ( فجعلنا عاليها سافلها ، وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ) أى محمية في النار ، لأن عملهم بلغ قمة الإسراف بوصف نبيهم لهم ( بل أنتم قوم مسرفون ) ، واليوم نسأل ، هل هذا العمل الذى سمعنا عنه الآن ما يرعب ، قد قطع دابره اليوم من أمتنا الإسلامية على أساس أننا أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولسنا أمة لوط عليه السلام ؟ سؤال معلوم جوابه في قصة الإنسان والعصيان .

إن المعصية في ذاتها شئ لابد أن يكون ، فالعصمة لرسل الله وأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم ، ولكن الذى لا يجوز أن يكون ، هو أن تستمر المعصية حتى تشقى صاحبها ، وأنواعها شتى لا يحيطها حصر ، لكنها جميعها تقع بين دفتى معصيتين ، إحداها كبراها وهى التى تلبس صاحبها الكفر عندما يأبي الاعتراف بموجده سبحانه ، والثانية صغراها وهى مقترفة اللمم ، وهذه سنفصل أمرها بعد ان شاء الله ، حيث هى للمسلم الذى تقع منه صغائر وكبائر ، أما الكافر فلا صغائر له ولا كبائر ، فقد انضوى كل قبحه تحت ذروة ظلمه ( فمن أظلم ممن كذّب بآيات الله وصدق عنها ) ، أى لا أحد أظلم منه ، فكل ما يصدر منه كفر صغر أو كبر ، لكنه وهو في قمة أو قمامة كفره إذا فطن إلى سوء نفسه ، وزكاها بعد أن دساها ، وفهم بأنه وُجد من موجد واحد يتحتم أن يوحد ، فمرحبا به في سعة ربه يكرمه ويفرح به

ويقبل عليه وكأنه لم يكفر به يوما ، مهما طال كفره وفحشت معصيته ، وإليكم من نوع تصحيح الإنسان لإنسانيته عندما يميل عنها، قصتان من وقائع عصر النبوة، أولاهما وقعت من عبد الله بن الزِبَعْرَى لما هرب يوم الفتح إلى نجران ، وكان شاعرا حتّى قيل إنه أشعر شعراء قريش ، وسخر شعره في هجاء المسلمين ، فبلغه ما قاله عنه حسان بن ثابت رضى الله عنه في هذين البيتين : —

| | |
|---|---|
| لا تعد من رجلا أحلك بغضه | نجران في عيش أخس لئيم |
| غضب الإله على الزِبَعْرَى وابنه | وعذاب سوء في الحياة مقيم |

فلما بلغه شعر حسان رجع حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في أصحابه، فلما نظر الرسول إليه قال لهم: (هذا ابن الزبعرى ومعه وجه فيه نور الإسلام ) ، فلما وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : السلام عليك يا رسول الله ، شهدت أن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله ، والحمد لله الذى هداني للإسلام ، لقد عاديتك وأجلبت عليك ، وركبت البعير والفرس ومشيت على قدمى في عداوتك ، ثم هربت منك إلى نجران وأنا أريد أن لا أقرب الإسلام أبدا ، ثم أردني الله منه بخير وألقاه في قلبي وحببه إلى ، وذكرت ما كنت فيه من الضلالة واتباع ما لا ينفع ذا عقل من حجر يعبد ويذبح له لا يدرى من يعبده ومن لا يعبده فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : ( الحمد لله الذى هداك للإسلام ، إن الإسلام يجب ما كان قبله ) ، ثم قال بعد ذلك هذه الأبيات : —

| | |
|---|---|
| منع الرقاد بلابل وهموم | والليل معتلج الرواق بهيم |
| مما أتاني أن أحمد لا منى | فيه فبت كأننى محموم |
| إني لمعتذر إليك من الذى | أسديت إذ أنا في الضلال أهيم |
| فاليوم آمن بالنبى محمد | قلبي ومخطئ هذه محروم |
| فاغفر فدى لك والدىّ كلاهما | زللى فإنك راحم مرحوم |
| وعليك من علم المليك علامة | نور أعز وخاتم مختوم |
| أعطاك بعد محبة برهانه | شرفا وبرهان الإله عظيم |
| ولقد شهدت بأن دينك صادق | حق وأنك في العباد جسيم |
| والله يشهد أن أحمد مصطفى | متقبل في الصالحات كريم |

والثانية من صحابي منسى قل الحديث عنه ، مع أنه ابن عم شقيق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وشبيهه في الخلقة والخلق ، وهو أبو سفيان بن الحارث ، غير أبي سفيان بن أمية حتى لا يشتبه الأمر على بعضنا لقلة معرفة صاحب القصة كما ذكرت إلا بكلمات في كتيبات ، يقول أهل السيَر : كان أبو سفيان بن الحارث بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخوه من الرضاعة ، أرضعته حليمة بنت سعد ، وكان يألف رسول الله قبل البعثة ، فلما بعث عاداه أبو سفيان عداوة لم يعاد بمثلها أحد قط ، فمكث عشرين سنة عدوا لرسول صلى الله عليه وسلم ويهجو المسلمين بشعره ويهجونه ، ولا يتخلف عن موضع تسير فيه قريش لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى نصر الله رسوله وتهيأ لفتح مكة ، قال أبو سفيان بن الحارث : فقلت : من أصحب ومع من أكون ؟ . قد ضرب الإسلام بجرانه ، فجئت زوجتي وولدّى فقلت : تهيؤو للخروج من مكة فقد أظل قدوم محمد ، قالوا : قد آن لك أن تبصر أن العرب والعجم قد تبعت محمداً وأنت موضع في عداوته وكنت أولى الناس بنصرته ، فأصاب قولهم موضعا في نفسى ، فخرجت متوجها نحوه على قدمى نحوا من ميل ، وكان قد نذر دمى ، فتنحيت خوفا من أصحابه ، فلما طلع في موكبه تصديت له تلقاء وجهه ، فلما ملأ عينيه منى أعرض عنى بوجهه إلى الناحية الأخرى ، فتحولت إلى ناحية وجهه فأعرض عنى مراراً ، فأخذني ما قرب وما بعد ، وقلت : أنا مقتول قبل أن أصل إليه ، وأتذكر بره ورحمه فيمسك ذلك عنى الخوف ، وقد كنت أظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه سيفرحون بإسلامى فرحا شديدا لقرابتى برسول الله . فلما رأى المسلمون إعراضه عنى أعرضوا عنى جميعا ، فلقينى أبو بكر معرضا عنى ، ونظرت إلى عمر فقال لى : يا عدو الله ، أنت الذى كنت تؤذى رسول الله وتؤذى أصحابه ، قد بلغت مشارق الأرض ومغاربها في عداوته ، ورفع صوته واستطال علىّ ، فدخلت على عمى العباس فقلت يا عم قد كنت أرجو أن يفرح بي رسول الله بإسلامى لقرابتى وشرفي وقد كان منه ما رأيت فكلمه فيّ ليرضى عنى ، قال : لا والله لا أكلمه كلمة بعد الذى رأيت إلا أن أرى وجها ، إني أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهابه ، فقلت يا عم ، إلى من تكلنى ؟ قال : هو ذاك ، فلقيت عليا فكلمته فقال لى مثل ذلك ، فخرجت فجلست على باب منزل رسول الله حتى راح إلى الجحفة ، وهو لا يكلمنى ولا أحد من المسلمين ، وجعلت لا ينزل منزلا إلا وأنا على بابه ومعى ابنى جعفر قائم ،

فلا يراني إلا أعرض عني ، فخرجت على هذه الحال حتى شهدت معه فتح مكة ، وأنا في خيله التي تلازمه حتى نزل الأبطح ، فدنوت من باب قبته فنظر إليّ نظراً هو ألين من ذلك النظر الأول ورجوت أن يتبسم ، ودخل عليه نساء بني عبد المطلب ودخلت معهن زوجتي فرققته عليّ ، وخرج إلى المسجد وأنا بين يديه لا أفارقه على حال ، حتى خرج إلى هوازن في حنين فخرجت معه ، وقد جمعت هوازن جمعا لم تجمع العرب مثله قط ، فلما لقيتهم قلت : اليوم يرى أثرى إن شاء الله ، فلما لقيناهم حملوا الحملة التي ذكر الله ( ثم وليتم مدبرين ) وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته الشهباء وجرد سيفه ، فاقتحمت عن فرسى وبيدى السيف صلتا قد كسرت جفنه ، والله يعلم أني أريد الموت دونه ، وهو ينظر إلى لا يعرفني حيث لم يبد إلا عيناى ، وأخذ العباس بلجام البغلة وأخذت بالجانب الآخر ، فقال : من هذا : ؟ فقال العباس : أخوك وابن عمك أبو سفيان بن الحارث ، فارض عنه أى رسول الله ، قال : قد فعلت ، فاغفر الله له كل عداوة عادانيها ، ثم التفت إلى فقال : (أخى لعمرى)، ثم أمر العباس فقال : ناد يا أصحاب السمرة ( أى شجرة الرضوان ) يا للمهاجرين ، يا للانصار ، فأجابوا ، لبيك داعى الله ، وكروا كرة رجل واحد ، قد حطموا الجفون وشرعوا الرماح وخفضوا عوالى الأسنة وأرقلوا إرقال الفحول ، يؤمون الصوت صائحين ، يا لبيك يا لبيك ، حتى أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتقدم رسول الله في نحور القوم ما يألوا ما تقدم ، فما قامت لهم قائمة وتفرقوا في كل وجه ، وذكر ابن عبد البر بإسناده عن عائشة رضى الله عنها قالت : مر علينا أبو سفيان بن الحارث فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( هلمى يا عائشة حتى أريك ابن عمى الشاعر الذى كان يهجوني ، أول من يدخل المسجد وآخر من يخرج منه ، لا يجاوز طرفه شراك نعله)، فقد روى أنه رضى الله عنه ظل لا يرفع رأسه إلى النبى صلى الله عليه وسلم حياء منه حتى مات ، ولما لحق النبى صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى بكى عليه كثيرا ورثاه بقصيدة مؤثرة موضحة في كتب السيرة ، ولما حضرته رضى الله عنه منيته ، بكى عليه أهله فقال لهم : لا تبكوا عليّ ، فما تنطفت بخطيئة منذ أسلمت ، انتهت القصة أو أكثرها ، فابن الحارث إبان كفره لم يكن سلبى الكفر ، بمعنى أنه لم يقف عند تكذيب ابن عمه صلوات الله عليه كما فعل كفار غيره ، اكتفوا بإعطاء ظهورهم للرسول واتجهوا منكبين على أصنامهم ، أما هو فقد جسّم كفره بلسانه وسيفه يظلمان معه على امتداد عشرين

عاما قضاها خصيما لمن هو عند الله أكرم الخليقة حتى نذر دمه ، ومع هذا كله وجد عند الله الترحاب في أوسع رحاب لما فر إليه من كفره ( قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ) ، فما عذر الكافر اذا بقى بعد ذلك على كفره ، والعاصى إذا بقى على معصيته،وثاني ما في قصة ابن الحارث أن الرسول صلىالله عليه وسلم وضع إسلام ابن عمه في يوتقة امتحان الإيمان ، إبتداء من الإعراض عنه أول ما لقيه إلى أن احمر جمر يوم حنين ، فأثبت رضى الله عنه أن الإسلام ألبسه حلة العزة لما قال يومها عن الرسول : والله يعلم أني أريد الموت دونه ، وعندئذ فاز بأعلى وسام يوضع على صدور الأعزة على الكافرين ، ساعة أن قال له القائد صلوات الله عليه : ( أخى لعمرى) ، فما بال أمتنا اليوم رغبت عن التزين بهذا الوسام ، ولماذا نكس علم الجهاد وبقاعنا الغوالى في كل مكان تنادى منقذيها ؟ سؤال معلوم جوابه ، في قصة الإنسان والعصيان .

ومن المؤسف أن بعض من يتصدرون المجالس والمجامع ليبلغوا عظة الله إلى عباده أن يقدموا إليهم قول الله تعالى : ( إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ) ، بصورة تفتح للشيطان بابا واسعا ليلج منه إلى نفوس من يسمعونهم ، فهذا البعض المتحدث عن هذه الآية يكتفى بتقديم بشرى لسامعيه بأن الصغائر يمحوها ترك الكبائر ، فهذا التفسير من حيث السطحية صحيح ، ومن حيث فهم الكثير من مستمعيه فهو جد شنيع ، حيث يظن أنه لا عليه إذا فعل الصغيرة لأنها تغفر تلقائيا ما دام اجتنب الكبيرة ، فيندفع في معاصيه غير مميز بين الصغائر والكبائر ما دام قد استثنى السبع الموبقات وما عداها مباح لا إثم عليه في نظره ، لكنه لو فهم بأن الآية الكريمة تقرر المغفرة لما سبق من كلا الذنبين إلى يوم التوبة ، وأن تحريم الصغيرة قائم ولو بعد التوبة من الكبيرة ، وأن عليه وزرها ما لم تقع منه خطأ أو جهلا أو نسيانا وهو حريص على تركها ، فيجبها ترك الكبائر وتغفر إن شاء الله ، هنا يعلم أن ما حُرّم حرام بأصله وفرعه ، أما إن فهم المعنى بغير ذلك أو علمت الصغيرة ولكن فاعليها تقاُلوها غير مبالين، وحسبوها هينة ، وأمرها عند الله عظيم فما أظنهم إلا سيزاملون صاحب الكفر الصريح في الآخرة ، فيصبح الكافر وقد تأكدت له النار يرافقه المسلم إذا ارتكب الصغيرة باستهتار، ولدينا الوفير من أدلة قرآنية ونبوية يكفى عنها بعضها نقدمها إليكم ، ونبدأ المثال بآية تثبت الحرمة في شئ يتصور الناس أنه لا عقاب مطلقا على فاعلها ، فهى عندهم في قائمة الحلال

أصغر من أن تذكر ، وتلك هى الأكلة الشهية يستلذها فيرسل منها الكثير إلى جوفه حتى يتخم ، يقول عز من قائل : ( وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ) ، فما ذكرته الآية من أكل وشرب واضح أنه من مصدر حلال بدليل قوله تعالى : ( وكلوا ) ، فالله لا يأمر بالفحشاء ، ومع أنه حلال طيب فقد يتحول الآكل إلى مرتكب حرمة توقع العقاب إذا أفرط في الشبع ، بنص نهاية الآية ، ( إنه لا يحب المسرفين ) . فنفى الحب عن العبد من الله يؤدى إلى عقابه ، وشبيه بهذا التعبير قوله : ( إنه لا يحب الكافرين ) ( والله لا يحب الظالمين ) ، فأهل العلم يقولون بأن نفى الحب يثبت البغض ، ولا بغض دون أن ينال المبغض وبال أمره ، مع التفاوت في مراتب العقاب حسب الذنب وبما يقضى به الله، فملء البطن وهو شر وعاء يملأ كما ذكر صلى الله عليه وسلم صغيرة ليس لها مقياس عند الكثير من الناس، وقصة القطة التى يستوى في نظرنا أن تموت أو تعيش ، هل كان دخول المرأة النار بسببها كما أخبر صلوات الله عليه إلا باستصغار حبسها ، وهل كان عذاب صاحبي القبرين إلا باستصغار أحدهما لقطرة بول تنزل في سرواله أو لا يستتر منها ، والثاني باستصغار كلمة وشاية يحرك بها لسانه بسهولة ابتلاع ريقه ، وهل الذى أنبأ عنه المنبأ صلوات الله عليه بأنه حرم من عافية الله إلا لأنه استصغر المجاهرة والمجانة حيث لم تكونا من الكبائر عنده ، ففى الحديث المروى عن البخارى ومسلم : ( كل أمتى معافي إلا المجاهرين ، وإن من المجانة أن يعمل الرجل بالليل عملا ، ثم يصبح وقد ستره الله فيقول : يا فلان ، عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره به ، ويصبح يكشف ستر الله عنه ) ، والعجب أن الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر أنهم من أمته ، ومع ذلك أخبر بأن الله أبعدهم وحرمهم من عافيته ( قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين) والآن أصبح أمر المجاهرة والمجون شيئا لا يفعل فقط على أنه صغير ليس بخطير ، وأنما أصبح يباهى به ويفاخر ، لقد حدث في صدر الإسلام أن البعض ظن عدم المانع من مقارفة بعض الذنوب ما دامت دعائم الإيمان راسخة عنده ، فنزلت الآية تصحح خطأ الفهم وضرر ما ظنوه (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم ) ، فالنداء الإلهى أضفى عليهم صفة الإيمان فعلا ، ولكنه حذرهم من عدم الطاعة في الصغيرة أو الكبيرة ، وإلا بطلت أعمالهم وسلبت صفة الإيمان منهم ، لقد كان مجرد رفع الصوت على صوت النبى صلى الله عليه وسلم ولو بقليل ، وهو ليس في قائمة الكبائر (لا ترفعوا أصواتكم

فوق صوت النبى ) أىّ رفع ، بل والتحدث إليه بالمستوى الذى يتحدث به الناس إلى بعضهم ( ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ) ، إذا وقع الأمران أو أحدهما يقع معه إحباط العمل كله ، حيث لم تستثن الآية منه شيئا لما قال سبحانه : ( أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ) أى وأنتم لا تشعرون بأن أعمالكم الصالحة قد حبطت وبذنب ظننتموه صغيرا ، فيا للداهية ، التى تقع اليوم أمام صاحب الحجرة المهاب صلوات الله عليه من صياح وصراخ يسمع من أقاصى المدينة يقود هذا الصراخ نعيق ( المزورين ) بكلام طويل لا ندرى من أين أتوا به من كتبوه ، يردده وراءهم المئات من الجهلة الأغرار أمام قبر سيد الأبرار صلى الله عليه وسلم ، وقد التصقت جسوم الرجال بلحوم النساء في غير أدب ولا حياء ، لا من الله ولا من رسوله الثاوى في حجرته المطهرة ، إذاً أقول بلا تحرج ولست أهلا للفتوى: إن هؤلاء الذين ( زَوّروا وزُوِّروا ) قد حبطت أعمالهم وهم لا يشعرون أو يشعرون ، وما أظن الذين يسكتون عنهم بمنجى من سؤال الله يوما ، لهذا كله كان على مستصغر الصغيرة أن يخشى على نفسه التردى من حيث لا يدرى ، فالحريق الكبير من شرر صغير كما يقولون ، ويقابل مستصغر السيئة مستصغر الحسنة ، فكما أهلكت الأولى فاعلها أنجت الثانية مؤديها ، فلعقات ماء بلسان كلب رد بها ظمأه رد الله بها ساقيه أو ساقيته عن الادراك في الهاوية ، ونصف التمرة التى تستصغر حجمها وقدرها وإذا أكلت لا تشبع ولا تقنع، هى في حساب الصدقة عند الله تتضخم حتى تسد جميع الأبواب السبعة لجهنم ، وما قدم الرســول صلى الله عليه وسلم هذين المثالين إلا لننسج على المنوال ونتشح بنفس السربال ، فلا نستصغر شرا ولا نستقل خيرا ، فهو القائل سبحانه: ( وكل شىْ عنده بمقدار ) .

كنت في بلدٍ ما ، ووجه إلىّ أحد الضالين سؤالا فقال : لِـمَ يعذب الله الناس بذنوبهم وهو الذى شاء لهم أن يفعلوها ، وكنت أعلم أن هذا السؤال هو الذى اختاروه ليجروا به البسطاء إلى الشك في عدل الله ، وبالتالى يسلبونهم ما لديهم من إيمان ، وكنت أعلم أيضا أنه ما سأل ليعلم ، وإنما في اعتقاده ليمارى ويفحم ، ومع ذلك رجوت أن أشده من حفرته ، ويكون هو الصيد من حيث أراد أن يصيد ، لكنه ما لبث أن سمع بداية الجواب تحمل بعض الأدلة حتى رأيته يتلفت حوله كمن خاف شيئا ، ثم يستأذن حتى لا يسمع بقية الجواب وأسرع مختفيا في زحام

الشارع ، واليوم رأيت من الضرورى أن أكمل الجواب بعد أن تردد هذا السؤال على ألسنة البعض،ونعيد سؤال الذى هرب حتى لا يؤمن،لم يعذب اللهالناس بذنوبهم وهو الذى شاء لهم ان يفعلوها ؟ ، ونقول إن هذا ومن على شاكلته ممن تاه في عماه يظن أنه أتي بجديد من نضح ضلاله، فقد جهل بأننا علمنا من الله ما لم يعلم، وأن من نوعه من سيظل يتخرص بذلك على طول الدنيا ، فليسمع إذاً هذه الآية : ( سيقول الذين أشركوا لوشاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ ، كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون ) ، وليسمع الثانية : ( وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شئ ، كذلك فعل الذين من قبلهم ) وليسمع الثالثة ( وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ، ما لهم بذلك من علم إن هم لا يخرصوا ) ، فالآيات في مجموعها هوت بقبضة الحجة البالغة على رؤوس هؤلاء الفسقة فأجهزت على إفكهم ، فهم في الآيات الثلاث أرادو التنصل من عاقبة إجرامهم وظنوا أن كلمة المشيئة درع وقاية لبغيهم ، ذلك لأنهم لم يعرفوا عنها إلا أنهم يخرصون بغير علم كما سمعنا الآن من القرآن ، فحقيقة المشيئة جهلوها لما لم يعلموا أنهم أيضا لهم مشيئة وضعت فيهم يسألون عنها ، يأخذون بها من الأمر ما يشاؤون ويتجهون بها نحو الطيب أو نحو الردئ كما يريدون فلا قهر ولا جبر ( لا إكراه في الدين ) ( أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ) فهو سبحانه وضع من مشيئته العظمى في الإنسان جزءا من المشيئة تكفيه ، يفصل بها بين المحبوب الذى يفيد والمكروه الذى يؤذى ، بعد أن جعله أعرف خلقه على الأرض لما يُحب ولما يُكره ، وأظهر له بالحس واللمس الغى من الرشد ، ثم ذكره بهذه المشيئة التى وضعها فيه وقدمها بلفظها في القرآن ليستعملها طائعا غير مكره ، فقط له أو عليه عاقبة ما شاء ( وقل الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ) ، فإن شاء الإيمان فله نعمه ، وإن شاء الكفر فعليه خسرُه ، ثم أعاد ذكرها مرات ، وكررها ليقررها ، حتى لا يقول فاسق إنه سيق أو أرغم فكيف يعاقب على شئ سيق إليه ( إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا ) ( إنها لإحدى الكبر نذيرا للبشر ، لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر ) ، فإن كانت مشيئته التقدم سلم ، وإن كانت التأخر ندم ، ولهذا جاء بعد ذكر المشيئة قوله سبحانه : ( كل نفس بما كسبت رهينة ) ، ما دام الذى شاؤوه كان اختيارا منهم وطواعية ، لكن لكيلا

يظن الإنسان وهو الكفور الغرور ، أن مشيئته انفصلت عن المشئ الأعلى سبحانه ، وليعلمه أنه المهيمن على ملكوته بالغيب والشهادة ، رد الإنسان بمشيئته الصغيرة التي أعطاها له ليسأل بها عن عمله إلى مشيئته العليا العادلة المنظّمة ، فقال تعالى : ( وما تشاؤون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما ) ، عليما بأعمالكم تجاهها ، حكيما فيما يقضى بنتائجها ، فإذا ذهب الإنسان ولم يستعمل حرية التصرف التي أعطيت له وكان هو البادئ بطلب الشر راضيا ، أفلا يكون له من نوع ما طلب ورضى ؟ ، إن الواحد منهم يقبل عقاب حاكمه الدنيوى إذا خالف أمراً ظالما له ، ولا يرضى بحكم المنزه عن الظلم إذا خالف أمره ، فلا مصلحة له سبحانه في أن يظلم ، وإنما جعل عاقبة الذى أساء السوأى بما سبق أن قدم واختار ، فهو الذى اختار ولاية الشيطان وهو يعلم عداوته ( أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو ، بئس للظالمين بدلا ) ، وهو الذى اختار صحبة من أضله ( ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا ، لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءني ) ، وهو الذى اختار لنفسه أن تضر نفسه ( وكذلك سولت لى نفسى ) ، وهو الذى اختار لها أن تزيغ ( فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ) ، فهؤلاء إذا أبسلوا بما كسبوا ، وعوقبوا بما بدأوا به ورضوا فلم يضطر وا ولم يقهروا ، أفيكونون قد ظُلموا من أحكم الحاكمين ؟ ، أم أن أمرهم كما قال سبحانه عنهم : ( وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ) ، فظلمهم الذى سبق بالمضى بالفعل ( كان ) ، والمؤكد بالضمير وقوعه ومضيه معا ، نفى بالقطع ظلم الله لهم لما جزاهم بسوء ما قدموا ( وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ) ، فلم يستعملوا مشيئة الخير الكامنة في أماكن التعقل الثلاثة ، القلب والعين والأذن ، فأبطلوا استعمالها بما قال عنهم ربهم : ( لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ) ، لقد استعملها ابن الزبعرى السابق الذكر فاهتدى ، ( والذين اهتدوا زادهم هدى ) ، لما قال بين يدى الرسول صلى الله عليه وسلم : ( وذكرت ما كنت فيه من الضلالة ، واتباع ما لا ينفع ذا عقل من حجر يعبد ويذبح له لا يدرى من يعبده ومن لا يعبده ، واستعمل حواس التعقل هذه ضال آخر فاهتدى أيضا ، نحكى من أمره بقدر المناسبة ، يقول الطفيل بن عمرو الدوسى ، قدمت مكة قبل أن يصدع الرسول صلى الله عليه وسلم بأمر ربه ، فمشى إلىّ رجال من قريش فقالوا لى : إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذى بين أظهرنا فرق جماعتنا وشتت أمرنا ، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد

دخل علينا ، قال : فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئا ، حتى حشوت في أذني كرسفا — أى قطنا — فغدوت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى عند الكعبة ، فأبي الله إلا أن يسمعنى بعض قوله فسمعت كلاماً حسناً ، فقلت : واثُكْل أماه، والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى عليّ الحسن من القبيح ، فما يمنعنى أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ، فإن كان ما يقول حسنا قبلت وإن كان قبيحا تركت ،فمكثت حتى أتي عليه الصلاة والسلام بيته فتبعته، فقلت: يا محمد، إن قومك قد قالوا لى كذا وكذا ، فوالله ما برحوا يخوفوني أمرك حتى سددت أذني بكرسف ، حتى لا أسمع قولك ، فأبي الله الا أن يسمعنيه فسمعت قولا حسنا ، فاعرض عليّ أمرك ، فعرض عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام وتلا عليّ القرآن ، فلا والله ما سمعت قولا قط أحسن منه ، ولا أمرا أعدل منه ، فأسلمت وشهدت شهادة الحق ، فلما رجعت إلى قومى أتاني أبي فقلت : إليك عنى يا أبت فلست منى ولست منك، قال : ولم يا بنى ؟ قلت : قد أسلمت وتابعت محمدا ، قال يا بنى فديني دينك ، فقلت : فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك ثم تعال أعلمك ما علمت ، ثم أتتنى امرأتي فقلت لها إليك عنى فلست منك ولست منى ، قالت لم ؟ قلت فرق بينى وبينك الإسلام ، فقد تابعت محمداً عليه الصلاة والسلام ، قالت : فديني دينك ، فقلت لها ما قلت لأبي ، ثم دعوت قوم دوس إلى الأسلام فأسلم منهم ثمانون بيتا ) ، والقصة على روعتها لا نأخذ منها إلا قوله الطفيل : واثكل أماه ، والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى على الحسن من القبيح ، فما يمنعنى أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ، فإن كان ما يقول حسنا قبلت ، وإن كان قبيحا تركت ، فهو رضى الله عنه استعمل حواس التعقل فيه فشاء لنفسه أن يزكيها ، وقد أفلح من تزكى ، فهل يبقى هذا السؤال من الزائغين : لماذا يعذب الله أصحاب الذنوب وقد شاء لهم أن يفعلوها ؟ لقد أجبت بما استطعت ، وسيبقى سؤالهم حتى يحيق بهم قول الله فيهم ( لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم ) ، ذلك لأنها قصة الإنسان مع ربه ، لما قابل الإحسان بالعصيان .

قلنا فيما سبق إننا لا نفرق بين كبائر الكافر وصغائره ، فهو بكله أصبح جيفة نتنة ، فلم يعد يصله بخالقه شئ حيث انقطع وانفصل ، وليس لهذا النوع من الإنسان إلا أن ينالهم نصيبهم من الكتاب في هذه الدنيا ، وعند لقاء ربهم يردون إلى أشد العذاب بما ليس لهم منه فواق ، أما المسلم وقد دخل مع الله في عهد يوم أسلم ،

فقد صار ملتزما بأوامر ونواهى محددة أخذ افسه بها فيمسى منذ هذه اللحظة له صغائر وكبائر يعامل تلقاءها ، أما الصغائر فقد سبق حديثنا عنها ، وعن الكبائر الآن نتحدث ، فنقول إنها نوعان ، نوع يكفى فيه صحة التوبة وصدق الأوبة فتغفر برحمة من الله وفضل ، كالغيبة والكذب وعقوق الوالدين وقطع الرحم وشبه ذلك ، ونوع تتحتم فيه الحدود ولا يمحى أثره إلا بها ، والنوعان موضحان في قوله تعالى : (( والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش )) فكبائر الإثم عامة ، والفواحش منها موجبات الحدود ، والثاني هو ما أريده لأنهى به حديثى إن شاء الله ، لأنه إذا لم يؤد ما في الآية من الاجتناب لكليهما فيتم في الأول حكم الله كما يريد ويقام في الثاني حدود الله كما أراد ، ويكون ذلك في كل مجتمع ألزم نفسه بالإسلام ، ورضى بالحد ليصلح به في أرض الإسلام ما اختل ، ويطهر المجتمع الفاضل من كل منحل ، فإذا ما اختل الأمن بقاتل أو سارق بانت الرأس وانفصلت اليد ، فعاد الأمن إلى رؤوس الملايين ببضعة رؤوس قطعت ، وأطمأنت نفوس برزقهـا الذى في حرزهـا ببضعة أيد فصلت ، وإذا مـا خيف على العرض من فاسق لاط أو نال من إحصان ، فيباد جرثوم الفسق ليبقى الارتباط الأخوى والاطمئنان الأسرى نسبا وصهرا ، ومن تدنأ بزنية أو قذفة أو خمرة فظهره والحبل اللادغ ليذوق حرقه ما فعل ، فيمتنع من كان يريد أن يفعل ، خاصة وقد شهده الناس عند إقامة الحد فأحس بأنه فضح بما هو أشد من الجلد ، وهكذا كان لنا في الحدود وفي القصاص حياة نعيش فيها سالمين آمنين منّةً من الله لأهل دينه ، فلا يقلقهم دعىّ إسلام يعكر عليهم صفوهم وينقل مرضه إلى صحتهم ، وهكذا كانت العصا لمن عصا ، وكثيرا ما كانت العصا ترياقا لمرضى كثيرين ، فيصبح أمرهم كصاحب الداء يشكر بعد شقائه من سقاه الدواء المر ، فيعيش مع مجتمعه الإسلامى ناعم البال ثم له عند الله حسن المآل ، والآن تعطلت حدود الله في أمتنا الإسلامية فملأ المجرمون السجون ، ثم يخرج منها القاتل ليقتل ، ويطلق سراح السارق ليسرق ، لأن الرأس التى قتلت لم تقطع فبقيت لتقتل ، ولأن اليد التى سرقت ما زال فيها أصابعها لتستأنف السلب من الجيب ، وهكذا أمر المجرمين يتمنون أن يظلوا مساجين ، ألم يهيأ لهم المأكل والمسكن والملبس فوجدوا في السجن كافة مقومات الحياة بلا مقابل ، وسط أزمة اقتصادية خنقت من هم خارج السجن ، فانتشر الإجرام وكثرت السرقات والاختلاسات حتى من أموال الحكومات التى تحكم بغير ما أنزل الله ، وعم الانحلال من النساء والرجال ، وأصبح أهل الفضيلة غرباء في حيرة

لا يدرون كيف يبقون على قيمهم ، فليهنأ المجرمون بقوانين تدليل المجرمين والتى هدفها تحقير أهل هذا الدين ، ولقد رأيت في بعض البلاد يجمع في حى واحد المسجد والكنيسة والدعارة والخمارة ، وتمتلئ الثلاثة الأخيرة بقصادها ويبقى المسجد يندر من يلجه ، لو قدر لبنائه أن يتحرك لغادر مكان التحقير والإهانة ، فلو نفذ حكم الله في تارك الصلاة لعظم المسجد وعادت إليه هيبته ، ألم يجمع العلماء على أن يستتاب تارك الصلاة ثلاثا ثم يقتل حدا أو كفرا إن أصر على تركها ما دام قد دخل مع الله في عهد الإسلام ، إنه لمن الصعب بما يدمى القلب أن نرى حتى في بلدى الحرمين المعظمين أثناء الصلاة بعض الناس يغدون ويروحون، وجموع السيارات والدراجات بأصواتها وأبواقها المزعجة تملأ الطرقات ، وكأننا في مكان عادى ليس فيه كعبة ولا رسول ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

والآن نسأل من يحكمون بغير حكم الله ، هل بلغكم قول الله فيكم بثلاث آيات متعاقبات ، ( ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ) ( فأولئك هم الظالمون ) ( فأولئك هم الفاسقون ) ، كفر وظلم وفسق ، فماذا بقى ؟ فهل هذا الكلام نسخ أم نسى ؟ أم أنه الإنسان والعصيان .

فيا أيها الإنسان ، ما غرك بربك الكريم ، ألأنه أكرمك ، أم لأنه سواك فعدلك ، حتى بعد أن أبيت ونأيت ، لا زال يمهلك ، ويدعوك عسى أن تفيق وتجيب ، فعجل ولا تؤجل قبل أن تجتاحك الأيام .

يروى البخارى عن أبي موسى الأشعرى ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( مثلى ومثل ما بعثنى الله به ، كمثل رجل أتي قوما فقال : رأيت الجيش بعينى ، وإني أنا النذير العريان ، فالنجاء النجاء ، فأطاعه طائفة فأدلجوا على مهلهم فنجوا ، وكذبته طائفة فصبَّحهم الجيش فاجتاحهم ) ، فهل قبل فوات الأوان نجيب لنذير العريان ؟ أرجو لى ولكم ذلك ، ومعيننا هو الله وحده ، ونختم بأبيات معدودة مرتبطة بالموضوع تحكى قصة أحد العصاة ، وهى :

همس العليل وقال أكتب مــابي ... فلقد أضعت العمــر بعد سراب
بدأت ذنــوبي مذ بدأت شبابــى ... لمــا نسيت نهــايتى وحسابي
وأقــول للنصاح دعــكم إنــنى ... ما زلت لم أقطف زهور شبابي

فـــإذا بلغت الأربعـــين وعنـــدها ... سأتوب مـــن ذنـــبي بخير متاب
سأتوب عن ترك الصلاة وأصحبَنْ ... أهل الهـــداية من ذوى المحراب
وأتوب عن فحش الزنا وكذاك عن ... شرب الخمور فلن تكون شرابي
وعن الوشاية حيث صارت بغيتى ... فبها أزاول فـــرقة الأحبـــاب
وكـــذاك عند الأربعين أكف عن ... ما كنت أسرق من وراء الباب
فـــإذا اشبعت من المجون فأرعوى ... وأكون تـــوّاً من أولى الألباب
وأعـــف عن فعل الفواحش كلها ... وأفـــوز بالفردوس دون حساب
حـــتى إذا ما جـــاء ليل عـــابس ... فيه بـــداية شقوتي وعـــذابي
مرض عضال عم كل جـــوارحى ... أعيـــا الأساة فلم يزيـــلوا امابي
فكمـــا تـــراني هامدا في مضجعى ... والفقـــر ألصق راحتى بتراب
كيف الـــركوع وأعظمى لا تنثنى ... أو كيف رد الحـــق والأسلاب
فـــالداء جاء ولم أزل في سكرتـــى ... فبمـــا يكون العـــذر يوم مآبي
أجـــلت يوم التـــوب حتى إنـــنى ... من جرأتي حـــددت نوع ثوابي
وأمنت مـــكر الله لمـــا جرنـــى ... عوج الشباب إلى افتقاد صوابي
مـــا زال سن الأربعـــين بعيـــدة ... والقـــبر محفـــور وحان عقابي
قـــل للـــذى سمع الرزية يستفـــد ... منها فـــهذى عـــبرة الأحقاب
فـــرطت في جنب الإلـــه وعزني ... إبليس ثم غـــواية الأصحـــاب
فأجبت يـــاحزني عليك فلم يعـــد ... نصح يفيـــد ولا حديث عتاب
خلت الليـــالى أسلمتك زمامـــها ... فإذا الخيـــال خيـــال عقل مصاب
منك الكثير دعته أصوات الهـــوى ... فإذا هـــوى فيقول من أغرى بي
فهـــل الإلـــه هو الظلوم أم الذى ... فعـــل المظالم كلهـــا متغـــابي
أفلا يكون العدل سوء جـــزائـــه ... وجزاء أهـــل العقل حسن مآب
يـــارب نرجـــو مطلبا هو غايـــة ... لجميعنا مـــن شيبنـــا وشباب
أن تحسن العـــقبى إذا لاقيتنـــا ... فإذا أجبت فـــذاك خير جواب



# دراسات في

# الفقه وأصوله



# الاجماع في الشريعة الاسلامية

لفضيلة الدكتور رشدي عليان

الاستاذ المشارك بكلية الدعوة وأصول الدين في الجامعة الاسلامية

**الاجماع من البحوث النافعة والهامة في علم أصول الفقه ، استأثر بعناية خاصة من أعلام الأمة ومفكريها لأنه الدليل الذى يلى النصوص في القوة والاحتجاج . فاذا ما عرضت للمجتهد حادثة ، وأراد معرفة رأى الشريعة فيها عرضها أولا على كتاب الله – تعالى – عمدة الشريعة وكليّها ، فاذا لم يجد بغيته مال الى سنة رسول الله – عليه الصلاة والسلام – باعتبارها المصدر الثاني للشريعة ، فان أعياه البحث ولم يجد ضالته فيها نظر هل اتفق السابقون على حكم لها ؟ فان وجد عمل به واقتى بموجبه وهو مطمئن البال ، فالأمة لا تجتمع على الخطأ والضلالة كما أخبر بذلك الصادق الامين – عليه أفضل الصلاة والتسليم – واذا لم يسعفه الاجماع لجأ الى أدلة اخرى معروفة في أصول الفقه كالقياس والاستصحاب والمصلحة . .**

حدث ميمون بن مهران فقال : « كان أبو بكر الصديق اذا ورد عليه خصم نظر في كتاب الله فان وجد قضى به ، والا نظر في سنة رسول الله فان وجد فيها ما يقضى به قضى به ، فان اعياه ذلك سأل الناس وجمع رؤساءهم واستشارهم ، فان اجتمع رأيهم على شئ قضى به ، وكان عمر يفعل ذلك ، فان أعياه أن يجد ذلك في الكتاب والسنة ، سأل هل كان ابو بكر قضى فيه بقضاء ؟ وإلا جمع الناس واستشارهم فاذا اجتمع رأيهم على شئ قضى به .

وبعد فلمّا كان الاجماع يتكوّن من ركنين : –

(١) مجمع عليه .

(٢) ومجمعين وهم أهل الاجماع فقد جاءت هذه الدراسة في مبحثين : – الاول في المجمع عليه. وفحواه تعريف الاجماع ، سنده ، حجيته ، انواعه ، مخالفة حكمه .

والثاني في المجمعين «اهل الاجماع»(*) الصحابة ، الخلفاء الاربعة ، أهل البيت ، أهل المدينة ، أهل الكوفة والبصرة ، جماعة المجتهدين في أى عصر

## المبحث الاول
## فى المجمع عليه

١ – تعريف الاجماع في اللغة وفي اصطلاح الاصوليين

أ – الاجماع في اللغة : –

الاجماع من الالفاظ المشتركة في وضع اللغة بين معنيين : –

الاول : العزم . يقال : « اجمع فلان على كذا » اذا عزم عليه ، وجاء في الحديث « لا صيام لمن لم يجمع الصيام من الليل(*) أى لم يعزم الصيام من الليل وورد في الكتاب الكريم « فأجمعوا أمركم » (١) اى اعزموا . والاجماع بهذا المعنى يصدر عن الواحد كما في المثال الاول ، وكما جاء في الحديث ، ويصدر عن الجمع كما في الآية الكريمة .

الثاني : الاتفاق ، يقال : « اجمع القوم على كذا » اذا اتفقوا عليه .

وهو بهذا المعنى لا يصدر الا عن الجمع ، ولا يتصور من الواحد . وقيل ان الاجماع في وضع اللغة هو الاتفاق والعزم راجع اليه ، لأن من اتفق على شيْ فقد عزم عليه (٢) .

وقيل ان الاجماع حقيقة في معنى الاتفاق لتبادره الى الذهن مجاز في معنى العزم لصحة سلب الاجماع عنه (٣) .

ب – الاجماع في الاصطلاح :

عرف كثير من الاصوليين الاجماع بأنه : –

« اتفاق المجتهدين من هذه الأمة في عصر بعد وفاة النبى – صلى الله عليه وسلم – على أمر دينى » .

شرح التعريف وبيان ما يفهم منه من أمور

١ – الاتفاق لفظ مشترك بين القول والفعل والاعتقاد ، فلو اتفقوا على قول من الاقوال يكون اجماعا ،

---

★ روى الحديث بهذا اللفظ تارة وبلفظ لاصيام لمن لم يبيت الصوم .. الحديث انظر : باب الصوم من سنن النسائي والترمذى والدارمي وابي داود والبيهقي والدار قطني وابن ماجه ومسند احمد ، وموطا مالك

(١) يونس/٧١

(٢) الشوكاني – ارشاد الفحول ص ٧١

(٣) الآمدى/الاحكام جـ ١ ص١٠١ والفتوحي / شرح الكوكب المنير ص ٢٢٥

★ سينشر المبحث الثانى من هذه الدراسة فى العدد التالى ان شاء الله .

وكذلك لو اتفقوا على فعل ، كما اذا شرع أهل الاجتهاد جميعا في المزارعة أو الشركة ، وكذلك لو اتفقوا على عقيدة كاجماعهم على نفى تعدد الآلهة وبطلان عقيدة التثليث .

٢ – ان اتفاق المجتهدين هو المعتبر في الاجماع الذى هو دليل على الاحكام الشرعية ، فلا عبرة – في هذا المجال – باتفاق غيرهم من المفكرين وعامة الناس ومن العلماء من يرى دخول عامة الناس في أهل الاجماع ، وهو رأى باطل لأن أمثال هؤلاء لا يملكون دقة النظر في الأمور الشرعية .

٣ – أن يكون الاتفاق من جميع المجتهدين ، فلو اتفق الاكثر على حكم شرعى وخالف الاقل فانه لا يكون اجماعاً وحجة عند جمهور العلماء (٤) . ومن العلماء من يرى تحقق الاجماع باتفاق الاكثر (٥) ومنهم من يرى أنه يكون حجة وليس باجماع . وكلا الرأيين مرجوح ، لأن الحق قد يكون في جانب الاقل ، ولأن الاجماع لا يتحقق مع وجود مخالف لعدم تحقق الاتفاق ، ولأن ذلك معارض بدلالة أحاديث عصمة الامة ككل (٦) .

٤ – أن يكون المجتهدون من الامة الاسلامية ، فلا اعتداد باتفاق المجتهدين من الامم السابقة ، وذلك لقيام الأدلة على اختصاص أمة محمد بالعصمة من الخطأ عند اتفاقهم .

٥ – أن يكون الاتفاق في عصر واحد ، اذ لا يتصور تحقق الاجماع أو العلم به في كل العصور .

٦ – ان يكون الاتفاق بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم اذ لا عبرة باتفاقهم في زمنه – عليه السلام – في اثبات الاحكام الشرعية ، اذ لو حصل الاجماع على أمر فلا يخلو اما أن يوافقهم النبى – صلى الله عليه وسلم – وحينئذ فالحكم ثابت بالسنة لا بالاجماع ، واما أن يخالفهم وحينئذ يطرح الاجماع لمخالفته النص .

٧ – أن يكون ما اتفق عليه من الامور الدينية سواء أكان شرعيا (٧) اجتهاديا أم غير شرعى مما يدرك بالحس أو بالعقل لأن الاحكام الحسية قد تكون

---

(٤) الغزالي/المستصفى ص ١١٧

(٥) وهم محمد بنجرير وابوبكرالرازى وابو الحسين الخياط ،راجع/ابن قدامة روضة الناظر ص ٧١ والامدى – الاحكام ج ١ ص ١٢١

(٦) سيأتي بيان ذلك

(٧) الحكم الشرعي هو الذىلايدرك الا من خطاب الشارع ،وغير الشرعي مما يدرك بالحس او بالعقل .

ظنية فالاجماع عليها يكسبها صفة القطعية ، وكذلك بعض المدركات العقلية .

وقيّد بعض العلماء الأمر المتفق عليه بكونه شرعيا ، ونفى حجية الاجماع في الامور الدينية غير الشرعية مما يدرك بالحس أو بالعقل على اعتبار ان المدركات الحسية والعقلية تفيد اليقين فلا يكون الاجماع حجة فيها .

ورُدّ بما ذكرت من أن من المدركات الحسية والعقلية ما تفيد الظن فقط فيصير بالاجماع قطعيا ، وأطلق بعض العلماء كابن الحاجب (٨) والجلال المحلى (٩) الامر ولم يقيدوه بالدينى ، وعليه يكون الاجماع حجة في كل الامور دينية كانت أو عادية أو عقلية أو لغوية ، وقالوا ان الأدلة الدالة على حجية الاجماع لم تفرق بين الاجماع على أمر دينى أو دنيوى ، فاذا ما اتفقوا على أى أمر من أمور التجارة أو الزراعة أو الحروب و غير ذلك ، وجب أن يكون حجة .

ونوقش هذا الرأى بما حاصله : —

١ — ان تحقق الاجماع في غير الامور الدينية و عدم تحققه سواء لأنه غير ملزم للمسلم فلا يأثم بمخالفته .

٢ — ان قول الرسول — صلى الله عليه وسلم — لا يكون حجة في الامور الدنيوية لقوله — عليه السلام — في قصة تلقيح النخل « انتم اعلم بأمور دنياكم*» وكان — عليه السلام — يـرى الرأى في الحروب فيراجعه فيه أصحابه — كما في غـزوة بدر — فيترك رأيه ويعمل برأيهم ، فاذا كان قول الرسول في هـذه الأمور ليس بحجة ، فالاجماع فيها ليس بحجة من باب أولى لأن الأجمـاع في مرتبة أدنى من قول الرسول — صلى الله عليه وسلم — (١٠)

وبهذا يتضح أرجحية الرأى الذى خص الاجماع بالامور الدينية سواء أكانت شرعية أم غير شرعية ، وعليه أكثر العلماء .

قال الغزالى : « اما تفهيم لفظ الاجماع فانما نعنى به اتفاق امة محمد — عليه

---

(٨) انظر منتهي الاصول ص٣٧
(٩) انظر شرحه علي متن جمع الجوامع جـ ٢ ص ١٧٦
(١٠) انظر محاضرات الشيخ محمد حسن فايد في كلية الشريعة والقانون « مطبوعة علي الرونيو»
★ اخرجه البخارى في بـاب البيوع ومسلم في باب المساقاة

السلام – خاصة على أمر من الأمور الدينية (١١) » .

وقال ابن قدامة : « ومعنى الاجماع في الشرع اتفاق علماء العصر من أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – على أمر من أمور الدين » ( ١٢ )

٢ – سند الاجماع

هل الاجماع مصدر مستقل بذاته في اثبات الاحكام الشرعية في مقابل المصادر الثلاثة الاخرى ، الكتاب والسنة والقياس ؟ أم أنه لا ينعقد ولا يصير حجة الا بتوسط أحد هذه المصادر ؟

ذهب بعض الاعلام الى الاول وقالوا باستقلالية الاجماع وعدم حاجته الى توسط دليل آخر يستند اليه (١٣) .

ودليل هؤلاء :

١ – ان الاجماع في نفسه حجة ودليل في اثبات الاحكام فلو توقف على سند لكان هذا السند هو الحجة ، وحينئذ لا يكون للاجماع فائدة .

٢ – لو توقف الاجماع على سند لما وقع بدونه ، لكنه وقع فلا يكون السند شرطا في انعقاده ، ومثلوا لذلك ببيع المعاطاة فان العلماء اجمعوا على جوازه بلا دليل .

٣ – ان العقل لا يمنع من انعقاد الاجماع عن توفيق وذلك بأن يوفق الله – تعالى – أهل الاجماع في الأمة لاختيار ما هو الصواب عنده .

وذهب الاكثرون من علماء الامة الى الثاني . أى ان الاجماع لا ينعقد الا عن مستند ، لأن حق انشاء الاحكام الشرعية لله ولرسوله ، وليس لأهل الاجماع وقالوا : ان عدم الدليل يستلزم الخطأ في الاحكام لأن الدليل هو الطريق الموصل الى الصواب .

قال الشيخ الخضرى : « لا ينعقد الاجماع الا عن مستند لأن الفتوى بدون المستند خطأ لكونه قولا في الدين بغير علم ، والامة معصومة عن الخطأ (١٤) .

وقال الشيخ ابو زهرة : « لابد للاجماع من سند لأن أهل الاجماع لا ينشئون الاحكام » (١٥) . وأجابوا عن أدلة البعض القائل بعدم حاجة الاجماع إلى سند ودليل بما يأتي

١ – لا نسلم عدم فائدة الاجماع مع

(١١) المستصفى ج ص ١١٠
(١٢) روضة الناظر ص ٦٧
(١٣) الامدى/الاحكام ج ١ ص١٣٣ والشوكاني/ارشاد الفحول ص ٧٩
(١٤) اصول الفقه ص ٣١٠ وامير بادشاه/تيسير التحرير ج ٣ ص ٢٥٤
(١٥) اصول الفقه ص ١١٩

الدليل . اذ الفائدة موجودة معه وهى سقوط البحث عن ذلك الدليل ، والاكتفاء بالاجماع ، وحرمة المخالفة الجائزة فيه قبل الاجماع .

٢ ـ لا نسلم ان العلماء اجمعوا على صحة بيع المعاطاة بدون دليل وكل ما في الامر انهم لم ينقلوه اكتفاء بالاجماع اذ هو اقوى دلالة . .

والذى أراه أن علماء الامة ان اتفقوا على أمر من الأمور الدينية لابد ان يكون حقا وصوابا لأن العادة تمنع اتفاقهم على شئ بدون دليل. وليس من الضرورى لنا أن نعرف سند الاجماع عند المجمعين بل الواجب ان نأخذ باجماعهم اعتماداً على ورعهم وعلمهم ، لاعتقادنا بأنهم لا يجمعون الا عن دليل .

### قطعية السند

اختلف القائلون بلزوم السند للاجماع في قطعية السند وظنيته .

فقال أهل الظاهر : ان مستند الاجماع لابد أن يكون قطعيا كنصوص الكتاب ومتواتر السنة ، ولا يجوز أن يكون ظنياً كخبر الواحد والقياس ، لأن الاجماع قطعى الدلالة فلا ينعقد الا عن دليل قطعى اذ غير القطعى لا يفيد القطـــع .

وقال الاكثرون : ان مستند الاجماع يكون قطعيا ، ويكون ظنيا كخبر الواحد والقياس . وقد وضح الشيخ الخضرى في كتابه اصول الفقه والشيخ فايد في محاضراته في الاجماع وجهة نظر الاكثرين بما حاصله (١٦) .

١ ـ ان النصوص الدالة على حجية الاجماع نصوص عامة تفيد انعقاد الاجماع سواء أكان سنده قطعيا أم ظنيا ، فاشتراط القطعية تخصيص للنصوص من غير دليل وذلك باطل .

٢ ـ وقع اجماع من المجتهدين مستنداً الى خبر الواحد كاجماعهم على حرمة بيع الطعام قبل قبضه لدلالة حديث ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ « من ابتاع طعاما فلا يبعه حتى يستوفيه » (*) وكذلك انعقد اجماعهم مستنداً الى القياس كاجماعهم على تحريم شحم الخنزير قياسا على لحمه ، وعلى اراقة السيرج ونحوه اذا ماتت فيه فأرة قياسا على السمن (١٧) وردوا على الظاهرية

(١٦) راجع اصول الفقـــه ص٣١١ وص ٢٩ من بحث الشيخ فايدوالاحكام للامدى ج ١ ص ١٣٥
(١٧) الفتوحي/شرح الكوكـــب المنير ص ٢٣٧

★ وردت عدة احاديث مـــن طرق مختلفة وبالفاظ متفاوتة فـــي هذا المعني فراجعها في باب البيوع من صحيحي البخارى ومسلـــم ومسند ابـــي داود والترمـــزى والنسائى والدارمى وموطأ مالـــك ومسند احمد

القائلين بأن الاجماع قطعى فلا يكون الا عن قطعى بأن قطعية الاجماع لم تثبت من جهة السند ، والا لكان الاجماع لغوا لأن المثبت للحكم حينئذ هو الدليل القطعى ولس الاجماع .

قال الغزالى : « يجوز انعقاد الاجماع عن اجتهاد وقياس (١٨)

وقال ابن قدامة المقدسي : « يجوز ان ينعقد الاجماع عن اجتهاد وقياس ويكون حجة (١٩) .

والذى أراه أنّ الاتفاق ان وجد من علماء العصر فهو دليل وحجة سواء أكان هذا الاتفاق عن دليل قطعى أم ظنى ، لأن الحجة تنتقل من ذلك الدليل الى الاجماع ، فان كان في الاصل قطعياً فالاجماع يفيد التأكيد والتعضيد لأنه يكون من قبيل تضافر الأدلة على الحكم الواحد .

ومما يدعم هذا الرأى قول جعفر الصادق – رحمه الله – : « فان المجمع عليه لا ريب فيه » (٢٠) فقد نفى الريب عن الرأى المجمع عليه مطلقا ولم يقيده بما اذا كان مجمعا عليه بموجب سند قطعى او ظنى خاص أو عام .

٣ – حجية الاجماع

ذهب المتكلمون بأجمعهم والفقهاء بأسرهم على اختلاف مذاهبهم الى أن الاجماع حجة ، وحكى عن النظام وجعفر بن حرب وجعفر بن مبشر انهم قالوا : الاجماع ليس بحجة [illegible] اختلف من قال انه حجة ؛ فمنهم من قال من جهة العقل وهم الشواذ ، وذهب الجمهور الاعظم والسواد الاكثر الى ان طريق كونه حجة السمع دون العقل (٢١) وسأعرض أهم أدلة جمهور العلماء على حجيته ثم أذكر وجهة نظر القائلين بعدم حجيته .

أ – أدلة جمهور العلماء على حجية الاجمـــاع

أولا : أدلتهم من الكتاب الكريم

استدل أئمة المذاهب وجمهور العلماء بآيات عدة من الكتاب الكريم ، منها بل أهمها قوله تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا (٢٢)

وجه الاستدلال بهذه الآية :

---

(١٨) المستصفي ج ١ ص ١٢٣
(١٩) روضة الناظر ص ٧٧
(٢٠) الصدر/الاجماع في التشريع الاسلامي ص ٣٦
(٢١) الطوسي/عدة الاصول ج ٢ ص ٦٤ والشوكاني ، ارشاد الفحول ص ٧٣
(٢٢) النساء /١١٤

« ان الله — سبحانه — جمع بين مشاقة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين في الوعيد ، فلو كان اتباع غير سبيل المؤمنين مباحاً لما جمع بينه وبين المحظور فثبت أن متابعة غير سبيل المؤمنين عبارة عن متابعة قول أو فتوى يخالف قولهم أو فتواهم ، واذا كانت تلك محظورة وجب أن تكون متابعة قولهم وفتواهم واجبة (٢٣) بدون شرط اتفاق الجميع فمن باب أولى تكون متابعة ما اتفقوا عليه واجبة فثبت ان الاجماع حجة . وتعتبر هذه الآية أوضح الآيات وأقواها دلالة على حجية الاجماع ، فقد روى أن الامام الشافعى رحمه الله — عندما سئل عن آية في كتاب الله تدل على أن الاجماع حجة لزم داره ثلاثة أيام مفكراً وقرأ القرآن عدة مرات حتى وجد هذه الآية ، ومع ذلك فقد قرر كثير من الأعلام ان الآية ليست نصا في الدلالة على حجية الاجماع (٢٤) . ومنها قوله تعالى «كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » (٢٥) .

الاستدلال بهذه الآية من وجهين :—

١ — ان الله — تعالى — قد وصف هذه الأمة بالخيرية ، وهذا الوصف يقتضى ان ما اتفقوا عليه يكون حقا واجب الاتباع ، لأنه اذا لم يكن حقا كان ضلالا « فماذا بعد الحق الا الضلال » (٢٦) .

قال الشوكاني في وجه الاستدلال بهذه الآية « هذه الخيرية توجب الحقيقة لما اجمعوا عليه ، والا كان ضلالا» (٢٧)

٢ — ان الله — تعالى — وصفهم بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وهذا الوصف يقتضى أنهم اذا ما اتفقوا على الامر بشئ كان معروفا يجب العمل به ، واذا ما نهوا عن شئ كان منكراً يجب الامتناع عنه ، وهذا يقتضى ان يكون اجماعهم حجة ( ٢٨) .

ومنها قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس(٢٩) ومعنى جعلناكم أمة وسطا : أى صيرناكم عدولا ، لأن الوسط هو العدل في اللغة . قال الشاعر :

---

(٢٣) الشوكاني /ارشاد الفحول ص ٧٧
(٢٤) الغزالي / المستصفي ج ١ص ١١
(٢٥) آل عمران / ١١٠
(٢٦) يونس ٣٢
(٢٧) الشوكاني /ارشاد الفحول ص ٧٧
(٢٨) الشيخ زايد /محاضرات في الاجماع ص ١٢
(٢٩) البقرة ١٤١

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم
اذا نزلت احدى الليالى بمعظم

أى عدول . وجاء بهذا المعنى في الكتاب الكريم : «قال أوسطهم ألم أقل لكم» (٣٠) أى أعدلهم .

وجه الاستدلال بهذه الآية : —

إن الله — تعالى — وصف هذه الأمة بالعدالة ، وجعلهم حجة على الناس في قبول أقوالهم ، وهذه الصفة تنافي الكذب والميل الى جانب الباطل وهذا يقتضى ان يكون ما اتفقوا عليه عدلا وحقا يجب اتباعه والعمل به فيكون اجماعهم حجة .

ومنها قوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » (٣١)

وجه الاستدلال : —

« ان الله — تعالى — نهى عن التفرق ، ومخالفة الاجماع تفرق ، فكان منهيا عنه ، ولا معنى لكون الاجماع حجة سوى النهى عن مخالفته (٣٢) .

ثانيا — أدلة الجمهور من السنة الكريمة :—

استدل جمهور العلماء وأئمة الم... بجملة أحاديث مروية عن عدد من كبار الصحابة — رضوان الله عليهم — منها :

١ — لا تجتمع امتى على الخطأ .

٢ — لا تجتمع امتى على الضلالة .

٣ — ولم يكن الله ليجمع امتى على الضلالة .

٤ — لم يكن الله ليجمع امتى على الخطأ

٥ — سألت الله ان لا يجمع امتى على الضلالة ، فاعطانيه (*) .

٦ — من سره أن يسكن بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة .

٧ — يد الله مع الجماعة ، ولا يبالى الله بشذوذ من شذ .

٨ — من خرج عن الجماعة أو فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه .

٩ — من فارق الجماعة ومات فميتة الجاهلية (*) .

---

(٣٠) القلم /٢٨
(٣١) آل عمران/١٠٣
(٣٢) الآمدى/الاحكام جـ ١ ص١١١

★ الاخبار عن رسول اللـهعليه السلام ـ بان هذه الامـــةلاتجتمع علي الخطا والضلالة كثيرة وقد رويت بالفاظ مختلفة وصيـغواسانيد متعددة انظر : مسنـــداحمد ١٤٥/٥ وباب الفتن مـــن سنن الترمذى وابن ماجه والدارقطني وباب التحريم مــن ســـننالنسائي

★ الاحـاديث التى تحث على لزوم الجماعة وتذم الخروج عليهاكثيره وقد رويت بالفاظ مختلفـــة وصيغ متعددة انظر : باب الفتـنوالتحريم من سن الترمذىوالنسائيوالبخارى ومسند احمد والدارمي وابي داود

وقد بين الغزالى وجه الاستدلال بهذه الأحاديث على أن الاجماع حجة قاطعة بعد أن فرغ من تقرير الدليل من آى الكتاب الحكيم .

فقال : « المسلك الثاني : وهو الأقوى التمسك بقوله — صلى الله عليه وسلم — « لا تجتمع امتى على الخطأ » وهذا من حيث اللفظ اقوى وأدل على المقصود ولكن ليس بالمتواتــر كالكتــاب . والكتاب متواتر ولكن ليس بنص ، فتقرير الدليل أن نقول : تظافرت الرواية عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بالفاظ مختلفة مع اتفاق المعنى في عصمة هذه الامة من الخطأ واشتهر على لسان المرموقين والثقات من الصحابة كعمر ، وابن مسعود وابي سعيد الخدرى ، وانس بن مالك ، وابن عمر ، وابي هريرة ، وحذيفة بن اليمان ، وغيرهم ممن يطول ذكرهم » وبعد ان ذكر تلكم الأحاديث قال :

« وهذه الأخبار لم تزل ظاهرة في الصحابة والتابعين إلى زماننا هذا لم يدفعها احد من اهل النقل من سلف الامة وخلفها ، بل هى مقبولة من موافقى الامة ومخالفيها ، ولم تزل الأمة تحتج بها في اصول الدين وفروعه (٣٣)

وقرر الشيخ الآمدى في كتابه الاحكام (٣٤) أن اقرب الطرق لاثبات كون الاجماع حجة قاطعة هــو تلك المرويات عن كبار الصحابة بالفاظ مختلفة مع اتفاق المعــنى في عصمة هذه الامة عن الخطأ والضلالة . وقال ابن قدامة بعد ذكره لتلكم الأحاديث : « وهذه الأخبار لم تزل ظاهرة مشهورة في الصحابة والتابعين لم يدفعها أحد من السلف والخلف ، وهى وان لم تتواتر آحادها حصل لنــا بمجموعها العلم الضرورى ان النبى — صلى الله عليه وسلم — عظم شأن هذه الأمة وبــين عصمتها عن الخطأ (٣٥) .

وقد ختم الشيخ الخضرى بحثه في حجية الاجماع بعد أن فرغ من تقرير الدليل من الكتاب الكريم ، فالسنة النبويــة المشرفة بقوله :

« ان الامة الاسلامية في عصور مختلفة قررت ان الاجماع حجة قاطعة حتى كان فقهاء كل عصر ينكرون أشد الانكار على من خالف رأى مجتهدى السلف ، والعادة تقضى ان مثل هذا الاتفاق لا يكون عن مجرد ظنون ،

(٣٣) المستصفي ج ١ ص ١١١
(٣٤) ج ١ ص ١١٢
(٣٥) روضة الناظر ص ٦٨

بل لابد ان يكون عندهم دليل مقطوعا به ، وهذا يدل على أن الأخبار النبوية التى سقناها كانت عندهم مقطوعا بها حتى لم تكن في نظرهم مجالا للظن والاختلاف (٣٦) .

ب ـ وجهة نظر القائلين بعدم حجية الاجمـــاع

عرفنا أن النظام وآخرين ذهبوا الى أن الاجماع ليس حجة شرعية ، وأدلتهم تتلخص في الآتي : ـ

١ ـ ان تحقق الاجماع وثبوته يتوقف على معرفة كل واحد من أهل الاجماع ثم على وصول الواقعة اليهم ، ومعرفة رأى كل منهم ، وهذا أمر غير ممكن عادة نظراً لانتشارهم في البلدان الاسلامية وبعد المسافة بينهم (٣٧) .

ورُدّ ذلك : بأن معرفة أهل الاجماع والتحقق من شخصياتهم ممكن وذلك بأن يحصى كل حاكم اقليم ما لديه منهم ، ويكتب بذلك الى الحاكم العام سيما وان من يبلغ درجة الاجتهاد يكون معروفا جداً في كل اقليم بل قد يطير صيته وآراؤه الى سائر أقاليم الدولة والدول الاسلامية كافة ، ثم ان انتشارهم وتفرقهم وبعد المسافة بينهم لا يمنع من وصول الواقعة اليهم ، والاطلاع على آرائهم جميعا ، وذلك بأن يجمعهم الحاكم في بلدة واحدة كلما دعا الامر ويسألهم عما يريد أو يكتب اليهم فيستطلع رأى كل منهم .

٢ ـ ان معاذا ـ رضى الله عنه ـ لم يذكر الاجماع من المصادر التى يصح الاعتماد عليها في تشريع الاحكام ، بل اقتصر على الكتاب والسنة والاجتهاد ، وذلك عندما وجهه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قاضيا الى اليمن وسأله بماذا تقضى . . (★) وان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أقره على ذلك ودعا له ، وحمد الله على توفيقه . فلو كان الاجماع من مصادر الاحكام لذكره معاذ ولما ساغ له تركه مع حاجته اليه ، ولما أقره النبى ـ عليه السلام ـ على تركه

ورُدّ ذلك : بأن معاذا ـ رضى الله عنه ـ انما ذكر المصادر التى يمكن الاعتماد عليها في تشريع الاحكام في زمن النبى ـ عليه السلام ـ ومعروف ان الاجماع ليس حجة في حياته . وان تقرير النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ مطابق للواقع في حياته وليس فيه دلالة على عدم حجية الاجماع بعد وفاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ (٣٨) .

---

(٣٦) اصول الفقه ص ٣١٦

(٣٧) الآمدى/الاحكام جـ ١ ص ١٠٢

(٣٨) الآمدى/الاحكام جـ ١ ص١٠٧

★ رواه الترمذى ٢٤٩/١ وابـــوداود ٣٠٣/٣ والـــدارمي ٦٠/١ وانظر مسند احمد ٢٣٠/٥ .

٣ ــ قالوا : ان الاجماع لا يخلو اما ان يكون عن دليل قطعي او عن دليل ظني . فإن كان عن دليل قطعي ، أحالت العادة عدم الاطلاع عليه ، وعلى تقدير الأطلاع عليه يكون هو مستند الحكم وليس الاجماع ، وان كان عن دليل ظني فان العادة تمنع اتفاقهم لاختلاف القرائح والانظار (٣٩)

ورُدّ ذلك : ــ بأن العادة لا تمنع من أن يكون الاجماع بموجب دليل قطعي ، ولا يجب نقله بعد انعقاد الاجماع الذى هو دليل أقوى لأن به يرتفع الخلاف الداعى الى نقل الدليل . كما أنه لا مانع من وقوعه بموجب دليل ظني كخبر الواحد . واختلاف القرائح والانظار لا يمنع من الاتفاق وغايته أنه قد يقلل من عدد الاجماعات .

وبهذا يتضح لنا تهافت ما أثاره القائلون بعدم حجية الأجمـــاع من شبهات وانها لا تقوى بحال على معارضة الأدلة الكثيرة التى احتج بها القائلون بحجيته وهم جمهور العلماء من جميع المذاهب الاسلامية.

٤ ــ انواع الاجماع

أولا : الاجماع البيـــاني والاجماع السكوتي

أ ــ الاجماع البياني او الصريح ، وهو يتنوع الى نوعين ق اجماع قولى ، واجماع عملى .

الاجماع القولى : هو أن يصرح كل واحد من جماعة المجتهدين بما يفيد قبوله للرأى المعلن للاتفاق عليه . فمثلا لو افتى بعض المجتهدين المعاصرين بحل عقود التأمين ، وصرح كل مجتهد معاصر بما يفيد موافقته على ذلك لأصبح اجماعاً قوليا وحجة شرعية .

الاجماع العملى : وهو أن يقع العمل من كل واحد من جماعة المجتهدين كعملهم جميعا في المضاربة والاستصناع فاذا وقع منهم ذلك كان اجماعاً عمليا وحجة شرعية .

والاجماع البياني بنوعيه القولى والعملى هو الأصل في الأجماع وهو الذى يتبادر الى الذهن عند اطلاق كلمة الاجماع ، وهو ما فرغنا من الاستدلال على حجيته .

ب ــ الاجماع السكوتي : وهو ان يصرح بعض المجتهدين برأيه في مسألة اجتهادية أو يقوم بعمل كالتأمين على حياته أو أخذ « خلو رجل » سرقفلية » ويشتهر ذلك بين المجتهدين من أهل

---

(٣٩) الخضرى / اصول الفقهص ٣١٢

★ رواه الترمذى ٢٤٩/١ ، وابو داود ٣٠٣/٣ ، والدارمـــي ٦٠/١ وانظر مسند احمد ٢٣٠/٥

عصره ويسكتون بعد علمهم بذلك من غير نكير .

وهذا النوع من الاجماع اختلف اعلام الامة في تسميته اجماعاً كما اختلفوا في حجيته ، ولهم في ذلك عدة آراء ، أهمها ثلاثة

الرأى الاول : انه اجماع وحجة ، وهو لأكثر الاحناف ، واحمد بن حنبل وابي اسحاق الاسفراييني من الشافعية (٤٠) .

الرأى الثاني : انه ليس اجماعا ولا حجة ، وهو للامام الشافعي واكثر اتباعه ، واكثر المعتزلة ، والمالكية (٤١)

الرأى الثالث : انه حجة وليس اجماعاً وهو لبعض المعتزلة (٤٢) .

أ – وجهة نظر أصحاب الرأى الاول تتلخص في الآتي : –

١ – لو اشترط لانعقاد الاجماع البيان قولا وعملا – من كل المجتهدين لتعذر انعقاد الاجماع أصلا لتوقفه على شرط متعذر عادة ، إذ المعتاد ان يتولى كبار المجتهدين الفتيا والقضاء ويسكت سائرهم موافقة لهم ، لأنه لو كان الحكم مخالفا عند الساكت لأعلن النكير وأظهر الخلاف لأن الساكت عن الحق شيطان أخرس ، وجماعة المجتهدين لا يتهمون بذلك ( ٤٣) .

٢ – انعقد الاجماع على أن الاجماع السكوتي حجة قطعية في الامور الاعتقادية فيكون حجة في الفروع العملية من باب أولى .

وقد منع الشيخ الخضرى وغيره دعوى الاجماع هذه ، لأنه ان كان اجماعاً بيانيا فقد بنوا دليلهم الاول على تعذره ، وان كان اجماعاً سكوتيا فهو محل النزاع . كما منعوا دعوى انتفاء الاجماع مع شرط البيان من الكل ، لأنهم رفضوا هذه الدعوى عند مناقشة النظام في احالته انعقاد الاجماع (٤٤) . وقالوا ان انتشار العلماء وتفرقهم في الامصار لا يمنع من التساوى في العلم ، ووصول الخبر اليهم .

ب – وجهة نظر أصحاب الرأى الثاني قالوا ان السكوت يحتمل أن يكون للموافقة ، ويحتمل أن يكون للتأمل والنظر ، ويحتمل أن يكون خوفا وهيبة من القائل او المقول ، كقول ابن عباس

(٤٠) انظر : تيسير التحرير ج ٣ ص ٢٤٦ وروضة الناظر ص٧٦ والاحكام للآمدى ج ١ ص
(٤١) نفسه واصول الفقه للخضرى
(٤٢) انظر : روضة الناظر ص ٧٦
(٤٣) تيسير التحرير ج ٣ ص٢٤٧ ومنتهي الاصول لابن الحاجب ص ٤٢ والخضرى ص ٣٠١
(٤٤) نفسه

– وقد أظهر مخالفة عمر – رضى الله عنه – بعد وفاته – كان رجلا مهيبا فهبته ، ويحتمل ان الساكت لا يرى الانكار في المسائل الاجتهادية بناء على القول بأن كل مجتهد مصيب ، واذا كان السكوت محتملا لهذه المعاني ، فلا يكون دليلا على الموافقة فلا ينعقد الاجماع ولا يكون حجة (٤٥) .

جـ – وجهة نظر أصحاب الرأى الثالث قالوا : ان غاية ما يدل عليه السكوت مع الاحتمالات التى تقدمت هو الموافقة في الظاهر فيكون حجة ظنية كخبر الواحد لكنه لا يكون اجماعاً .

والذى ترجح عندى ان ما سمى بالاجماع السكوتي ليس اجماعاً ، لأن السكوت ليس صريحا في الموافقة فلا يكون اجماعا لافتقاره الى عنصر الموافقة الذى هو قيد رئيس في تحقق الاجماع ، وليس حجة لأنه اتفاق بعض الامة ، والعصمة من الخطأ انما ثبتت للأمة كافة وليس لبعضها فلا يكون حجة والله أعلم .

ثانيا: الاجماع البسيط والمركب

يتنوع الاجماع الى نوعين : بسيط ومركب ، لأن الأمر لا يخلو : أما أن يتفق أهل الاجماع في عصر على حكم واحد لحادثة ما ، أو تتعدد الاحكام وينعقد الاجماع على كل حكم منها وهذا ما يسمى بالاجماع البسيط .
واما ان تتعدد الاحكام ولا ينعقد الاجماع على كل منها بل يتحزب كل فريق لرأى يخالف الآخر ، وهذا ما سمى بالاجماع المركب .

مخالفة الاجماع البسيط :

ان الحكم المجمع عليه من علماء عصر يكتسب صفة القطعية ، ويكون ملزما لجميع أفراد الأمة يجب عليهم جميعا اتباعه والعمل به ، ولا يجوز لأحدهم مهما كان مركزه الدينى العمل بخلافه . وكذلك يكون هذا الحكم ملزما لأهل العصور التالية مجتهدين وغير مجتهدين ، فلا يحق لأحدهم ولا لهم مجتمعين نقض اجماع من سبقهم او العمل بخلافه ، والا كانوا تاركين للحق ، متبعين للضلال ، «فماذا بعد الحق الا الضلال » قولا واحداً عند جميع المذاهب الاسلامية ، لأن الأمة لا تجتمع على خطأ . وعلماء عصر كل الامة بالنسبة الى ذلك الحكم .

قال الآمدى : « اذا اتفق اجماع امة عصر من الاعصار على حكم حادثة ،

(٤٥) نفسه والاحكام للآمدي ج ١ ص ١٢٩ والمستصفي ج ١ ص ١٢١

فهم كل الامة بالنسبة الى تلك المسألة وتجب عصمتهم في ذلك عن الخطأ(٤٦).

وكذلك يكون الاجماع ملزما لمجمعى العصر انفسهم ، فلا يجوز لأحدهم الرجوع عن رأيه وموافقته ، واشترط بعض الاعلام (٤٧) انقراض عصر المجمعين ، فيما اذا كان مستند الاجماع دليلا ظنيا ، لا دليلا قطعيا ، حتى يكون الاجماع ملزما للجميع . وهو رأى مرجوح لأن الاجماع يُكسِب الحكم القطعية سواء أكان مستنده قبل انعقاد الاجماع دليلا ظنيا أم قطعيا .

قال الغزالى : « اذا اتفقت كلمة الامة ولو في لحظة انعقد الاجماع ، ووجبت عصمتهم عن الخطأ ، وقال قوم : لابد من انقراض العصر وموت الجميع وهذا فاسد ، لأن الحجة في اتفاقهم لا في موتهم (٤٨) .

مخالفة الاجماع المركب : —

اذا انعقد اجماع مجتهدى عصر على حكمين مختلفين أو أكثر لحادثة . فهل يكون ذلك اجماعاً منهم على نفى ما عداها ، فلا يجوز لمن بعدهم احداث حكم سواها ، او لا يكون اجماعا على نفى ما عداها فيجوز احداث حكم آخر ؟ .

اختلفت انظار اعلام الأمة في ذلك ، فذهب جمهور العلماء الى المنع مطلقا(٤٩) وذهب بعض إلى الجواز مطلقا (٥٠) واختار الآمدى(٥١) وابن الحاجب(٥٢) التفصيل ، فقالوا : ان كان الحكم الآخر يرفع ما اتفق عليه السابقون امتنع والا جاز .

وقبل بيان وجهة نظر كل فريق لابد من ذكر طائفة من المسائل التى توضح الاجماع المركب .

١ — توريث الجد مع الاخوة : اختلف فيه فقهاء العصر الاول فقال ابو بكر وعمر وابن الزبير وابن عباس — رضى الله عنهم — يرث الجد ويحجب الاخوة . وقال على وزيد بن ثابت — رضى الله عنهما — : يرث الجد مع الاخوة . وحينئذ فالقول بتوريث الاخوة وحرمان الجد قول ثالث يرفع ما اتفق عليه من توريث الجد .

---

(٤٦) الاحكام ج ١ ص ١٣١ (٤٧) وهما احمد بن حنبل وابوبكر بن فورك ، انظر الاحكام للآمدى ج ١ ص ١٣٠ وروضة الناظر ص ٧٣

(٤٨) المستصفي ج ١ ص ١٢٢

(٤٩) الشوكانى / ارشاد الفحول ص ٨٦

(٥٠) روضة الناظر ص ٧٥

(٥١) الاحكام ج ١ ص ١٣٧

(٥٢) منتهي الاصول ص ٤٤

٢ – النية في الطهارات الثلاث : اختلف الفقهاء في حكمها ، فقال قوم : بلزومها في جميع الطهارات من وضوء ،وغسل وتيمم ، وقال آخرون : بلزومها في التيمم فقط . وحينئذ فالقول بعدم لزومها في الجميع قول ثالث يرفع ما اتفق عليه من لزومها في التيمم .

٣ – فسخ النكاح بالعيوب ، وهى الجذام ، والبرص ، والجب ، والعنة ، والرتق ، والقرن : اختلف الفقهاء في ذلك فمنهم من قال : يفسخ النكاح في أى منها ، ومنهم من قال : لا يفسخ النكاح بشئ منها . وحينئذ فالقول بالفسخ بالبعض دون البعض قول ثالث ولكنه لا يرفع ما اتفق عليه ، لأنه لم ينعقد الاجماع على أحد هذه العيوب .

٤ – أم وأب وأحد الزوجين : اختلف العلماء في ميراث الأم : فقال فريق : ترث الأم ثلث المال كله ، وقال فريق آخر : ترث ثلث الباقي وحينئذ فالقول بأنها ترث ثلث المال كله مع أحد الزوجين وثلث الباقي مع الآخر قول ثالث ، ولكنه لا يرفع ما اتفق عليه لأنه يوافق كل فريق من وجه .

وجهة نظر القائلين بالمنع مطلقا :

قالوا : انه لو جاز احداث القول الآخر لكان مخالفا للاجماع المنعقد على عدم القول به ومستلزما تخطئة كل الامة ، وهذا لا يجوز لمخالفته لعموم أدلة الاجماع .

ولنا أن نقول : ان القول بالمنع لا ينافي القـــول بالتفصيل لأن الممنوع هو مخالفة الكل فيما اتفقوا عليه كما في مسألة الجد مع الأخوة ، اما ان يخالف كل فريق من وجه ويوافقه من وجه فلا يتجه عليه المنع كما في مسألة فسخ النكاح بالعيوب .

وجهة نظر القائلين بالجواز مطلقا :

قالوا : ان وقوع الاختلاف في حكم حادثة دليل على انها من المسائل الاجتهادية التى يصح الاجتهاد فيها ، وحينئذ لا مانع يمنع من الاجتهاد فيها بالنسبة لمجتهدى العصور التالية (٥٣) .

واجيب عن ذلك بأن الاختلاف يكون دليلا على صحة الاجتهاد فيما اذا لم يمنع مانع من الاجتهاد ، وهنا المانع موجود ، وهو اجماع الفريقين على نفى القول الآخر .

وجهة نظر القائلين بالتفصيل : –

قالوا : ان كان القول الآخر يرفع ما اتفق عليه القولان كما في مسألة

---

(٥٣) ابن حزم / الاحكام جـ ٤ص ٥١٥

الجد مع الاخوة ، ومسألة النية في الطهارات ، فهو ممتنع لما فيه من مخالفة الاجماع . وان كان القول الآخر لا يرفع ما اتفق عليه بل يوافق كل فريق من وجه ويخالفه من وجه كما في مسألة فسخ النكاح بالعيوب ومسألة الام والاب واحد الزوجين فهو جائز لأنه لم يخالف اجماعاً (٥٤) واشكل عليهم بأن في ذلك تخطئة كل فريق في بعض ما ذهب اليه وتخطئتهم تخطئة للامة وذلك محال . فأجاب ابن الحاجب عن ذلك بقوله : « المحال تخطئة الامة فيما اتفقوا عليه واما تخطئة كل فريق فيما لم يتفقوا عليه فجائز (٥٥) وبنفس الفكرة وبلفظ مشابه أجاب الآمدى : « المحال انما هو تخطئة الامة فيما اتفقوا عليه ، واما تخطئة كل بعض فيما لم يتفقوا عليه لا يكون محالاً (٥٦) .

وبهذا يتبين لنا رجحان ما ذهب اليه المتأخرون والمعاصرون وهو التفصيل وذلك « لأنه اذا رفع مجمعا عليه فقد خالف الاجماع فلم يجز كمسألة الجد والنية ، واذا لم يرفع مجمعا عليه فلا داعى للمنع لانه لم يخالف اجماعاً ولا مانع سواه (٥٧)

ثالثا : الاجماع المحصل والمنقول :

يتنوع الاجماع الى نوعين ايضا : محصل ، ومنقول .

أ ـ الاجماع المحصل : ـ هو الذى يحصله الفقيه بنفسه ، وذلك بأن يتتبع رأى كل فرد من مجتهدى عصر في الحادثة التى يريد معرفة حكمها فيجدها متفقة في الحكم . والمحصل هو الذى تقدم البحث عنه ، وخلصنا الى أنه حجة عند جميع المذاهب الاسلامية

ب ـ الاجماع المنقول : وهو الذى لم يحصله الفقيه بنفسه ، وانما وصل اليه عن طريق النقل ، سواء أكان هذا النقل بواسطة أو اكثر ، والنقل تارة يكون بالتواتر وحكم المتواتر في الحجية حكم الاجماع المحصل عند الجميع (٥٨) وتارة اخرى يكون بالآحاد ، وهو المراد من الاجماع المنقول عند الاطلاق في عرف الاصوليين .

حجية الاجماع المنقول بخبر الواحد

اختلف الاصوليون في حجية الاجماع المنقول على قولين :

١ ـ انه حجة ٢ ـ انه ليس بحجة

(٥٤) الآمدى / الاحكام ج ١ ص ١٣٧ وابن الحاجب / منتهي الاصول ص ٤٤
(٥٥) نفسهما
(٥٦) نفسهما
(٥٧) الخضرى / أصول الفقه ص ٣٠٠
(٥٨) المظفر / اصول الفقه ج ٣ ص ١١٦

وقد ذهب الى الرأى الأول جمهور العلماء قال ابن الحاجب : يصح التمسك بالاجماع المنقول بخبر الواحد ، وانكره الغزالى وبعض الحنفية (٥٩) وقال البناني : « ان الاجماع المنقول بالآحاد حجة لصدق التعريف به وهو الصحيح في الكل (٦٠)

وقال ابن قدامة المقدسى « الاجماع المنقول بطريق الآحاد يغلب على الظن فيكون ذلك دليلا كالنص المنقول بطريق الآحاد (٦١) .

وقال الشوكاني : الاجماع المنقول بطريق الآحاد حجة وبه قال الماوردى وامام الحرمين ، والآمدى (٦٢)

وقال الآمدى : « اختلفوا في ثبوت الاجماع بخبر الواحد فأجازه جماعة من أصحابنا واصحاب أبي حنيفة — رحمهم الله — والحنابلة ، وانكره جماعة من اصحاب ابي حنيفة وبعض اصحابنا كالغزالى مع اتفاق الكل قطعا في متنه (٦٣) .

وهكذا يلحظ المتتبع ان اكثر العلماء قائلون بحجية الاجماع المنقول بالآحاد (٦٤) .

وخلاصة نظر القائلين بالحجية هى :

١ — ان الاجماع المنقول بالآحاد مفيد للظن فكان حجة كالمنقول بالآحاد عن رسول الله — عليه الصلاة والسلام .

٢ — المطلوب من المجتهد ان يحكم بالظاهر ، عملا بقول الرسول الكريم — عليه السلام — «نحن نحكم بالظاهر» والاجماع المنقول ظاهر ظنى فيكون حجة .

والى الثاني — اعنى عدم حجية الاجماع المنقول — ذهب فريق من العلماء . قال الغزالى : « الاجماع لا يثبت بخبر الواحد خلافا لبعض الفقهاء ، والسر فيه ان الاجماع دليل قاطع يحكم به على الكتاب والسنة المتواترة ، وخبر الواحد لا يقطع به فكيف يثبت به قاطع وليس يستحيل التعبد به عقلا لو ورد — كما ذكرنا في نسخ القرآن بخبر الواحد لكن لم يرد (٦٥) ولكنه لم يقطع ببطلان العمل به حيث قال :

(٥٩) ابن الحاجب / منتهى الاصول ص ٤٦
(٦٠) حاشية البناني على شرح جمع الجوامع ج ١ ص ١٧٩
(٦١) روضة الناظر ص ٧٨
(٦٢) ارشاد الفحول ص ٨٩
(٦٣) الاحكام ج ١ ص ١٤٣
(٦٤) انظر بالاضافة الى المصادر السابقة شرح المنار لابن ملك ص ٢٥٨ وكشف الاسرار على اصول البزدوى ج ٣ ص ٢٦٥ وفتح الغفار بشرح المنار لابن نجيم ج ٣ ص ٦
(٦٥) المستصفى ج ١ ص ١٢٧

ولسنا نقطع ببطلان مذهب من يتمسك به في حق العمل خاصة (٦٦) .

ويمكن تلخيص وجهة نظر القائلين بعدم الحجية بالآتي :

ان الاجماع المنقول بخبر الواحد لا يفيد العلم القاطع فلا يكون حجة . والقائلين بحجيته يسلمون بعدم إفادته القطع بل الظن ، ويقولون ان الظن يكفى في الاحكام الشرعية كالنصوص المنقولة بخبر الواحد فيكون حجة ، ومنهم من يقول ان العمل بالظن الحاصل من الاجماع المنقول خارج عن أصالة حرمة العمل بالظن .

قال ابن قدامة : ذهب قوم الى ان الاجماع لا يثبت بخبر الواحد لأن الاجماع دليل قاطع يحكم به على الكتاب والسنة ، وخبر الواحد لايقطع به فكيف يثبت به المقطوع . وليس ذلك بصحيح فان الظن متبع في الشرعيات والاجماع المنقول بطريق الآحاد يغلب على الظن فيكون ذلك دليلا كالنص المنقول بطريق الآحاد ، وقولهم هو دليل قاطع ، قلنا قول النبى — عليه السلام — ايضا دليل قاطع في حق من شافهه او بلغه بالتواتر واذا نقله الآحاد كان مظنونا وهو حجة فالاجماع كذلك بل هو أولى (٦٧) .

## خاتمة

## المبحث الأول

تنشر بين حين وآخر بعض الآراء التى يدعى فيها اصحابها ان الاجماع لم يعد ممكنا وانه قد فقد قيمته التشريعية بعد عصر الصحابة — رضوان الله عليهم — ويبنون آراءهم هذه على امرين :

١ — تفرق اولى الرأى واهل الحل والعقد في مشارق الارض ومغاربها ، وعدم امكان معرفتهم ، ومعرفة ما اتفقوا عليه من احكام وفتاوى وأقضية .

٢ — اختلاف منازعهم الفكرية والسياسية والشخصية فأني يتفقون على رأى واحد في مسألة واحدة ! !

وأرى ان دعوى تعذر الاجماع لانتشار أهله في البلدان ظاهرة الفساد للاتي : —

١ — ان التفرق المكاني والبعد الزماني لم يحل دون الاطلاع على عدم اختلافهم في مسائل كثيرة ، ونقلها الينا جيلا بعد جيل أدل دليل على وقوع الاجماع وعلى انه لم يفقد قيمته التشريعية من ذلك : جمع القرآن وكتابته ، وصحة عقود الاستصناع ، وبيع المعاطاة ، وبطلان زواج المسلمة بغير المسلم ، وتحريم الجمع بين المحارم في النكاح ، وقيام الاخوة والاخوات لاب مقام الأخوة الأشقاء عند عدمهم . . الى غير ذلك .

---

(٦٦) نفسه

(٦٧) روضة الناظر ص ٧٨

قال الآمدى : « ان جميع ما ذكروه منتقض بما وجد من اتفاق جميع المسلمين فضلا عن اتفاق أهل الحل والعقد ، مع خروج عددهم عن الحصر على وجوب الصلوات الخمس ، وصوم رمضان ، ووجوب الزكاة والحج ، وغير ذلك من الاحكام التى لم يكن طريق العلم بها الضرورة (٦٨)

٢ – ان كانت تلك الدعوى قد تكون مستساغة في العصور الغابرة فلا مجال لها في عصرنا والعصور التالية ، لما حققه الانسان من تقدم في مجال الاتصالات والمواصلات واجهزة الاعلام . فبفضل المواصلات الحديثة أصبح من السهل جداً ان يعقد قادة الفكر في الامة ممن بلغوا درجة الاجتهاد « اهل الاجماع » مؤتمراً عاما كلما دعت الحاجة وأنيتبادلو وجهات النظر فيما يجد من أحداث وما يطرأ من مشكلات وما اتفقوا عليه كان اجماعاً واجب الاتباع من جميع افراد الامة . وبفضل اجهزة الاعلام المتنوعة والمتطورة يمكن الاطلاع على الفتاوى التى تصدرها دور الفتوى في كل قطر اسلامى وعلى آراء المجتهدين اينما كانوا ، وما اتفقوا عليه كان اجماعاً ، وهكذا نضمن حلولا وتشريعات جديدة لكل جديد من المحن والتصرفات وتبقى الشريعة – في ظل احد مصادرها الاجماع – حية يجد انسان العصر فيها الحل المناسب لما يصادفه من وقائع ومشكلات .

واما بالنسبة لدعوى تعذر الاجماع لاختلاف منازع أهله الفكرية والسياسية فهى كذلك ظاهرة الفساد للآتي :

ان اقصى ما يؤدى اليه اختلافهم هو الحد من الاجماعات ولا يؤدى ذلك الى استحالة الاتفاق على بعض الاحكام والفتاوى والاقضية بدليل ما نقل الينا من اجماعات لا زال العمل عليها عند جميع المذاهب الاسلامية حتى عصرنا هذا .

والله اسأل ان يلهمنا الصواب ويوفقنا لخدمة شريعتنا الغراء

الدكتور رشدى عليان
كلية الدعوة واصول الدين
الجامعة الاسلامية

---

(٦٨) الاحكام جـ ١ ص ١٠٢

# العبادات في الإسلام

## وأثرها في إصلاح الفرد والمجتمع

لفضيلة الدكتور محمود السيد شيخون

الحمد لله . نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيآت أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبع سنته واهتدى بهداه إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فإن الحديث عن العبادات في الإسلام لابد أن يسبقه الحديث عن التوحيد فمنزلته من العبادات كمنزلة الأساس من البناء فكما أن البناء لا يثبت ولا يستقر ولا ينتفع به إلا إذا أقيم على أساس متين فكذلك العبادات لا تؤتي ثمارها ولا ينتفع بها إلا إذا بنيت على التوحيد فهو قوامها وعمادها وأصلها وأساسها .

— التوحيد —

معناه : التوحيد المطلق هو العلم والاعتراف (١) بتفرد الرب بصفات الكمال والإقرار بتوحده بصفات العظمة والجلال وإفراده وحده بالعبادة .

أقسامه : وقد قسمه العلماء الموحدون إلى ثلاثة أقسام : —

القسم الأول : توحيد الربوبية : وهو أن يعتقد العبد أن الله هو الرب المتفرد بالخلق والرزق والتدبير الذى ربي جميع الخلق بنعمه (٢) .

وهذا القسم لا ينكره المشركون ولا يجعلون لله فيه شريكا بل هم مقرون به . فهم يقرون بأن الله خالقهم « ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله »

---

(١) القول السديد في مقاصد التوحيد ص ١٤ (٢) المرجع السابق ص ١٦

★ ألقيت هذه المحاضرة في معسكر الجامعة الاسلامية صباح يوم الجمعة الموافق ١٢ من شهر ذى الحجة عام ١٣٩٦هـ

ويقرون بأن الله خالق السموات والأرض « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم » ويقرون بأن الله هو الرازق وهو الذى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى وأنه الذى يدبر الأمر من السماء إلى الأرض وأنه الذى يملك السمع والأبصار والأفئدة « قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون » « قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون » « قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأني تسحرون »

وهذا فرعون مع غلوه في كفره ودعواه أقبح دعوة ونطقة بالكلمة الشنعاء يقول الله في حقه حاكيا عن موسى عليه السلام : « لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر » .

وقال إبليس : « إني أخاف الله رب العالمين » وقال : « رب بما أغويتنى » وقال « رب فأنظرني »

فكل مشرك مقر بأن الله خالقه وخالق السموات والأرض وربهن ورب ما فيهما ورازقهم .

القسم الثاني : توحيد الأسماء والصفات وهو اعتقاد انفراد (١) الرب جل جلاله بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة والجلال والجمال التى لا يشاركه فيها مشارك بوجه من الوجوه وذلك بإثبات ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من جميع الأسماء والصفات ومعانيها وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله من غير نفى لشئ منها ولا تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل ولا تكييف ونفى ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم من النقائص والعيوب وعن كل ما ينافي كماله .

---

**(١) القول السديد في مقاصد التوحيد ص ١٥**

القسم الثالث : توحيد الألوهية ويقال له توحيد العبادة وهو العلم (١) والاعتراف بأن الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين وإفراده وحده بالعبادة كلها وإخلاص الدين لله وحده .

وهذا القسم يستلزم القسمين الأولين ويتضمنهما لأن الألوهية التى هى صفة تعم أوصاف الكمال وجميع أوصاف الربوبية والعظمة فإنه المألوه المعبود لما له من أوصاف العظمة والجلال ولما أسداه إلى خلقه من الفواضل والإفضال .

فتوحده تعالى بصفات الكمال وتفرده بالربوبية يلزم منه ألا يستحق العبادة أحد سواه (٢) .

وهذا القسم هو الذى من أجله أنزل الله الكتب وأرسل الرسل فجميع رسل الله عليهم الصلاة والسلام من أولهم إلى آخرهم إنما بعثوا لدعوة العباد إلى إفراد الله بالعبادة « ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون »

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه »

وقال الله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام : « إن الحكم إلا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه » وقال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مآب » .

ومن أجل ذلك كان كل رسول يفتتح دعوته بقوله لقومه: «أن اعبدوا اللهما لكم من إله غيره » .

ومن هنا يعلم أن الإقرار بالربوبية لا يكفى في التوحيد لأن المشركين لم ينفعهم هذا الإقرار مع إشراكهم الأنداد لله في العبادة ولا أغنى عنهم من الله شيئا ، وأن عبادتهم هى اعتقادهم فيهم أنهم ينفعون ويضرون وأنهم يقربونهم إلى الله زلفى «ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى» وأنهم يشفعون لهم عند الله «هؤلاء شفعاؤنا عند

---

**(١) القول السديد في مقاصد التوحيد ص ١٦**　　**(٢) المرجع السابق ص ١٧**

الله » فنحروا لهم النحائر وطافوا بهم ونذروا النذور عليهم وقاموا متذللين متواضعين في خدمتهم وسجدوا لهم ومع هذا كله فهم مقرون لله بالربوبية وأنه الخالق ولكنهم لما أشركوا في عبادته جعلهم مشركين ولم يعتد بإقرارهم هذا لأنه نافاه فعلهم فلم ينفعهم الإقرار بتوحيد الربوبية فمن شأن من أقر لله وحده بتوحيد الربوبية أن يفرده بتوحيد العبادة فإن لم يفعل ذلك فالإقرار الأول باطل وقد عرف المشركون ذلك وهم في طبقات النار فقالوا : « تالله إن كنا لفى ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين » مع أنهم لم يسووهم به من كل وجه ولا جعلوهم خالقين ولا رازقين لكنهم علموا وهم في قعر جهنم أن خلطهم الإقرار بذرة من ذرات الإشراك في توحيد العبادة صيرهم كمن سوى بين الأصنام وبين رب الأنام .

وبناء عليه فالتوحيد المنجى من النار إنما يكون بالإقرار لله بالربوبية والعبودية والتفرد بصفات الكمال والعظمة والجلال وهذا يقتضى من العبد أن ينسب إليه جميع النعم « وما بكم من نعمة فمن الله » وأن يخصه بالعبادة والاستعانة والخوف والرجاء والمحبة والتوكل والإنابة فمن فعل شيئا من ذلك لمخلوق حى أو ميت أوجماد أو غيره فقد أشرك وصار من تفعل له هذه الأمور إلها لعابديه سواء أكان ملكا أم نبيا أم وليا أم شجرا أم قبرا أم جنا أم حيا أم ميتا وصار العابد بهذه العبادة عابدا لذلك المخلوق مشركا بالله .

وخلاصة القول في التوحيد أن يحقق العبد كلمة « لا إله إلا الله » وتحقيق هذه الكلمة ألاّ يعبد بجميع أنواع العبادة إلا الله فلا يخاف سواه ، ولا يرجى سواه ولا يتوكل إلا عليه ولا يرغب إلا إليه ولا يرهب إلا منه ، ولا يحلف إلا به ولا ينذر إلا له ولا يناب إلا إليه ، ولا يطاع إلا أمره ولا يحتسب إلا به ، ولا يستعان في الشدائد إلا به ولا يلتجأ إلا إليه ، ولا يسجد إلا له ، ولا يذبح إلا له وباسمه .

## فضائل التوحيد

١ ــ إن التوحيد يحرر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم وهذا هو العز الحقيقى والشرف العالى . « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين »
٢ ــ إن التوحيد إذا تم وكمل في القلب وتحقق تحققا كاملا بالإخلاص التام فإنه يصير القليل من عمل العبد كثيرا ويضاعف أعماله وأقواله بغير حصر ولا حساب

فعن أبي سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال موسى يارب علمني شيئا أذكرك وأدعوك به قال قل يا موسى : لا إله إلا الله قال يارب كل عبادك يقولون هذا قال يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيرى والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله » رواه ابن حبان والحاكم .

٣ — إن التوحيد سبب في تكفير الذنوب ومحو الخطايا فعن أنس رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى : يا ابن آدم لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشركْ بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة » .

٤ — إن التوحيد يحصل لصاحبه الهدى الكامل والأمن التام في الدنيا والآخرة « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون »

٥ — إن التوحيد يمنع الخلود في النار إذا كان في القلب منه أدني مثقال حبة من خردل وأنه إذا اكتمل في القلب يمنع دخول النار بالكلية .

فعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل» أخرجه البخارى ومسلم .

وفي حديث عتبان « فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله » ولمسلم عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من لقى الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ومن لقيه يشركُ به شيئا دخل النار » .

٦ — إن الله يدفع عن الموحدين أهل الإيمان شرور الدنيا والآخرة ويمن عليهم بالحياة الطيبة والطمأنينة إليه والطمأنينة بذكره « ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

ويقول تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام « كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين » .

٧ ـ إن التوحيد هو السبب الوحيد لنيل رضا الله وثوابه والفوز بشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى مثنيا على المهاجرين والأنصار ومن اتبعهم بإحسان « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم » .

٨ ـ إن الله تكفل لأهل التوحيد بالفتح والنصر والعز والشرف وحصول الهداية والتيسير لليسرى وإصلاح الأحوال والتسديد في الأقوال والأفعال .

٩ ـ إن جميع الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها وفي كمالها وفي ترتب الثواب عليها على التوحيد فكلما قوى التوحيد والاخلاص لله كملت هذه الأمور وتمت .

١٠ ـ إن التوحيد يسهل على العبد فعل الخير وترك المنكرات ويسليه عن المصيبات فالمخلص لله في إيمانه وتوحيده تخف عليه الطاعات لما يرجو من ثواب ربه ورضوانه ويهون عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصى لما يخشى من سخطه وعقابه .

١١ ـ إن التوحيد إذا كمل في القلب حبب الله إلى صاحبه الإيمان وزينه في قلبه وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان وجعله من الراشدين .

١٢ ـ إن التوحيد هو السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة ودفع عقوبتهما

١٣ ـ إن التوحيد هو الطريق إلى الفوز بمحبة الله عز وجل « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودّا »

١٤ ـ إن التوحيد يخفف عن العبد المكارة ويهون عليه الآلام فبحسب تكميل العبد للتوحيد والإيمان يتلقى المكارة بقلب منشرح وصدر رحب ونفس مطمئنة وتسليم ورضا بأقدار الله المؤلمة .

١٥ ـ إن الله تكفل لأهل التوحيد بالأمن والطمأنينة والولاية ودخول الجنان « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم » .

هذه هى فضائل التوحيد ولا ينالها ولا يحظى بها إلا من حققه وتحقيقه ليس بالتمنى ولا بالدعاوى الخالية من الحقائق ولا بالحلى العاطلة وإنما ذلك بما وقر في القلوب من عقائد الايمان وحقائق الاحسان وصدقته الأخلاق الجميلة والأعمال الصالحة الجليلة .

يقول ابن القيم رحمه الله في فضل كلمة التوحيد « هى الكلمة(١) التى قامت بها الأرض والسموات وفطر الله عليها جميع المخلوقات وعليها أسست الملة ونصبت القبلة وجردت سيوف الجهاد وهى محض حق الله على جميع العباد وهى الكلمة العاصمة للدم والمال والذرية في هذه الدار والمنجية من عذاب القبر وعذاب النار وهى المنشور الذى لا يدخل أحد الجنة إلا به والحبل الذى لا يصل إلى الله إلا من يتعلق بسببه وهى كلمة الاسلام ومفتاح دار السلام وبها انقسم الناس إلى شقى وسعيد ومقبول وطريد وبها انفصلت دارالكفر من دار الاسلام وتميزت دار النعيم من دار الشقاء والهوان وهى العمود الحامل للفرض والسنة و«من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » (٢)

العبادات وأثرها في إصلاح القلوب وتهذيب النفوس

إن الاسلام قد فرض على الناس عبادات لها أثر حسن في إصلاح القلوب وتهذيب النفوس وسنشير في هذه العجالة إلى ما تشتمل عليه هذه العبادات من المثل العالية والمبادئ السامية التى تحقق السعادة في الدنيا والآخرة .

الصلاة وفضائلها :

إن من يدرس هذه الفريضة دراسة واعية مستفيضة يدرك أنها تشتمل على كثير

(١) الجواب الكافي ص ١٧٠
(٢) رواه احمد وابوداود عن معاذ وهو حديث صحيح

من الفضائل التى تسهم في سعادة الفرد والمجتمع ومن هذه الفضائل ما يأتي : —

١ — إنها تسهم في حماية العبد من الأمراض التى تفتك به وتعوقه عن العمل لدنياه وأخراه لما فيها من الحث على النظافة فقد جعل الاسلام مفتاحها طهارة البدن والثوب والمكان .

٢ — إنها تعود المؤمن مراقبة الله وخشيته ، إذ يقف العبد فيها فارغا من الشواغل موجها قلبه إلى مولاه يناجيه ويثنى عليه بما هو أهله خائفا عقابه طامعا في رحمته طالبا منه العون والهداية فيؤثر ذلك في نفسه ويعوده مراقبة الله وخشيته فيجتنب ما يغضب مولاه ويمتنع عما حرم الله .

« إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون »

٣ — الصلاة تمد المؤمن بقوة روحية تعينه على مواجهة المشقات والمكارة في الحياة الدنيا « واستعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين »

وكان النبى صلى الله عليه وسلم إذا حزبه (١) أمر فزع إلى الصلاة (٢) .

٤ — إن في الصلاة غذاء روحيا للمؤمن يعينه على مقاومة الجزع عند الشر والمنع عند الخير والتغلب على جوانب الضعف الإنساني « إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون » .

٥ — إن الصلاة سبب لمحو الخطايا وغفران الذنوب فقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أرأيتم لو أن نهرا على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات فهل يبقى على بدنه من درنه شئ قالوا : لا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا » أخرجه البخارى ومسلم .

٦ — إن الصلاة تعلم العبد بما فيها من الركوع والسجود والثناء والتعظيم كيف يتواضع لله ، وكيف يشكر من أحسن إليه ويكافئ من أسدى إليه معروفا .

---

**(١) اى نزلت به شدة**
**(٢) رواه احمد وابو داود**

٧ ـ إن الصلاة بما فيها من الخشوع ترقق قلب المؤمن وتملأه رحمة وقناعة فيرحم الضعفاء ، ويواسى البؤساء، ويرضى عن الله في الشدة والرخاء .

٨ ـ إن في الصلاة غذاء للروح لا يغنى عنه علم ولا أدب فالصلوات الخمس هى وجبات الغذاء اليومى للروح كما أن للمعدة وجباتها اليومية يناجى المصلى فيها به فتكاد تشف روحه وتصفو نفسه فتسمع كلام الله الذى يقول: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدى قسمين ولعبدى ما سأل . فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله عز وجل : حمدني عبدى ، فإذا قال الرحمن الرحيم قال الله : أثنى عليّ عبدى ، فإذا قال : مالك يوم الدين قال : مجدني عبدى ، فإذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين ، قال : هذا بيني وبين عبدى ولعبدى ما سأل ، فإذا قال : اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدى ولعبدى ما سأل » رواه مسلم .

٩ ـ في الصلاة تدريب للمسلم على النظام وتعويد له على الطاعة ويظهر هذا واضحا في صلاة الجماعة إذ يقف المسلمون في صفوف مستقيمة متلاصقة فلا عوج ولا فرج المنكب إلى المنكب والقدم إلى القدم فإذا كبر الإمام كبروا وإذا قرأ أنصتوا ، وإذا ركع ركعوا ، وإذا سجد سجدوا ، وإذا سلم سلموا ، من خرج على هذا النظام فكأنما خرج على الإنسانية وانحط إلى مستوى الحيوانية(١) ففى الحديث الشريف : « ألا يخشى الذى يركع أو يسجد قبل الإمام أن يمسخ الله رأسه رأس حمار » رواه البخارى ومسلم .

١٠ ـ في صلاة الجماعة مظهر من مظاهر المساواة الرائعة إذ يقف الأمير إلى جانب الفقير والغنى في جوار المسكين ، والسيد في محاذاة الخادم ، فليس في المسجد لائحة تخصص الصف الأول للوزراء والصف الثاني للنواب ، والصف الثالث للمديرين وإنما الجميع سواسية كأسنان المشط فمن بكر في الذهاب إلى المسجد احتل مكانه في مقدمته أيا كانت منزلته وأيا كان عمله في الناس (٢) .

١١ ـ في صلاة الجماعة دعم لعاطفة الأخوة وتقوية لروابط المحبة وإظهار للقوة فبالاجتماع تذهب الضغائن وتزول الأحقاد ، وتتآلف القلوب وتتحد الكلمة .

---

(١) من محاسن الاسلام للاستاذاحمد عزالدين ص ٤٥
(٢) من محاسن الاسلام للاستاذاحمد عزالدين ص ٥٨

١٢ ـ في صلاة الجماعة تظهر عظمة ملك الملوك ورب الأرباب ويعم الخير وتنتشر الرحمة لأن المسلمين إذا اجتمعوا في صعيد واحد وراء إمام واحد إلى قبلة واحدة يعبدون ربا واحدا خاشعين خاضعين خائفين عذابه طامعين في فضله عشيتهم رحمته وعمهم إحسانه « وادعوه خوفا وطمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين » .

١٣ ـ الصلاة تعود على البدن بنفع عظيم فهى تقوى العضلات وتسبب اليقظة المبكرة والنشاط لجميع الجوارح فالجسم في الصلاة يعمل قائما وقاعدا وراكعا واللسان يعمل قارئا مكبرا مسبحا مهللا (٢) والعقل يعمل متدبرا متفكرا فيما يتلى عليه من القرآن والقلب يعمل مستحضرا رقابة الله تعالى وخشيته والشوق إليه ،

## عناية الاسلام بالصلاة

لقد عنى الإسلام بالصلاة لما فيها من الفضائل ولما تشتمل عليه من الخير والنفع فشدد كل التشديد في طلبها وحذر كل التحذير من تركها أو تأخيرها عن أوقاتها فهى عمود الدين ومفتاح الجنة وخير الأعمال وأول ما يحاسب عليه المرء المؤمن (١) يوم القيامة يذكرها القرآن الكريم في دعاء الخليل ابراهيم . عليه الصلاة والسلام « رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء »

ويمدح بها اسماعيل عليه الصلاة والسلام « وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا »

ويأمر الله تعالى كليمه موسى عليه الصلاة والسلام بإقامتها أول ما يأمره به في ساعات الوحى الإلهى « وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكرى »

ويوحى إليه وإلى أخيه هارون عليهما الصلاة والسلام « أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة »

ومن وصايا لقمان لابنه « يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور » .

---

(١) المرجع السابق ص ٤٨ (٢) من محاسن الاسلام للاستاذ احمد عزالدين ص ٣٤

وينطق عيسى عليه السلام وهو في مهده « وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا » ويأمر بها خاتم أنبيائه عليه أفضل الصلاة والسلام « اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة » .

ويؤكد الاسلام عليها في الحضر والسفر والأمن والخوف والسلم والحرب « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين فإن خفتم فرجا لا أو ركبانا »

وينذر بالويل والهلاك من يصرف قلبه عنها أو يؤخرها عن وقتها فيضيعها « فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون »

ويجعلها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الدليل الأول على التزام عقد الإيمان والشعار الفاصل بين المسلم والكافر ففى الحديث الشريف « بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة » رواه أحمد ومسلم .

وذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الصلاة يوما فقال : « من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف » أحمد وابن حبان .

وفي توجيه هذا الحديث كلام حسن خلاصته أن من شغله عن الصلاة ماله فهو مع قارون ومن شغله عنها ملكه فهو مع فرعون ومن شغله عنها رياسته ووزارته فهو مع هامان ومن شغله عنها تجارته فهو مع أبي بن خلف .

وفي الحديث الشريف « من فاتته صلاة فكأنما وتر أهله وماله » رواه ابن حبان تلك هى مكانة الصلاة في الاسلام ولهذه المكانة كانت أول عبادة فرضت على المسلمين فقد فرضت في مكة قبل الهجرة بسنتين تقريبا ، وكانت طريقة فرضيتها دليلا آخر على عناية الله تعالى بها إذ فرضت ليلة الإسراء والمعراج بخطاب مباشر من رب العالمين تبارك وتعالى إلى خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم .

## الصلاة التى يريدها الاسلام

إن الصلاة التى يريدها الإسلام والتى تشتمل على الفضائل التى سلفت ليست مجرد أقوال يلوكها اللسان ، وحركات تؤديها الجوارح بلا تدبر من عقل ولا خشوع

من قلب ، أو تلك التى ينقرها صاحبها نقر الديك(١) كلا وإنما الصلاة التى يريدها الاسلام هى التى تأخذ حقها من التأمل والخشية واستحضار عظمة المعبود جل جلاله لأن القصد الأول من الصلاة هو تذكير الإنسان بربه عز وجل « وأقم الصلاة لذكرى» فالصلاة التى يريدها الاسلام لابد فيها من حضور القلب والعقل معا فالقلب يستحضر عظمة المعبود والعقل يتدبر فيما يتلى من القرآن ، وبحضور القلب والعقل تسكن الجوارح ويتم الخشوع ، وتؤتي الصلاة ثمارها ، ويحظى المصلى بفضلها وثوابها وتقوى صلته بربه فيسعد في الدنيا والآخرة يقول عبد الله بن عباس رضى الله عنهما « ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه » .

## الزكاة وفضائلها

ومن العبادات التى تشتمل على كثير من الفضائل « الزكاة » ومن فضائلها ما يأتي :

١ ـ إنها تغرس في نفس المؤمن فضيلة السخاء وتطهر نفسه من رذيلة الشح فيفوز برضا الله ويسعد بتوفيقه « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

٢ ـ الزكاة فيها سد لحاجة الفقراء وتفريج لكربة الغارمين وتيسير لأبناء السبيل وعون على المصالح العامة .

٣ ـ إنها تخرج الأضغان من قلوب البائسين وحقدهم على الأغنياء المترفين وتملأ قلوبهم بمحبتهم وتمنعهم من الإساءة إليهم وبذلك يسود الأمن وبذلك تكون الألفة والإخاء .

٤ ـ الزكاة فيها تطهير للمال من الشر ففى الحديث الشريف « إذا أديت زكاة مالك فقد أذهبت عنك شره » رواه الحاكم وفي الحديث الشريف أيضا : « حصنوا أموالكم بالزكاة » رواه أبو داود .

٥ ـ الزكاة ضمان اجتماعى (١) لأن الاسلام يأبي أن يكون في مجتمعه من لا يجد القوت الذى يكفيه والثوب الذى يواريه والبيت الذى يؤويه فهذه ضرورات يجب أن تتوافر لكل من يعيش في ظل الاسلام الرحيم والمسلم مطالب بأن يحقق

---

**(١) من محاسن الاسلام للاستاذاحمد عزالدين ص ٤١**
**(٢) من محاسن الاسلام للاستاذاحمد عزالدين ص ٦٤**

هذه الضرورات وما فوقها من جهده وكسبه فإن لم يستطع فالمجتمع يكفله ويضمنه والزكاة مورد أساسى لهذه الكفالة الاجتماعية التى فرضها الاسلام للفقراء والمساكين « وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » .

٦ — الزكاة أمضى سلاح لمحاربة كنز الأموال ولإخراج النقود من مخابئها فالمال المخبوء تأكله الزكاة .

هذه هى بعض الفضائل التى تشتمل عليها هذه الفريضة ولو أن الناس أخرجوا زكاة أموالهم كما أمرهم ربهم لسدت حاجة الفقراء والمساكين ولعاش الناس إخوة متحابين متآلفين ولكن بعض الأغنياء بخلوا بزكاة أموالهم فمنعوها مستحقيها فكانوا سببا في انتشار الأحقاد والضغائن وحدوث كثير من المفاسد والجرائم .

## الصيام وفضائله

كذلك من العبادات ذات الاثر الحسن في إصلاح القلوب وتهذيب النفوس « الصيام » فهو يشتمل على كثير من الفضائل نذكر بعضها : —

١ — في الصيام ضبط للنفس وإطفاء لشهواتها فإنها إذا شبعت تمردت وسعت وراء شهواتها وإذا جاعت خضعت وامتنعت عما تهوى قال صلى الله عليه وسلم « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فهو له وجاء » فإنه يكسر من شهوة الشباب حتى لا تطغى عليه الشهوة فيصير إلى العنت والفاحشة فكان الصوم ذريعة إلى كف النفس عن المعاصى .

٢ — إن الصيام وسيلة إلى إصلاح النفوس وتهذيبها إنه يربي في الإنسان فضيلة الصدق والوفاء والإخلاص والأمانة والصبر عند الشدائد لأن النفس إذا انقادت للامتناع عن الحلال من الغذاء الذى لا غنى لها عنه طلبا لمرضاة الله وخوفا من أليم عذابه فأولى أن تنقاد للامتناع عن الحرام الغنية عنه فلا يكذب الصائم ولا يغدر ولا ينقض عهدا ولا يخلف وعدا ولا يكون مرائيا ولا خائنا فكان الصوم سببا في اتقاء المحارم وقوة العزيمة والتحلي بالفضائل والتخلى عن الرذائل وإلى هذا كله أشار جل جلاله بقوله : « لعلكم تتقون (١) »

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٨٣

٣ – الصوم يدعو إلى شكر النعمة إذ هو كف للنفس عن الطعام والشراب ومباشرة النساء وكل هذا من جلائل نعم الله عز وجل على خلقه والامتناع عن هذه النعم من أول اليوم إلى آخره يعرف الإنسان قدرها إذ لا يعرف فضل النعمة إلا بعد فقدها فيعينه ذلك على القيام بشكرها ، وشكر النعمة واجب وإلى هذا أشار جل وعلا بقوله : « ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون (١) »

٤ – الصيام يبعث في الإنسان فضيلة الرحمة بالفقراء والعطف على البائسين فإن الإنسان إذا ذاق ألم الجوع في بعض الأوقات تذكر الفقير الجائع في كل الأوقات فيسارع إلى رحمته والإحسان إليه .

٥ – في الصيام تمام التسليم لله وكمال العبودية له فالصائم يجوع ويعطش وأسباب الغذاء والرى أمامه (٢) ميسرة لولا حب الله تعالى والرغبة في رضاه ولهذا جاء في الحديث القدسى « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى يدع شهوته وطعامه من أجلى » رواه مسلم .

٦ – الصيام يعود على البدن بالصحة ويكون سببا في شفاء كثير من الأمراض إذ فيه راحة للمعدة من عناء الهضم وتخليص للجسم من فضلاته الضارة وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول : « صوموا تصحوا رواه الطبراني .

هذا هو الصيام لم يشرعه الله تعالى تعذيبا للبشر ولا انتقاما منهم وإنما شرعه إيقاظا لأرواحهم وتصحيحا لأجسامهم وتقوية لإرادتهم وتعويدا لهم على الصبر وتعريفا لهم بالنعمة وتربية لمشاعر الرحمة فيهم وتدريبا لهم على كمال التسليم لله رب العالمين (٣) .

## الحج وفضائله

إن في فريضة الحج كثيرا من الفضائل التى تسهم في تحقيق السعادة في الدنيا والآخرة ومن هذه الفضائل ما يأتي : –

(١) سورة البقرة اية رقم ١٨٥
(٢)من محاسن الاسلام للاستاذاحمد عزالدين ص ٦٩
(٣)المرجع السابق ص ٧١

١ ـ الحج غذاء روحى كبير تمتلئ فيه جوانح المسلم خشية وتقى لله رب العالمين ، ففى كل منسك من مناسكه غذاء للروح فما الإحرام إلا تجرد من شهوات النفس والهوى وحبس للنفس عما سوى الله عز وجل وحث على التفكير في عظمة الله جل جلاله وحث على تذكر الموت والاستعداد له بالعمل الصالح فالحاج في لباس إحرامه يذكر بالميت في أكفانه ، وما التلبية إلا استجابة وذكر وطاعة وامتثال ، وما الطواف بعد التجرد إلا استحضار لعظمة الله تعالى حول بيته ، وامتثال لأمره « وليطوفوا بالبيت العتيق » وما السعى بين الصفا والمروة إلا تردد بينهما التماسا لرحمة الله تعالى وطلبا لمغفرته ، وما الوقوف بعرفة إلا بذل (١) للمهج في الضراعة إلى الله بقلوب مملوءة بالخشية وأيد مرفوعة بالرجاء وألسنة لاهجة بالدعاء وآمال صادقة في أرحم الراحمين ، وما الرمى بعد ذلك إلا رمز لاحتقار عوامل الشر ونزغات الشيطان ، وما الذبح إلا إراقة للدم الذى أمر الله به أن يراق ورمز للتضحية والفداء .

« قل إن صلاتي ونسكى ومحياى ومماتي لله رب العالمين »

٢ ـ في الحج تدريب على ركوب الأخطار وتحمل المشقات ومفارقة الأهل والتضحية بالراحة والدعة في الحياة الرتيبة بين الأهل والأصحاب .

٣ ـ في الحج تدريب للمسلم على المبادئ الاسلامية العالية التى جاء بها الاسلام ففى وحدة مظهر الحجاج في إحرامهم معنى المساواة في أجلى صورها وأتمها .

٤ ـ في الحج ترى معنى الوحدة الاسلامية جليا كالشمس فشعور المسلمين فيه واحد وشعائرهم واحدة لا إقليمية ولا عنصرية ولا عصبية للون أو جنس أو طبقة فكلهم مسلمون يؤمنون برب واحد ويطوفون ببيت واحد (٢) .

٥ ـ الحج مظهر من مظاهر السلام فأرض الحج هى البلد الحرام والبيت الحرام الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا، ومن دخله كان آمنا. إنها منطقة أمان شمل الطير في الجو والصيد في البر والنبات في الأرض فهذه المنطقة لا يصاد صيدها ولا يروع طيرها ولا حيوانها ولا يقطع شجرها ولا حشائشها (٣) .

---

(١) من محاسن الاسلام للاستاذاحمد عزالدين ص ٧٩
(٢) من محاسن الاسلام للاستاذاحمد عزالدين ص ٨٢
(٣) المرجع السابق ص ٨٣

« يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم » « وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما » .

٦ — الحج مؤتمر إسلامى عظيم فهناك يجد المسلم إخوانا له في الدين من قارات الدنيا الخمس اختلفت أقاليمهم وألوانهم ولغاتهم وجمعتهم رابطة الإيمان والاسلام (١) فما أجدر المسلمين أن ينتفعوا من هذا المؤتمر السنوى بما يعود عليهم بالخير في أمر دينهم وأمر دنياهم « ليشهدوا منافع لهم » .

هذه هى بعض الفضائل التى تشتمل عليها العبادات ، وهذه الفضائل لا تحصل للعابد إلا إذا أسس عبادته على التوحيد بأن يصرف كل هذه العبادات لله وحده وأن يحسن أداءها بحيث يأتي بها على الوجه الذى شرعه الله تعالى على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

## العبادات بين السلف والخلف

لقد عرف السلف الصالح قيمة هذه العبادات فأسسوها على التوحيد وأحسنوا أداءها فجنوا ثمارها وانتفعوا بفضائلها فقويت صلتهم بربهم فألف بين قلوبهم ، ووحد بين صفوفهم فسادوا وعزوا ، وكونوا مجتمعا قويا متماسكا أعز الاسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين ونعم الجميع في ظله بالأمن والاستقرار والسعادة ، أما اليوم فقد جهل كثير من المسلمين التوحيد فاختلت عقائدهم فاتجهوا إلى المخلوقين يطلبون منهم قضاء حوائجهم ، وغلوا في ذلك فشدوا الرحال إلى الأموات يطوفون بأضرحتهم كما يطوف الحجاج ببيت الله الحرام ويستلمون هذه الأضرحة استلامهم لأركان البيت الحرام ويخاطبون الميت بالكلمات الشركية من قولهم : على الله وعليك ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد ، وقد اتسع نطاق هذه الشركيات في البلاد الاسلامية فأصبح لكل قوم من المسلمين رجل ينادونه ، وأصبح في كل قرية أموات يهتفون بأسمائهم ، وينادونهم ، ويرجونهم لجلب النفع ودفع الضر وفعل هؤلاء هو بعينه فعل المشركين في الأصنام ، وهم بهذا المسلك ينسلخون من الاسلام ويعودون إلى الجاهلية .

---

(١) المرجع السابق ص٨٤

ولقد صور الإمام المحدث السلفى محمد بن اسماعيل الأمير اليمنى الصنعاني فعل هؤلاء في أبيات من قصيدة له يمدح بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ويشيد بدعوته :

أعـــادوا بها معنى سواع ومـــثله ... يغوث وودٌ بئس ذلـــك من ودّ
وقـــد هتفوا عند الشدائـــد باسمها ... كما يهتف المضطـــر بالصمد الفرد
وكم نحـــروا في سوحها نحـــيرة ... أهلت لغير الله جهلا على عمد
وكم طائف حول القبـــور مقبلا ... ويلتمس الأركان منهن بالأيدى

كذلك استهان كثير من المسلمين اليوم بهذه العبادات فتركوها فحرموا فضائلها فقست قلوبهم وانقطعت صلتهم بربهم ففسدت أعمالهم . وساءت معاملاتهم وعاداتهم وتدهورت أخلاقهم ، وساروا وراء أهوائهم ، وفتنوا بزخارف الحضارة المزيفة والمدنية الكاذبة فظنوا الإباحية حرية والخلاعة رقيا فتعدوا حدود العقل والدين ، وأغضبوا خالق الأرض والسماء فساءت حالهم وسلط عليهم عدوهم « وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون » .

## داء ودواء

لقد جهل كثير من المسلمين اليوم أمر التوحيد واستهانوا بالعبادات وهذا داء عضال سببه عزلة المسلمين عن الكتاب والسنة وعلاجه الوحيد هو إعداد الدعاة الفاهمين للكتاب والسنة وانتشارهم في البلاد الاسلامية لكى يصححوا العقائد ويحرروا العقول من الخرافات والبدع والأباطيل وليكشفوا للناس النقاب عن أسرار التشريع الاسلامى وخصائصه ومزاياه ، ويحثوهم على التمسك بكتاب ربهم عز وجل وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ففى التمسك بهما الهداية والخير والسعادة وفي البعد عنهما الضلال والشر والشقاء ففى الحديث الشريف « تركت فيكم ما إن أخذتم بهما لن تضلوا بعدى كتاب الله وسنتى » .

والله الكريم نسأل أن يوفق المؤمنين المخلصين في كل مكان لإعداد هذا النوع من الدعاة فينطلقوا إلى مختلف بقاع الارض فيعيدوا للاسلام مجده وللمسلمين عزتهم « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين »

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب وهو حسبي ونعم الوكيل . .

## موضوعات البحث



# الشريع الإسلامى

# صالح للتطبيق فى كل زمان ومكان

لفضيلة الشيخ محمد فهمى على أبو الصفا

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وبعد . .

**فإن من تمام النعمة على الناس ومن مظاهر حكمة الله تعالى في خلقه بعد أن تخطى العقل البشرى دور الطفولة وتهيأ الفكر للتدرج في مراقي الحياة .**

**أن يكون الإسلام هو الدين الذى يتعهد الله به بنى الإنسان والشريعة التى يختتم بها شرائعه الأولى .**

فلا غرو أن كان تشريعا محكم الاساس وطيد البنيان كامل النظام سامى الأغراض وافيا بحاجات الأفراد والجماعات صالحا للتطبيق في كل زمان ومكان

وكيف لا تتسع الشريعة الإسلامية لشئون الناس وهى شريعة الخلود شريعة كتب لها أن تكون خاتمة الشرائع السماوية فلا شريعة بعدها ولا رسالة تخلف رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ولا وحى يمكن أن يكون بعد الذى أنزل عليه كما قال تعالى ( ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ) .

وليس لأحد أن يشرع غير الله تعالى حتى الأنبياء فإنهم مبلغون عن الله واجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم واجتهاد أصحابه ليس تشريعا بل هو فهم للكتاب والسنة وتطبيق لمبادئ الدين ولذلك انتهى التشريع بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم ابتدأ الفقه يستمد مضمونه من التشريع فشريعة الإسلام هى شريعة السماء الخالدة إلى أهل الأرض ما بقيت وما بقى الناس حتى يوم الدين .

ومن أجل ذلك وجب أن تكون وافية بجميع الأحكام والقوانين التى تحتاج اليها الأمم في تدبير شئونها وتنظيم حياتها

صالحة لمسايرة هذه الحياة في جميع تطوراتها ومراحل تقدمها ورقيها تزودها في كل عصر وكل جيل بما يكفل لها السعادة ويسبغ عليها السلام والأمن وهذا ما يشهد به قوله تعالى ( ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ ) .

وقوله صلى الله عليه وسلم ( تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله )

وليس معنى أن القرآن تبيان لكل شئ وأنه أحاط بجزيئات الوقائع والحوادث ونص على تفاصيل أحكامها فإن الواقع يشهد بأنه في الأغلب لم يعرض لهذه التفاصيل ولم يعن بالجزيئات وإنما أتت الأحكام في صورة قوانين عامة ومبادئ كلية يمكن تحكيمها في كل ما يعرض للناس في حياتهم اليومية فهى قوانين محكمة ثابتة لا تختلف ولا يسوغ الإخلال بشئ منها وعامة كلية يمكن أن تتمشى مع اختلاف الظروف والأحوال .

فالقرآن الذى هو المصدر الأول للتشريع الإسلامى تبيان لكل شئ من حيث أنه قد أحاط بجميع الأحوال والقواعد التى لابد منها في كل قانون وأى نظام وذلك كوجوب العدل والمساواة والشورى ورفع الحرج ودفع الضرر ورعاية الحقوق لأصحابها وأداء الأمانات إلى أهلها والرجوع بمهام الأمور إلى أهل الذكر والاختصاص .

وما إلى ذلك من المبادئ العامة التى لا يستطيع أن يشذ عنها قانون يراد به صلاح الأمم وإسعادها .

وقد تضافرت النصوص الإسلامية وعلم من الدين بالضرورة عموم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى ( وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ) وقال ( تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا )

لهذا قام محمد رسول الله بتبليغ هذه الرسالة إلى من استطاع تبليغهم من الأمم متمثلين في الحكام كهرقل امبراطور الروم وكسرى ملك الفرس والنجاشى ملك الحبشة وغيرهم تاركا لخلفائه من بعده القيام بتبليغ الدعوة إلى بقية الأمم .

وقد اهتدى بعض تلك الأمم فآمن بدعوته إنصافا للحق كما أنصفه من اتبعه من قومه

**حكمة انبعاث الاسلام من جزيرة العرب**

كان سكان تلك الجزيرة خليطا على عقائد متباينة وأديان مختلفة فمن عبدة الأوثان إلى عبدة الجن والملائكة إلى معتنقى المجوسية إلى اليهود والنصارى من أهل الكتاب فإذا جاء الإسلام في

هذه البقعة ليرد الناس جميعا إلى الدين الحق .

استطاع أن يحاج العقائد جميعها متمثلة في هذا الخليط من أهل الأديان والنحل المختلفة .

وكان من السهل على حامل تلك الدعوة ومبلغها على ضوء هدايته محاجة العقائد في سائر الأمم والشعوب .

يضاف إلى هذا أن أهل تلك المنطقة كانوا متفككى الروابط كثيرى المشاحنات فهم أحوج ما يكون إلى من يجمع كلمتهم .

على أن الإسلام لم يكن بدعا في انبعاثه من هذه المنطقة . فقد انبعث منها ومما حولها سائر الأديان السماوية ومنها شريعتا موسى وعيسى عليهما السلام .

**النواحى التى تناولها التشريع الاسلامى**

جاء الإسلام موجها لاستصلاح الناس فيما يتعلق بشئونهم في دينهم ودنياهم — واعتبر الإسلام كل عمل من أعمال الخير عبادة ودعا الإنسان إلى أن يستعمل نعمة الله في تحسين العلاقات بينه وبين الناس ابتغاء لمرضاة الله مع المحافظة على حقوق نفسه ومن يلوذون به .

وحث على العمل والكفاح لكسب العيش مقترنا بالعمل للآخرة فقد علم الإسلام معتنقيه أن كل عمل من أعمال الدنيا من صميم الدين ما دام الباعث عليه حب الخير والحرص على الانتاج الصالح النافع ومصلحة الجماعة وأن العبادة إذا شغلت عن إصلاح شئون الدنيا والعمل المنتج فيها فليست بعبادة وقد دخل النبى صلى الله عليه وسلم المسجد فرأى رجلا منقطعا للنسك والزهد وسمع من أصحابه ثناء عاطرا عليه من تلك الناحية فقال لهم : من ينفق عليه — قالوا أخوه فقال ( أخوه أعبد منه ) .

وفي هذا المعنى الكثير من الآثار الاسلامية التى ألهبت جذوة النشاط والسعى الكادح بين المسلمين في شئون الدنيا النافعة ليتقربوا بذلك إلى الله سبحانه ومن ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم ( لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه ) .

وقوله صلى الله عليه وسلم ( إن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الصوم ولا الصلاة قيل فما يكفرها يا رسول الله قال الهموم في طلب العيش )

ولذا فإن مفهوم كلمة دين في القرآن الذى عبر عن الإسلام بالدين في قوله تعالى ( اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا ) تشمل صلة الإنسان بربه وصلته بنفسه

وصلته بالغير فالدين الإسلامى ينظم سلوك الناس ويهذب أساليب تعاملهم بحيث لا يكون في النفوس سبيل إلى التظالم ولا أثر للضغائن والأحقاد .

ولهذا قال الباحثون في التشريع الإسلامى إنه يرجع إلى ثلاث نواح

١ ــ الأحكام الاعتقادية .

٢ ــ الأحكام الخلقية .

٣ ــ الأحكام العملية .

وإليك صورة موجزة عن كل ناحية منها :

أولا : الأحكام الأعتقادية

المراد بالأحكـــام الاعتقادية معرفة ما يتعلق بالله وصفاته وبالرسل الذين أرسلهم إلى خلقه وشئون اليوم الآخر .
وقد أفرد علماء المسلمين لذلك علما خاصا به يسمى علم الكلام أو علم التوحيد .

ثانيا : الأحكام الخلقية :

المراد بها بيان ما يتبقى أن يكون عليه المسلم من الصفات التى ينتج عنها صدور الأفعال الخيرة بسهولة كالحلم والصفح والتواضع ولين الجانب وتطهير النفس من الغل والحقد والحسد وما إلى ذلك وهى صفات منبثة في ثنايا القرآن الكريم والسنة النبوية .

وهذه الناحية تعتبر دعامة أصيلة في توجيه الإسلام وهى الأساس لانقياد النفوس للعمل بما جاءت به الشريعة الإسلامية من الأحكام العملية التى تنظم علاقات الناس وتحول بينهم وبين البغى والأثرة اللذين يورثان نيران العداوة والبغضاء ويشيعان الفساد في الأرض .

وقد تدرك جانبا من ذلك التوجيه الخلقى العظيم فيما أدركه منذ بدء دعوة الإسلام رجل من أتباعه وقف موقفا بين يدى نجاشى الحبشة فدعاه الموقف إلى أن يسرد نواحى التوجيه البارزة في دعوة محمد بقضائه على ما كان شائعا بينهم من مفاسد خلقية إذ يقول ( كنا قوما أهل جاهلية نعبد الإصنام ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسئ الجوار ويأكل القوى منا الضعيف حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة فصدقناه وآمنا به ) .

ولا غرو فقد كان محمد حامل الرسالة

الإسلامية أول من تخلق بأخلاقها فلقد هذبه الله وقوم خلقه ووصفه بأنه على خلق عظيم ولهذا روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ( أدبنى ربي فأحسن تأديبي ) وروى أيضا أنه قال ( إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ) .

ثالثا : الأحكام العملية :

ويراد بها ما يتصل بأعمال المكلفين في عباداتهم لربهم وتعاملهم فيما بينهم أفرادا وجماعات .

وتقع هذه الناحية في آخر مراتب التشريع كما هو التدرج الطبيعى فإنه بعد أن استصلح العقائد والأخلاق تمهيدا لاستصلاح هذه الناحية عقب بها لينقاد المسلمون إلى تقبل الأحكام العملية المتعلقة بما يصدر عن الشخص المكلف من أقوال وأفعال وتصرفات فعرفهم من هو المكلف الذى يخاطب بأحكام الشريعة ويلزم بها وما هى العوارض التى تؤثر على الشخص فتجعله غير مكلف كما بين لهم الصحيح والباطل في تصرفاتهم والحلال والحرام في أعمالهم واتصالاتهم أفرادا وجماعات .

كما تناول أحكام العبادات التى يتقربون إلى الله بها من طهارة وصلاة وصوم وزكزة وحج .

وأشار إلى ما يجب في تملك الأموال من حقوق نحو الفرد ونحو المجتمع وما ينبغى أن يكون عليه التعاقد في ضوء تعاليم الإسلام .

كما أشار إلى النظم التى تحكم الأسرة من كافة نواحيها وتوضح علاقاتها في حياة الأفراد وبعد مماتهم .

وبين الجرائم والجنايات وما يقابل ذلك من عقاب وجزاء

كما أشار إلى نظام الحكم والتقاضى وطرق إثبات الدعاوى وتنفيذ الأحكام إلى غير ذلك من شئون الحياة .

**النزعة الجماعية فى التشريع الاسلامى**

عنى التشريع الإسلامى بصالح كل من الفرد والمجتمع ولكنه آثر صالح المجتمع على صالح الفرد وبذا حق أن يوصف بأن نزعته جماعية يوضح هذا أنه يعمل على الحد من سلطان الفرد إذا اساء استعمال حقه فأضر بغيره .

فحقوق الأفراد في الإسلام منح إلهية قيدت بمراعاة الصالح العام وعدم الإضرار بالآخرين فلهذا يمنع المرء من عمل هو في الأصل مباح له اذا ترتب عليه إضرار بغيره لأن المصالح العامة مقدمة على المصالح الخاصة ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم روى عنه أنه قال (لا ضرر ولا ضرار ) .

ومعنى هذا أنه يجب مقاومة كل عمل يترتب عليه الإضرار بالآخرين وإن كان في الأصل مباحا .

وهناك أحاديث تورد بعض تفصيلات لهذه القاعدة كنهى النبى صلى الله عليه وسلم ( أن يبيع أحد على بيع أخيه أو يخطب على خطبته إلا أن يأذن له ومن هذا جاء تشريع الشفعة فإنه حد «من حرية المتبايعين وتقييد له يمنع ضرر الشريك أو الجار .

وعدم المضارة بالأفراد الآخرين مما يوفر الطمأنينة ويحقق ناحية من السعادة وفي هذا صلاح للمجتمع أيضا .

وهذه النظرة الجماعية نظرة إصلاحية عامة وهامة تبين ما في الإسلام من حقية وخلود .

**مميزات التشريع الاسلامى :**

تبين لنا من نظرة الإسلام الجماعية أنه دين إنساني جدير بالخلود والبقاء وأنه يثبت جدارته بذلك على مر الأيام لما فيه من دعائم ثابتة وبنيان محكم متين وهذا يثبت لك ما يشتمل عليه التشريع الإسلامى من مطالب البشر وحاجات الناس مما يدعو إلى وجوب التمسك بأهدابه والاحتكام إليه فيما دق وجل

فإن كل من تأمل فيه يقف على مدى مكانته في معالجة شئون العالم

فالتشريع الإسلامى وهو خاتم الشرائع السماوية وأعمها من عند الله علام الغيوب المنزه عن الخطأ والهوى .

فهو تشريع يحيط بكل شئون الناس وحاجاتهم دون قصور أو زيغ بخلاف القوانين التى هى من وضع الناس وتفكيرهم المحدود الذى من شأنه أن يتحكم فيه الهوى أو يشتمل على نقص في المقدمات وأسباب الأحكام لهذا كان التشريع الإسلامى بما يشتمل عليه من التوجيه الروحى والتهذيب النفسى يربي يقظة الضمير والانتفاع بتوجيه القلب الطاهر الذى أصلحته تلك التوجيهات فهو ينبعث بصفاته إلى حب الخير وجلب النفع ومقاومة الشر .

بخلاف قوانين البشر فإنها مقصورة على التوجيه من ناحية الإرهاب والعقاب فكأنما يساق بها الناس سوق الدواب من غير توجيه ضمير إنساني ولا انبعاث خلقى .

**التشريع الاسلامى يحفظ المقاصد التى يقوم عليها أمر الدين والدنيا**

جاءت الشريعة الإسلامية رحمة بالعباد وفصلا بينهم فيما يختلفون فيه ومحافظة عليهم فيما هم محتاجون إليه .

فقد أحاط القرآن بأصول ما يلزم لحفظ المقاصد التى لم تأت الشرائع السماوية ولم تنشأ القوانين إلا لخدمتها والمحافظة عليها فإن عليها يقوم أمر الدين والدنيا .

وبالمحافظة عليها تنظم شئون الأفراد والجماعات .

وتلك هى المقاصد الخمسة الدين والنفس والعقل والنسل والمال فمهما تنوعت الشرائع واختلفت القوانين فإنها ترمى بأحكامها إلى المحافظة على هذه المقاصد التى عنى القرآن بها فوضع من أصول الأحكام ما يحفظ كيانها ويكفل بقاءها ويدفع عنها ما يفسدها أو يضعف ثمرتها .

ثم جاءت السنة تشرح وتفصل وتبين وتكمل وتضع للاجتهاد والاستنباط نماذج يحتذيها أولو الأمر فيما يجد من الحوادث .

فالدين لابد منه للإنسان الذى يسمو في معانيه المشخصة له عن الحيوانية إذ التدين خاصة من خواص الإنسان ولابد أن يسلم له دينه من كل اعتداء فللمحافظة على الدين وضع القرآن قواعد الإيمان وفرض أنواع العبادات من الصلاة والصوم والحج ثم حاطها بما يمنع عوامل الشر والفساد أن تعبث بها أو تمتد إليها .

فأوجب عقوبة من يعتدون على الدين أو يصدون عن سبيله

والمحافظة على النفس هى المحافظة على حق الحياة العزيزة الكريمة .

والمحافظة على النفس تقتضى حمايتها من اعتداء عليها بالقتل أو قطع الأطراف أو الجروح الجسيمة كما أن من المحافظة على النفس المحافظة على الكرامة الإنسانية بمنع السب والقذف وغير ذلك من كل أمر يمس كرامة الإنسان وللمحافظة على النفس أباح القرآن جميع الطيبات وأحل البيع والشراء والرهن والإجاره وما إليها من المعاملات ثم شرع ما يمنع الاعتداء عليها فأوجب القصاص وفرض الديات

والمحافظة على العقل حفظه من أن تناله آفة تجعل صاحبها عبئا على المجتمع ومصدر شر وأذى للناس — وهى تتجه إلى أن يكون كل عضو من أعضاء المجتمع الإسلامى سليما يمد المجتمع بعناصر الخير والنفع فإن عقل كل عضو من أعضاء المجتمع ليس حقاخالصا له بل للمجتمع حق فيه باعتبار أن كل شخص لبنة من بنائه إذ يتولى بعمله سداد خلل فيه فمن حق المجتمع أن يلاحظ سلامته .

وللمحافظة على العقل أباح الشارع كل ما يكفل سلامته ويزيد نشاطه وحرم ما يفسده ويضعف قوته .

ومن أجل ذلك حرم شرب الخمر وتوعد عليه .

ثم وكل أمر العقوبة الزاجرة فيه إلى بيان النبى صلى الله عليه وسلم .

والمحافظة على النسل هى المحافظة على النوع الإنساني وتربية أجياله على المحبة والعطف ليأتلف النـــاس وذلك بأن يتربي كل ولد بين أبويه ويكون للولد حافظ يحميه .

وقد اقتضى ذلك تنظيم الزواج واقتضى منع الاعتداء على الحياة الزوجية كما اقتضى منع الاعتداء على الأعراض سواء أكان بفعـــل الفاحشة أم كان بالقذف وذلك كله لمنع الاعتداء على الأمانة الإنسانية التى أودعها الله تعالى جسم الرجل والمرأة ليكون منهما النسل والتوالد الذى يجعل حياة الإنسان باقية في هذه الأرض على أن تكون متآلفة قوية تعيش عيشة طيبة عالية فيكثر النسل ويكون قويا في جسمه وخلقه وعقله ويكون صالحا للامتـــزاج والائتلاف بالمجتمع الذى يعيش فيه ومن أجل المحافظة على النسل كانت عقوبة الزني وعقوبة القذف وغير ذلك من العقوبات التعزيزية التى وضعت لحماية النسل .

وللمحافظة على المال والعناية بأمر تدبيره ووجوه الانتفاع به شرع نظام المعاملات وحرم الغش والتغرير والربا وكل ما فيه أكل أموال الناس بالباطل .

وفرض ضمان المتلفات وشرع الحد في السرقات وهكذا نجد أن الأحكام التى شرعت لخدمة هذه المقاصد الخمسة والمحافظة عليها قصدت في ذلك إلى أمرين — الأول حفظها في أصـــل وجودها بتقوية أركانها وتمكين قواعدها والثاني حفظ بقائها ونموها لتؤتي الثمرة المرجوة منها وذلك بحمايتها من عوامل الفساد وأسباب الانحلال .

هذه هى المقاصد الخمسة التى تقوم عليها حياة الإنسان وبصلاحها يستقيم أمر الأفراد ونظام الجماعات .

وضع لها القرآن القواعد والأصول وقرر لكل نوع ما يناسبه من الأحكام قرر هذه الأحكام كليات وأتي فيها بعمومات لكنه مع ذلك لم يغفل ما يراه منها في حاجة إلى تفصيل .

## السنة توضح القرآن

ثم جاءت السنة توفي ذلك حقه من الشرح والبيان فقد بين النبى صلى الله عليه وسلم بأقواله وأعماله أحكام ما كان يعـــرض للناس من الحوادث يستقيه من الوحى وقد وضع صلى الله عليه وسلم لنا مبادئ حكيمة في الأخلاق وأنـــواع العبادات وقواعد صالحة في نظام الأسرة وتربية الناشئين وأسسا متينة لأحكام روابط الاجتماع فسن من القوانين في المعاملات والجنايات وعلاقات بعضها ببعض ما هو كفيل بإقرار السلام والأمن في الأرض وحتى

آداب الأكل والشرب وآداب السلام وما ينبغي أن يكون في السفر والاقامة والصحة والمرض والغنى والفقر كل ذلك قد عنى به وترك لنا فيه مثلا عالية للتربية والتعليم ونماذج صالحة للتهذيب والتثقيف .

ثم كان عليه الصلاة والسلام يجتهد ويجمع في الحكم بين المتماثلات بربط الأشياء بنظائرها ويلحق الفروع بأصولها منبها إلى علل الأحكام وأسرار التشريع وقد علم الصحابة بهذا أن أحكام الشريعة لها حكمها وأسرارها ولها أسبابها وغاياتها لأنهـــا شريعة خالدة عامة .

فوجب أن تكون احكامها وافية بهذه الحاجة في كل عصر وهكذا كان رجال الصدر الأول من المسلمين يفهمون الشريعة من مصادرها ويستنبطون الفروع من أصولها فكانوا يجـــدون في هذه المصادر والأصول الكفـــاية بأحكام ما يأتون وما يذرون وما شعروا يوما أنهم مع هذه الشريعة عاجزون أن يواجهوا ما كان يتوارد عليهم من الوقائع ومختلف النوازل .

وكثير منها لم يكن لهم به عهد من قبل بل كان من نتائج الفتح الإسلامى وأثر من آثار اختلاط العرب بغيرهم من الأمم التى خضعت سلطان الإسلام .

## التشريع الاسلامى ملائم لكل البيئات

مما لا شك فيه أن التشريع الإسلامى الذى نزل الوحى بقواعده وأصوله الكلية صالح لكل وقت ملائم لجميع البيئات .

فقد بنى على التيسير ورفع الحرج ودفع الضرر . قال تعالى ( وما جعل عليكم في الدين من حرج ) وقال جل شأنه ( يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ) والنبى صلى الله عليه وسلم يقول ( يسروا ولا تعسروا ) .

وقد ثبت من سيرته أنه صلى الله عليه وسلم ( ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما ) .

والمتتبع لأحكام الشريعة الإسلامية يجد مظاهر هذا الأصل في شتى نواحيها فقلة التكاليف إلى مراعـــاة أعذار المعذورين إلى رفع التكليف أو عدم المؤاخذة في حالة الضرورة كل ذلك يدل في وضوح إلى اليسر وعدم الحرج أضف إلى ذلك أن القرآن في جانب تشريع المعاملات لم يعمد إلى التفصيل بل أتي بقواعد عامة صالحة للتطبيق في كل حين — قال تعالى ( يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ) وقال ( وأحل الله البيع وحرم الربا ) وقال أيضا ( لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم .

وهو بهذا يرمى إلى تحقيق مصالح الناس على اختلاف الأزمان والبيئات لأنه تشريع للناس كلهم قال تعالى ( قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا ) فلو لم يكن محققا لمصالح الجميع لكان نقمة عليهم مع أنه جعله رحمة لهم قال تعالى ( وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين )

وهو بحق يحقق العدل والمساواة بين الناس كلهم لأنه ينظر إلى الناس جميعا نظرة المساواة في الخضوع لأحكامه وفي المؤاخذة على مخالفتها لا فرق بين حاكم ومحكوم ولا بين غنى وفقير ولا بين شريف ووضيع ولا بين أبيض وأسود . فلا يعفى شخص من المؤاخذة بماله من جاه وسلطان .

قال تعالى ( إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ) وقال سبحانه ( يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجر منكم شنآن قوم على ألا تعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى)

وقال جل شأنه ( يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وأن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا ) .

والنبى صلى الله عليه وسلم يقول (إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ) .

وبالجملة فقد قصد الإسلام بتشريعه تحقيق المصالح للناس ودفع المفاسد عنهم وكانت تشريعاته كلها مبنية على أن مصلحة الجماعة مقدمة على مصلحة الفرد إذا ما تعارضت المصلحتان وأن دفع الضرر العام مقدم على دفع الضرر الخاص ومن هنا نهى عن احتكار الطعام وأمر ببيعه للناس وقت الحاجة وإن لم يرض صاحبه — كما حرم الربا وشدد النكير فيه مع ما يحققه من نفع لصاحب المال حماية للمجتمع من جشع المرابين ورحمة بالمحتاجين الذين يضطرون إلى مد أيديهم طلبا للقرض من أولئك المرابين .

وهذه نزعة جماعية تحمى الجماعة من طغيان الأفراد وتسلط أصحاب الحقوق .

### أهم المبادىء التى يدعو اليها الاسلام

الشريعة الإسلامية جاءت بمبادئ سامية تقود الناس دائما إلى الفلاح وتقضى على عوامل الشر والفساد ومن ذلك :

أولا : مبدأ العدالة والمساواة فإن أحكامها بنيت على العدالة المطلقة والتسوية التامة بين الناس ( يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ) والرسول صلى الله عليه وسلم يقول ( الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على عجمى إلا بالتقوى ) .

ثانيا : مبدأ الشورى فقد جعل الإسلام الشورى أساساً للحكم فأمر نبيه بها قال تعالى ( وشاورهم في الأمر ) وامتدح المؤمنين بها فقال ( وأمرهم شورى بينهم ) .

ثالثا : مبدأ التسامح فقد جاد الإسلام يدعو إلى التسامح مع الأفراد قال تعالى ( وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ) ومع الجماعات المخالفة قال تعالى ( وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ) وقال سبحانه ( لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ) .

رابعاً : مبدأ التضامن الاجتماعى فقد حرص الإسلام من أول الأمر على أن يقرر حق الفقراء في مال الأغنياء ويحمل الأغنياء مسئولية كفايتهم .

وبما أسلفنا نكون قد أوضحنا أن التشريع الإسلامى صالح للتطبيق في كل زمان ومكان وأن تشريعا يستمد حياته من القرآن والسنة لن يقف في يوم من الأيام عن مسايرة الزمن .

محمد فهمى على أبو الصفا

٢٠ ربيع الثاني ١٣٩٦ هـ

١٩ ابريل ١٩٧٦ م

---

**من سقطات ( المنجد )**

**ثلاث غلطات فى خبر واحد**

يقول مؤلفو ( المنجد ) فى تعريف الصحابي الجليل سعد بن معاز (رضى) « **انه حمل اللواء فى وقعه بدر ، وضمد جرح النبى بعد وقعة أحد . وأخذ حكما فى مصير الاسرى من يهودخيبر ، فحكم بقتل رجالهم وسبى نسائهم واقتسام أموالهم** » .

ولا صحة لاى من هذه الاخبارالثلاثة . فسعد (رضى) كان يحمل راية الانصار فى بدر وهى غير اللواءالذى كان مع مصعب بن عمير (رضى) ولم يذكر سعد فى من ضمن جرح رسول الله (ص) يوم احد . ولقد عاجله الاجل قبل غـــزوة خيبر . وانما كان تحكيمه فى قريظة عقيب غزوة الاحزاب .

**المجذوب**



دراسات فى

# السيرة والتاريخ الإسلامى



# حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي

لفضيلة الدكتور عبد المنعم حسنين

**كثر الحديث في السنوات الأخيرة حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامى وتنقيته من الشوائب التى علقت به بفعل المستشرقين وأعداء الإسلام من غير المسلمين ومن المنتسبين إلى الإسلام .**

**وقد انعقدت مؤتمرات في دول مختلفة إسلامية وغير إسلامية لبحث كيفية إعادة كتابة التاريخ الإسلامى بعامة وكتابة تاريخ جزء من أجزاء العالم الإسلامى بخاصة ، ويسر الله لى الإشتراك في أكثر المؤتمرات التى عقدت لبحث هذا الموضوع البالغ الأهمية وأن أسهم في المناقشات التى دارت وفي إعداد البحوث التى قدمت متضمنة اقتراحات معينة رأى مقدموها أنها تفيد في إلقاء أضواء على جوانب الموضوع المختلفة حتى تكون التجربة الجديدة محققة للهدف المنشود ، وبعيدة ما أمكن عن أخطاء التجارب السابقة .**

ولا أريد التحدث عن المؤتمرات التى حضرتها واشتركت في مناقشاتها وبحوثها لأن هذا يحتاج إلى حديث طويل غير أني أرى واجبا على أن أسجل ملاحظاتي على مثل هذه المؤتمرات وبخاصة ما عقد منها في بعض الدول العربية .

وأول ما لاحظته في هذه المؤتمرات أن المدعوين إليها خليط من المسلمين ومن غير المسلمين ، بل إن بعض المدعوين لهم كتابات معادية للإسلام ومنهم أشخاص من ورثة الصليبيين الذين يدرسون التاريخ الإسلامى بنية منعقدة على جمع المطاعن وتلفيق الأباطيل ضد الإسلام وحقائقه الناصعة وهم بذلك يتنكرون للمنهج العلمى الصحيح الذى يحرص على بيان الحقائق وعرضها دون أن تمزج بمرارة الحقد والتعصب ، فكيف يدرس هؤلاء إعادة كتابة التاريخ الإسلامى وتنقيته مما علق به من شوائب ، وهم الذين اسهموا في تشويه الحقائق أو طمسها ؟ ! . كيف يبحث غير مسلم التاريخ الإسلامى ويكون منصفا في

دراسته ؟ ! . . كيف يقول شخص من ورثة الصليبيين كلمة الحق في التاريخ الإسلامى وهو الذى يحرص على رمى الإسلام بتهم باطلة ظالمة ؟ ! .

إن إعـــادة كتابة التاريخ الإسلامى وتنقيته من أباطيل هؤلاء الأعداء المغرضين أمر لازم ينبغي أن يتم في أقرب وقت ممكن ولكنه أمر يجـــب أن يضطلع به باحثون مسلمون مخلصون يؤمنون بالله ورسوله ، وينبـــغى أن يبعد عنه أعداء الإسلام سواء من كان منهم من غير المسلمين أو من كان ممن ينتسبون إلى الإسلام ، حتى يراقب هؤلاء الباحثون الله في أثناء كتابتهم للتاريخ الإسلامى .

نحن لا نطالب إلا بإثبات الحقائق خالصة من كل زيف ، غير متأثرة بأى هوى ، وهذا هو ما يتفق مع المنهج العلمى الصحيح ، لأن إثبات الحقيقة العلمية هو غاية الدارسين المخلصين الصادقين ، أما تشويه الحقائق ، والتشكيك فيها ، فأمر لا يتفق مع المنهج العلمى السليم ، وليس من العلم في شئ .

والعجيب أن كثيرا من الدارسين في البلاد الاسلامية يتشدقون بضرورة فصل العلم عن الدين ، ويطالبون بإعطاء المستشرقين وأشباههم حق الإشتراك في إعادة كتابة التاريخ الإسلامى ، وأن يصدروا من الأحكام ما تنتهى إليه دراساتهم دون خوف مما يكتبون ، وما يصدرون من أحكام ، ونقول لهؤلاء إن ما يقولونه غير صحيح لأن غير المسلمين لا يمكن أن يكونوا منصفين في بحثهم ، ولن يستطيعوا أن يتخلوا عن أهوائهم ، وأن يتخلصوا من كرههم للإسلام وهم يحاولون إعادة كتابة التاريخ الإسلامى مهما أعلنوا حيادهم ، أو تظاهروا بحبهم لإثبات الحقائق العلمية ، دون تأثر بأى عامل من عوامل التأثير .

إن هؤلاء كاذبون مضللون يريدون أن يخدعُوا المسلمين بزخرف القول ومعسول الكلام ليضعوا السم في العسل ويمزجوا تاريخ المسلمين بما تكنه صدورهم من حقد وعداوة ، وقد سألت أحد هؤلاء الكاذبين المضللين هل يقبل أن يكتب مؤرخ مسلم تاريخ النصرانية أو تاريخ الكنيسة ؟ فبهت الذى كفر . وأمسك عن الجواب ، فقلت له أرأيت كيف أنكم تبيحون لأنفسكم مالا تبيحونه لغيركم ؟ وإذا كتب مسلم تاريخ الحروب الصليبية ، أو تحدث عن الكنيسة أوسعتموه نقـــدا بألسنة حداد مع ما عرف به المسلمون من التسامح وعدم التعصب .

ولكن العيب ليس عيـــب هؤلاء المؤرخين غير المسلمين من المستشرقين

وورثة الصليبيين الذين يشاركون في المؤتمرات التى تعقد لبحث إعادة كتابة التاريخ الإسلامى وإنما هو عيب من يمكنون لهم من حضور مثل هذه المؤتمرات ، والأشد عيبا أن يدافع بعض من ينتسبون إلى الإسلام عن حضورهم ، وضرورة الاستماع إلى آرائهم وإشراكهم في المؤتمرات التى تعقد في البلاد الإسلامية ، بل وفي المطالبة بإشراكهم في كتابة التاريخ الإسلامى من جديد ، بحجة أنهم علماء ذوو خبرة، وأن الكثيرين من أساتذة التاريخ في البلاد الإسلامية قد تتلمذوا على أيديهم . أما التشدق بأنهم علماء فمن المسلم به في منهج البحث العلمى أن العلم لا يفسده شئ كما يفسده التعصب فلا فائدة من علمهم بعد أن أفسده تعصبهم ضد الإسلام والمسلمين .

وأما أن كثيرا من المؤرخين المسلمين في العصر الحديث قد تتلمذوا على أيدى غير المسلمين من المستشرقين والمستعمرين وورثة الصليبيين فإن هذا الأمر قد أفسد العديد من هؤلاء المؤرخين الذين ينتسبون إلى الإسلام ، ويرددون آراء أعداء الأسلام ، فجعلهم يسيئون إلى التاريخ الإسلامى أكثر مما يسئ إليه غير المسلمين .

والواقع أن البلاد الإسلامية يجب أن تغير النظر في سياسة الابتعاث إلى الخارج فلا ترسل إلى أوربا وأمريكا مثلا أشخاصا لدراسة العلوم الاسلامية المختلفة لأن فاقد الشئ لا يعطيه ، وإذا كان هذا الأمر قد حدث في وقت سيطرة الاستعمار على كثير من الدول الإسلامية فينبغى على هذه الدول بعد التخلص من سيطرة الاستعمار سياسيا وعسكريا ، أن تتخلص من سيطرة الاستعمار ثقافيا ، وأن تعمل على محو كل أثر من آثار هذه السيطرة الثقافية لأنها أشد خطورة وأعمق أثرا ، فلا ترسل إلى اوربا الا من يريدون دراسة علوم بلغت في هذه البلاد شأواً لم تبلغه بعد في بلادنا لإسلامية ، على أن تكون هذه مرحلة مؤقتة تنتهى بانتهاء الأسباب التى دفعت إليها ، أما أن ترسل الدول الإسلامية أشخاصا لدراسة التاريخ الإسلامى أو أى علم من العلوم الإسلامية المختلفة في أوربا أو أمريكا فهذا أمر يجب إيقافه ووضع حد له .

وصفوة القول أن تاريخنا الإسلامى في حاجة إلى أن تعاد كتابته وصياغته بحيث يخلو من الشوائب التى علقت به ، وبحيث يوضح تاريخ المسلمين في عصورهم المختلفة بكل جوانبه، وبكل ما فيه من إيجابيات وسلبيات ، لأننا محتاجون إلى معرفة تاريخنا الإسلامى

والاستفادة من أحداثه ، وأخذ العبرة من هذه الأحداث ، والأخذ بالأسباب التى أدت إلى الرقي والازدهار ، وتجنب العوامل التى أدت إلى الضعف والاندحار والسير على هدى وبصيرة .

لقد أقام المسلمون حضارة لم يشهد لها التاريخ مثيلا في سمو الأخلاق ونبل الأهداف حين كانوا متمسكين بكتاب الله ، مطبقين لأحكام الله ، ومهتدين بهدى خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه ، فلما تركوا كتاب الله وهدى نبيه وراءهم ظهريا ، تبدلت أحوالهم وأصاب الضعف بلادهم وتلك سنة الله في خلقه « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

إن المؤرخين المسلمين المخلصين قادرون بعون الله على إعادة كتابة تاريخهم وتنقيته من الزيف والأباطيل التى ألقى بها أعداؤهم من المستشرقين والمستعمرين وورثة الصليبيين وأذنابهم ممن ينتسبون إلى الإسلام، وهم يستطيعون الرد على هؤلاء الأعداء وإخراس ألسنتهم الحاقدة ، وتوضيح الحقائق وبيانها لشباب المسلمين ، ليستشعروا العزة والكرامة ، ويعملوا على إعادة بناء حضارتهم على هدى وبصيرة .

إن الجامعة الإسلامية وهى تحتضن دارسين من أكثر من ثمانين دولة تستطيع أن تربي جيلا من المؤرخين المسلمين المسلحين بالعلم بأمور دينهم وبالخلق القويم ، وبالوعى الكامل بحقائق التاريخ الإسلامى ، وبالمنهج العلمى الصحيح ، ويستطيع هؤلاء المؤرخون المسلمون الصالحون المؤهلون تأهيلا صحيحا أن يعيدوا كتابة التاريخ الإسلامى كتابة صحيحة وينقوه من الشوائب والأباطيل لينتفع بحقائقه المسلمون في سائر أنحاء العالم .

إن الشئ الذى يهم المسلمون جميعا أن يكتب التاريخ الإسلامى كتابة صحيحة ولسنا متعجلين في كتابته . المهم أن نبدأ وأن نسير بخطى ثابتة على هدى وبصيرة ، معتمدين على الله ، واثقين في نصره وتأييده .

إن علينا أن نعمل بجد وإخلاص حتى نصل إلى الهدف المنشود ، والغاية المرجوة « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .

وبالله التوفيق .

# دراسات فى

# التربية والتعليم




لفضيلة الشيخ عبد الرءوف اللبدي

تلميذى العزيز :

كتبت إلىّ تقول : لقد أنهيت دراستى الثانوية ، وأصبحت طالبا جامعيا ، وإني لأرى المقررات واسعة ذات شعب ، وأن علىّ أن أدرس ساعات طويلة خارج قاعات المحاضرات ، فأرجو أن تقدم إلىّ شيئا من النصح ، وأن تزوّدني ببعض التجارب .

تلميذى العزيز :

لو كنت أعلم أنك قد دخلت الجامعة طمعا في شهادة تكسب بها الرزق ، وتنال بها الوظيفة ، ثم لا يهمك بعد ذلك علم ولا يشوقك بحث ، ما كتبت إليك نصحا ، ولا تحدثت إليك عن تجربة .

ولكنى عرفتك على مقاعد الدراسة ذا حياة ونشاط وفطنة ، وعرفتك في البيت ذا نفس طُلَعة ، تجد خير متعة لها أن تقرأ ، وخير محدث تصغى إليه الكتاب .

وذلك — لا شك — ينبئ برغبة صادقة في العلم ، ونزعة فطرية إلى البحث وأول ما يقوم عليه نجاحك في الدراسة هذه الرغبة التى لها بين جنبيك حسيس وغليان ، ثم هذا الاحساس الفطرىّ غير المتأثر بعوامل خارجية .

أما أولئك الذين يدرسون بعوامل من الخارج ، كأن يكون ذلك خوفا من رسوب وهربا من خزى ، أو حرصا على مرضاة أهل وأقارب ، أو منافسة للأنداد ومفاخرة في المجالس ، أو تصيدا لمناصب الدولة ، فقد تكون دراستهم ذات نفع ، وقد تكون بحوثهم ذات قيمة ، ولكن عطاءهم سرعان

ما يؤول إلى انقطاع ، كما تلمع البروق في السماء ، وكما تسقط الشهب على الأرض .

تلميذى العزيز :

لابد لك في مطلع عامك الدراسي من جدول تسير عليه ، إذا ما كنت خارج قاعات المحاضرات ، وأنهيت دوام الحصص اليومية .

وأنت نفسك الذى ينبغى أن تنظم هذا الجدول ، وأن توزع ساعات قراءتك ودراستك على موادك العلمية المقررة ، ولا يستطيع أحد غيرك أن ينظم هذا الجدول لك ، لأن الساعات التى تجعل للدراسة تطول وتقصر حسب قدرة الطالب عليها ، واستعداده لها ، ورغبته فيها ، فأنت أدرى بقدرتك واستعدادك وما عندك من رغبة وإقبال .

ومهما يكن من أمر فإني أنصح لك ألا تقلّ ساعاتك التى تتفرد بالدراسة عن أربع ساعات كل يوم ، على أن يفصل بينها وليس منها أوقات عبادتك وطعامك وراحتك ، ولا تنس أن توفر لنومك الهادئ المطمئن ساعات كافية وافية .

على أن الدراسة ليست بكثرة الساعات ولكن بمقدار ما تفيد وتنفع ، فهناك طلاب يضطرون إلى أن ينفقوا بعض أوقاتهم في أعمال يكسبون بها الرزق ولا يخصّون الدراسة إلا بساعات قليلة ، ومع ذلك تراهم يفوقون طلابا متفرغين للدراسة ليس لهم ما يشغلهم عنها .

وهناك طلاب أذكياء يقرءون بسرعة ويفهمون بسرعة ، وهناك طلاب متوسطو الذكاء قراءتهم بطيئة وفهمهم بطئ ، وهناك طلاب يدفعهم حب الأمتياز والتفوق إلى أن يخصوا دراستهم بسبع ساعات أو ثمان كل يوم .

والذى أنصح به أن يكون جدولك الدراسى عمليا واقعيا يمكنك تنفيذه والسير عليه دون أن تنفق كل ما لديك من نشاط وطاقة ، فإن المنبتّ لا أرضا قطع ولا ظهر أبقى .

ولا ريب أن الاستمرار في القراءة والدراسة دونما فترات راحة ، يجلب التعب والإرهاق ، ويبعث الملل والسأم ، ويضعف القدرة على الفهم ، وقد أثبتت التجارب أن الطالب الجامعى لا يستطيع أن يظل محتفظا بنشاطه الذهنى وأن يحصر انتباهه في موضوع محدد ، مع قدرة الفهم والهضم ، لا يستطيع ذلك أكثر من خمسين دقيقة .

ولقد توصل علماء النفس والتربية بعد إجراء تجارب كثيرة في ميدان توقيت عمليةالتعليم إلى النتيجة التالية :

« تتعلم كثيرا ، وتتذكر ما تعلمته جيدا ، إن كانت ساعات دراستك

مختلفة متباعدة ، وذلك يفوق ما تتعلمه وتتذكره إن كانت ساعات دراستك متواصلة متوالية » .

فلابد من الراحة بعد كل خمسين دقيقة ، على ألا تقل هذه الراحة عن عشر دقائق ، ولا تزيد عن خمس عشرة دقيقة ، لابد من هذه الراحة وإن كنت قادرا على الاستمرار في الدراسة ، وكنت ذا نشاط وقوة .

وإني لأنصح لك أن تخص كل محاضرة من محاضراتك اليومية في الجامعة بساعة دراسة في البيت ، على أن تزيد هذه الساعة وتنقص حسب صعوبة المادة وسهولتها بالنسبة لك ، ومن سوء التدبير أن تهمل بعض المواد إهمالا تاما ، وأن تقصر الساعات كلها على بعض المواد .

وإن أفضل وقت لدراسة أى موضوع الوقت الذى يكون قريبا من تدريس المدرس لذلك الموضوع ، ولهذا ينبغى أن يكون جدول دراستك الخاصة مسايرا جدول التدريس في الجامعة .

ومن المجرّب أن قراءتك الموضوع قبل تدريسه أفضل خطة يمكن أن تسير عليها ، وكلما ازداد ما تعرفه عن المحاضرة قبل إلقائها ازدادت الفائدة منها ، وازدادت قدرتك على أن تميز فيما يلقيه المحاضر بين ماهو خير وله قيمة وبين ما هو حشو تافه لا خير فيه .

وتعطيك قراءة الموضوع قبل تدريسه قدرة على أن تختار بسهولة وعن علم الملاحظات الجديرة بالتسجيل في دفترك الخاص بالملاحظات ، وتعطيك فرصة لأن تسأل المدرس وتباحثه في أمور عرضت حين قراءتك الموضوع .

أما إذا أجلت قراءة الموضوع إلى ما بعد تدريسه فسوف تحتاج إلى بذل جهد كبير كى تفهم ما يقوله المدرس ، ومن المتوقع أن تشغل نفسك بتسجيل ملاحظات يكون بعضها تافهاً لا قيمة له ، وبعضها جاء في الكتاب المقرر وأنت لا تدرى .

ومن سيئات تأجيل قراءة الموضوع إلى ما بعد تدريسه أنك لن تجد فرصة للتعمق فيما يقوله المحاضر ، ولا لنقده ، ولا لترجيح رأى على رأى .

وربما كان في الكتاب المقرر بعض عبارات غامضة ، وألفاظ اصطلاحية تحتاج إلى إيضاح ، فلا تدرى بها إلا بعد فوات الوقت المناسب .

تلميذى العزيز :

قد يكون بين زملائك في الجامعة من يبدد وقته ضياعا وهو لا يدرى ، يجلس إلى كتبه ليدرس ، فيمسك

بكتاب إحدى المواد ، حتى إذا مضى في قراءته عشر دقائق أو قريبا منها ملّ وسئم ، فيلقى به جانبا ، ثم يمسك بكتاب مادة أخرى ، فلا يلبث بين يديه أكثر من عشر دقائق ثم يعافه وينبذه ، ثم ينتقل إلى مادة ثالثة فلايكون حظها من العناية والصبر أوفر من أختيها ، وهكذا دواليك .

فإذا كان بين زملائك مثل هذا ممن لا يستطيعون حصر الذهن في موضوع واحد مدة تقارب الساعة ، فأفضل علاج له أن يقسم أوقات دراسته على مواده المقررة بالدقائق ، فيخصّ كل مادة في بداية الأمر بعشرين دقيقة ، تعقبها راحة لا تزيد على عشر ، ثم بعشرين دقيقة مادة أخرى تعقبها راحة كتلك ، وهكذا . .

حتى إذا درب على ذلك وأصبح له عادة ، زاد الوقت المحدّد لكل مادة زيادة صغيرة ، لا تقل عن خمس ولا تزيد على عشر ، وتستمر الزيادة مع مرور الزمن ، ومع ازدياد القدرة على الدراسة وازدياد الرغبة في العلم ، إلى أن تصل إلى خمسين دقيقة وهو الحد الأقصى ، على أن تظل الراحة التى تعقب دراسة كل مادة عشرا أو تزيد قليلا .

لا أدرى أمنفردا تدرس ، أم تشرك بعض إخوانك وزملائك في دراستك ومهما يكن من أمر ، فبعض المربين يرى الدراسة الجماعية المشتركة إنما تفيد الطالب الضعيف والمتوسط ، ولا تفيد الطالب القوى .

وفريق آخر من المربين يرى أنها تفيدهم جميعا ، أما الضعيف والمتوسط فالأمر فيهما ظاهر ، وأما القوى فله منها فوائد ثلاث :

أما الأولى فإن مساءلة إخوانه له ، ومباحثتهم إياه ، ومحاولته التفهيم والشرح كل اولئك يحمله على أن يدقق النظر ويعمق الفهم ، وينبهه لأمور لم تكن لتخطر له على بال ، ومن الأقوال المشهورة بين رجال التعليم : « إذا أردت أن تتعلم شيئا فحاول أن تعلمه غيرك من الناس » .

وأما الفائدة الثانية فإن الدراسة الجماعية تدرب الطالب القوى على أن يعبر عما علم وفهم بطلاقة لسان وحسن بيان ، وهذا ليس بالشئ القليل الهيّن ، فكثير من الطلاب يقرءون ويفهمون ، ولكنهم إذا طولبوا أن يفصحوا عما فهموا تلعثم اللسان واضطرب البيان .

والثالثة أنها تمكن لمعلومات الطالب القوى في ذهنه ، وبذلك تخفف عنه عبء المراجعة في آخر العام .

ويشترط لنجاح الدراسة الجماعية **أن** يتفق أفرادها من قبل أن يبدءوا بها أن يتفقوا على ما يسمى بورقة عمل ، فإن لم يكن ورقة عمل يسيرون عليها فلا خير يرجى من تلك الدراسة .

على أن الدراسة الجماعية لا تصلح إلا في أول العام الدراسيّ ، حين يكون المقروء قليلا والوقت طويلا .

تلميذى العزيز :

لا أدرى أين تدرس ؟ ولا أين تطيب لك الدراسة ؟ غير أني أنصح لك أن يكون مكان دراستك بعيدا عن كل ما يشرد بذهنك ، ويطير بعواطفك وفكرك ، أن يكون خاليا من « الراديو» ومن « التليفزيون » ومن المجلات المصورة وغير المصورة ومن الصحف اليومية وغير اليومية .

ولتعلم أن أشد الناس عداوة لوقتك واعتداء عليه أصـــدقاؤك وزملاؤك وأقـــاربك ، هؤلاء الذين يزورونك بلا موعد ولا حساب ، ويشغلونك عن دراستك بأحاديث فارغة وأمور تافهة .

فاختر لدراستك مكانا يأبي على هؤلاء وأمثالهم أن يغيروا عليه ليلا أو نهارا ، وإقبالا وإدبارا .

وربما كانت مكتبة الجامعةخير مكان لدراستك إذا هيئت لك فيها الدراسة وصلحت ، فللمكتبة نظام يوفر لها الهدوء والسكينة ، ويدرأ عنها ما يشتت الخواطر ويكدّر الأذهان ، وفي المكتبة تنجو من زيارات فارغة تافهة تسحت وقتك وتفسد دراستك .

وإذا وجدت المكتبة خير مكان تدرس فيه من بعد تجربة ، فإياك إياك أن تجلس على مقربة من الباب فتشغل نفسك بمن يدخل ويخرج ولكن ولِّ وجهك شطر الجدار ، فلا ترى أحدا ولا يراك أحد .

وعلى كل حال فالمكان عادة وإلْف ، فمن الطلاب من اعتاد الدراسة في المساجد ، ومنهم من اعتاد الدراسة في الحدائق العامة ، ومنهم من اعتادها في ساح الجامعات وأفنيتها ، ومنهم من أعتاد أن يدرس في غرفته الخاصة فخير مكان مكان يحفظ عليك وقتك ، ويحول بينك وبين ما يلهيك عن دراستك

فإذا لم تتيسر لك مكتبة الجامعة ، ولم يك في الجامعة قاعة واسعة خاصة بالمطالعة ، تخضع للإشراف المهيمن والنظام الصارم ، فربما كان أفضل مكان لدراستك غرفتك الخاصة ، فإن وجدت فيها راحتك وطمأنينة نفسك فالحذر الحذر أن تدرس وأنت مستلق على الفراش ، فالفراش يبعث على التراخى ، ويدعو إلى الكسل والنوم ،

والأفضل أن تجلس على كرسى يكون مستقيم الظهر ، وأمامك منضدة خالية من كل شئ ، إلا ما تحتاج إليه من كتب مقررة ودفاتر ملاحظات وبعض المعاجم اللغوية ، وليكن وجهك إلى الجدار ، وحذار أن يكون أمامك نافذة مفتوحة ، إنها سترحل بعينيك إلى خارج الغرفة ، وتنتزعك من بين كتبك إلى أماكن شتى وآفاق بعيدة .

وإياك والانحناء في أثناء الدراسة ، فذلك يتعبك ويضر بصحتك ويجلب عليك الكسل .

تلميذى العزيز :

ليس توفير ساعات معدودة للدراسة كل يوم ، وتوزيعها على المواد المقررة ، واختيار المكان المناسب ، ليس ذلك كل ما تطلبه الدراسة الناجحة ، فهناك أمور أخر أرجو أن تهتم بها وترعاها ، وإن رآها كثير من الطلاب ليست بذات بال .

فدخولك غرفة التدريس في أول الحصة وقبل أن يبدأ المدرس محاضرته أمر يجب أن تحرص عليه وترعاه ، كى لا يفوتك شئ من التوجيهات ، أو المعلومات أو الأشارة إلى مراجع ذات قيمة ، ومن جهة أخرى فهذا الدخول المبكر يوثق الصلة بينك وبين المدرس ، ويجعل بينكما مودة ورحمة ، فتراه حريصا على فهمك ، محتفيا بأسئلتك ، لا يعرض عنك ولا يعتذر إليك إن سألته خارج غرفة التدريس أو داخلها .

وأرجو كذلك أن تحرص على حضور كل حصة ، فحضور كل حصة يجعل معلوماتك في كل مادة متواصلة متماسكة ليس فيها فجوات ضعف ولا ثغرات جهالة .

أما الأمر الثالث الذى أود أن تحرص عليه فهو أن يجهز مكان دراستك بالنور الكافي ، والنور الكافي ضرورى لنشاطك ولسلامة عينيك ، ولمستقبل حياتك العلمية والعملية ، النور الضعيف يبعث الملل ويأتيك بالكسل ، وأشد إضراراً من ذلك أنه يتلف عينيك اللتين هما من أعظم ما يعينك على دراستك ، وأعظم ما يوفر لك الوقت للبحث المتعمق والإنتاج المثمر .

وما أكثر الطلاب الذين يهملون هذا الأمر ، ويدرسون على أضواء شاحبة هزيلة ، حتى إذا أصاب أعينهم الأذى ولحق بها الضعف ، أخذوا يعضون على أيديهم ، ولات ساعة مندم .

تلميذى العزيز :

ما حدثتك عنه من وضع جدول خاص لدراستك ، واختيار مكان مناسب لتلك الدراسة ، ومن أمور أخر كالتبكير

في حضور الحصص ، والحرص على حضور كل حصة ، والنور الموفور في مكان الدراسة ، كل اولئك خطوات تمهيدية للدراسة ، أما الدراسة نفسها فلم أحدثك عنها بعد .

ماذا تعنى كلمة الدراسة ؟

أول ما يخطر بالبال أنها فتح كتاب مقرر ، ومحاولة استظهار ما فيه استعداداً للامتحان ، وهذا معنى ضيق محدود لما تعنيه كلمة الدراسة ، أما الدراسة بمعناها الأعم الواسع فهى : كل مجهود يبذل في سبيل التعلم .

وأيـّاً كان معناها ، فالدراسة لابد لها من القراءة ، والقراءة أعظم الدعائم التى تقوم عليها الدراسة .

والحديث عن القراءة عامة حديث يطول ، ولا تتسع له هذه الرسالة ، وربما حدثتك عنه في رسالة قادمة ، أما اليوم فيكفيني ويكفيك أن أحدثك عن قراءة الكتب المقررة .

الطريقة المثلى في قراءة الكتب المقررة في الكليات أن تقرأ الموضوع الذى تدرسه ثلاث مرات ، ولكل قراءة هدف يختلف عن هدف القراءة الأخرى وعليك أن تعرف الهدف أولا ثم تمضى في القراءة من أجله .

فهـدف القراءة الأولى أن تعرف الفكرة الأساسية للموضوع الذى تقرؤه وتسمى هـذه القراءة قراءة التصفح ولذلك ينبغى أن تكون سريعة .

ثم تعود فتقرأ الموضوع قراءة ثانية ويكون الهدف معرفة المسائل الرئيسية والتفصيلات المهمة ، وفي هذه القراءة تكون بطيئا متأنيا متعمقا دقيق النظر .

ثم تعود فتقرأ الموضوع قراءة ثالثة ، ويكون الهدف من هذه القراءة أن تجيب عن أسئلة تضعها أنت .

والأسئلة لها حظ عظيم مهم في عملية التعليم والتعلم ، الأسئلة تعطى هدفا للتعلم ، تجعلنا نفكر ونحن نقرأ وندرس ، تجعلنا نفكر فيما نريد أن نتعلمه من هذه الدراسة ، وإذا حاولت وأنت تقرأ أن تجيب عن سؤال فإن ذلك يجعل ما تدرسه ذا معنى محدّد .

ومن الثابت بالتجارب أن الطلاب يتذكرون ما يتعلمونه جوابا عن سؤال أفضل من تذكرهم ما يتعلمونه بالقراءة المجردة ، وأن الطلاب الذين يقرءون ويدرسون ولا يجعلون قراءتهم مبنية على أساس أن تكون أجوبة لأسئلة ينسون بسرعة ، وتختلط في أذهانهم الفكر الرئيسية بالفكر الثانوية ويفقدون الدقة في الإجابة .

ولكن من الذى يضع الأسئلة ؟ أنت

نفسك أفضل من يضعها ، قد يكون هذا في بداية الأمر شيئا صعبا ، ولكنك بالممارسة والتكرار سوف تصبح ذا قدرة على وضع أسئلة لما تقرؤه دون عناء .

إن وضع الأسئلة يساعدك على الدراسة والفهم والتعمق ، وبهذه الأسئلة تكسب معلومات محددة واضحة لا لبس فيها ولا غموض ، لأنك لا تستطيع أن تضع سؤالا إلا بعد أن تصير المعلومات واضحة في ذهنك .

ضع أسئلة لكل شئ تقرؤه وتدرسه منذ بدء الدراسة ، ولا شك أن وضع الأسئلة لكل ما تقرأ عمل مرهق جدا ويأخذ منك وقتا طويلا ، ولكنه يرتفع بمستواك إلى درجة الطلاب الممتازين .

وهناك هدف رابع للقراءة والدراسة هو تقييم ما تقرأ ، فيجب أن تكون قارئا ناقدا ، ناقدا ما تدرس ولا سيما الموضوعات التي تعرض فيها قضايا قد تباينت فيها الآراء ، واشتد فيها الخلاف والجدل ، وجاء صاحب كل رأى بدليله وحجته .

فعليك أن تنظر إلى الأدلة والحجج في هذه القضايا نظرة عادلة منصفة وأن تتبع الحق دون أن تتمسك بآرائك السابقة ، ودون أن تتعصب تعصبا جاهليا لما تعودته وألفته .

وهناك هدف خامس للقراءة والدراسة هو التطبيق ، وأعنى بالتطبيق أن تخضع حياتك لما تقرؤه وتدرسه وتراه صوابا ، فإذا استطعت أن تطابق بينهما كان حقا أن نقول إنك قد استفدت من قراءتك ودراستك وقطفت الجنى وعدت بالغنم .

أما إذا كنت تعلم الصواب ولا تعمل به ، وتعرف الحق ولا تتبعه ، فقد فقدت دراستك روحها ومعناها ، وأصبحت شجرا بلا ثمر وزرعا بلا حصاد .

---

والقراءة التي هي أعظم دعائم الدراسة تفقد كثيرا من قيمتها وجدواها إذا لم يصحبها استظهار .

ولكن ماذا تعنى هذه الكلمة كلمة الاستظهار ؟ :

الاستظهار أن تعيد على نفسك بدقة ما تتذكره من المعلومات التي درستها ، ولا تعنى أن تحفظ معلوماتك حرفا حرفا وكلمة كلمة حفظا « فوتوغرافيا » لا تعقل فيه ولا فهم .

والطريقة المجدية في الاستظهار أن يكون مجزّأً على فترات ، فحين تنتهى من دراسة موضوع أو دراسة معلومات بينها صلات وثيقة ، فاستظهر ما درست ومن الأفضل ألا تستظهر قدرا كبيرا

دفعة واحدة ، جزئه أجزاء صغيرة واستظهرها جزءا جزءا ، فذلك أيسر وأسهل ، وحذار أن تؤجل الاستظهار إلى آخر عامك الدراسى متعللا أن ما يستظهر سوف ينسى ، ويضيع الجهد فيه سدى .

فقد أثبتت التجارب أن المعلومات التى تستظهر ثم تنسى يسهل استظهارها مرة ثانية آخر العام ، ويسهل تذكرها ساعة الامتحان .

أما المعلومات التى تستظهر آخر العام ولم تلك قد استظهرت من قبل ، فمن العسير جدا بقاؤها حية ثابتة ساعة الامتحان .

يقول بعض العلماء : النسيان عملية تخريبية تسير مع القراءة جنبا إلى جنب فإذا انتهيت من قراءة موضوع أو فصل وحاولت بعد القراءة أن تتذكر المعلومات التى قرأتها فإنك لا تتذكر أكثر من خمسين في المئة ، وبعد مضى يوم كامل على تلك القراءة لا تتذكر أكثر من ثلاثين في المئة ، ثم يكون النسيان بطيئا بعد ذلك .

وخير وسيلة لمقاومة هذه الأعمال التخريبية التى يقوم بها النسيان أن تستظهر ما تقرؤه وتدرسه .

ولا شك أن نسبة ما تتذكره يعتمد على مقدار ما تقرؤه كثرة وقلة وعدد مرات ، وعلى نوعية ما تقرأ ، وعلى كيفية القراءة ، وعلى الفروق الفردية الفطرية التى وهبها الله للناس .

ولقد تبين من التجارب التى أجريت على آلاف الطلاب أن الجماعات التى كانت تقرأ ولا تستظهر كانت تنسى في يوم واحد أكثر مما كانت تنساه في شهرين جماعات أخر كانت تستظهر ما تقرأ .

ولقد تبين من التجارب أيضا أن الطلاب الذين يستظهرون ما يقرءون يفوقون الطلاب الذين يقرءون ولا يستظهرون .

كثير من الطلاب يظنون أنهم قد حفظوا معلوماتهم ، وأنهم يستطيعون أن يتذكروها وقت الحاجة حتى إذا جاء الامتحان وسئلوا عنها وجدوا ما كانوا يظنونه حقا قد أصبح ساعة الامتحان سرابا .

وخير طريقة لكى تتوثق من أنك قد فهمت ما درست ، وأن استظهارك لمعلوماتك جيد ، خير طريقة أن تتوقف من حين إلى حين وتفحص نفسك ، بأن تختار بعض الأسئلة التى كنت قد وضعتها من قبل في أثناء دراستك ، وأن تجيب عنها كتابة ، ثم تصحح لنفسك بأن تقابل إجابتك بما جاء في الكتاب المقرر ، وبذلك تستطيع أن

تعرف مستوى إجابتك ، وقدر استظهارك وتذكرك ، وعلى ضوء هذه النتيجة إما أن ترجع القهقرى فتعيد دراسة ما درست من قبل ، وإما أن تمضى قدما .

الاستظهار يثبت معلوماتك ويسهل عليك المراجعة آخر العام ، ويعطيك نتائج ممتازة في الامتحان ، وزيادة على ذلك يعودك حصر الانتباه فيما يقرأ ، فكثيرا ما يكون انتباهك ضعيفا ، تمر عيناك بالسطور ولكن خيالك يكون شاردا وعيناك لا تدر كان ما تقرءان فالاستظهار يحول بينك وبين هذا الشرود، وبينك وبين أحلام اليقظة ، ويجعل قراءتك ذات جدوى .

---

كثير من الطلاب يراجعون ما درسوه واستظهروه في الساعات الأخيرة التى تسبق الامتحان ، وهذه مراجعة فيها كثير من الإرهاق والمشقة ، ثم هى لا تؤدى إلى الغرض المنشود ، وهو تثبيت المعلومات في الذهن إلى أن تحين ساعة الامتحان .

فالمراجعة الأخيرة التى تسبق الامتحان بيوم أو بساعات ينبغى أن تكون للعناية بالنقاط الرئيسية ، والتفصيلات المهمة ، والتفريعات القيمة ، وهى لا تتسع للإحاطة بكل شئ ، واتقان كل جزئية . ويجب أن تسبق هذه المراجعة الأخيرة مراجعتان على الأقل : مراجعة لكل باب وكل فصل بعد الانتهاء من دراسته واستظهاره ، ومراجعة ثانية بعد فترة لا تسمح بنسيانه .

وفي كل فترة يجب أن تختبر نفسك بالإجابة التحريرية عن أسئلة تكون أنت قد وضعتها من قبل في أثناء الدراسة الأولى .

ويجب أن تصحح إجابتك بالرجوع إلى الكتاب المقرر لتعرف ما نسيته وما أخطأت فيه ، وما تتذكره من معلومات .

---

ومن الأشياء القمينة باهتمامك تقييد ملاحظاتك ، الملاحظات الجيدة الجديرة بالحفظ الجديرة بأن يستفاد منها في المستقبل .

ينبغى أن تقيد ملاحظاتك في إضبارة خاصة بها ، يسهل نزع الورق منها ، ويسهل إضافة أوراق جديدة إليها . ويجب أن تقسم أوراق هذه الإضبارة فيكون لكل مادة أو موضوع صفحات محددة متوالية مرقمة مفهرسة ، وفي رأس كل صفحة تضع عنوانا يبين الموضوع أو المسألة التى اشتملت عليها تلك الصفحة .

وينبغى أن تصحبك هذه الإضبارة ساعات المحاضرات في الجامعة، وساعات

الدراسة في البيت ، كي تتمكن من تقييد الملاحظات جميعا في أوقاتها وفي أمكنتها المختصة بها .

وحذار أن تهمل كتابة أي ملاحظة تراها ، أو أن تؤجل ذلك اعتمادا على الذاكرة ، أو اعتمادا على كتابتها في المستقبل ، فما أسهل أن تنسى ، وما اكثر ما ينتهي التأجيل إلى سراب ، وبذلك تضيع من بين يديك ملاحظات قد تكلفك في المستقبل جهدا كبيرا ووقتا طويلا .

وإذا اضطررت لأمر ما أن تكتب بعض الملاحظات على أوراق مشردة ، فيجب أن تنقلها إلى إضبارة الملاحظات وفي مكانها المناسب في أسرع وقت وأقرب فرصة .

ويجب أن تكتب ملاحظاتك وتلخيصاتك بأسلوبك أنت ، وهذا يفيدك فوائد شتى :

فهو يدربك على الكتابة العلمية ، ويجعلك ذا قدرة على تلخيص ما تقرؤه في الكتب الموسعة ، ويثبت المعلومات في ذاكرتك .

ولقد أثبتت التجارب أن الذين يقيدون ملاحظاتهم في الورق أقدر على التذكر ممن لا يقيدون ، وأقدر على التعبير عنها ، وكثير من الذين لا يقيدون ملاحظاتهم يظنون في أنفسهم أنهم قد فهموا موضوعا ، أو أنهم قد استوعبوا مسألة ، فإذا طولبوا بالتعبير عما فهموه أصابهم العجز وتعثر اللسان .

وينبغي أن تكون ملاحظاتك وتلخيصاتك متقنة دقيقة تغنيك عن الكتاب المقرر حين تراجع المادة في الساعات الأخيرة التي تسبق الامتحان حين لا يتسع الوقت لقراءة المادة في كتابها المقرر .

---

كثير من الطلاب يرون في الامتحانات وحشا مفترسا وسبعا ضاريا ، تراهم في قاعات الامتحان قبيل تسلم الأسئلة في زلزلة واضطراب ، ومن جراء ذلك ينسون كثيرا من المعلومات ، ويخطئون في الإجابة عن أسئلة سهلة .

أما الطلاب الذين درسوا مقرراتهم دراسة وافية ، واستعدوا للامتحان استعدادا كاملا ، فلا يشعرون بخوف ولا يعتريهم قلق ، تراهم جالسين في هدوء وسكينة ، ويجيبون على أسئلتهم بثقة واطمئنان .

ومما ينصح به رجال التربية أن فترة استجمام وراحة يجب أن تفصل بين تسلم الأسئلة ومراجعة مادة الاختبار .

ويقولون إن المراجعة في هذه الدقائق الأخيرة التي تسبق تسلم الاسئلة لا تكسب علما ولا تجلب فهما ، بل ربما خلطت المعلومات بعضها ببعض بعد

أن كانت منظمة ، وأوقعت فيها الاضطراب من بعد ترتيب .

ويقترح هؤلاء المربون أن يشغل الطالب نفسه قبيل دخول قاعة الاختبار بالتحدث إلى بعض إخوانه في أمور عامة لا علاقة لها بالامتحان أو بقراءة بعض الصحف اليومية .

ومهما يكن من أمر فأنا أنصح لك أن تدخل قاعة الاختبار قبل أن يقرع جرس تسليم الأسئلة بحوالى ربع ساعة ، وأ نتجلس هادئ البال مستريحا من المراجعة ، وحين تتسلم أوراق الاسئلة اقرأها كلها بعناية وأناة ودقة نظر ، ومن المتوقع أن تجد فيها ما هو سهل تستطيع الإجابة عنه دون عناء ، وأن تجد فيها ما هو صعب تحتاج الإجابة عنه إلى روية وأناة ومعاناة .

ابدأ بالاجابة عن الأسئلة السهلة ، وإذا ما انتهيت منها فأجب عن الأسئلة الصعبة ، بادئا بما هو أقل صعوبة ، مؤخرا ما هو أشد وأشق ، .

ومن الأخطاء التى يقع فيها الطلاب أن يؤخروا الإجابة عن الأسئلة السهلة ليوفروا الوقت الكافي للإجــابة عن الأسئلة الصعبة ، وتكون نتيجة هذا التصرف السيّء أن يجيبوا عن الأسئلة السهلة في آخر الوقت وقد أصابهم الإرهاق والتعب فيكتبوا تلك الإجابات بسرعة ودون عناية ، وبذلك يرتكبون أخطاء كثيرة وهم لا يشعرون ، ويفقدون درجات كان الحصول عليها متيقنا سهلا لو كتبت الإجابات في أول الوقت وفي أوج النشاط .

ويجب أن يجعل الجزء الأخير من وقت الإجابة لقراءة ما كتبته من أجوبة فتصحح الأخطاء التى وقعت فيها وأنت لا تدرى ، وتجيب عما عساك قد نسيت الإجابة عنه .

وإذا بدا لك أن تبدل بعض الإجابات فإذا كنت واثقا تمام الثقة بأن ماكتبته كان خطأ ، وأن ما تريد أن تكتبه هو الصحيح ، فخير لك أن تغير وتبدل .

أما إذا كنت مترددا بين الإجابة التى كتبتها والإجابة التى خطرت ببالك في آخر الوقت ، فأبق الإجابة الأولى التى كتبتها على ما هى عليه ، فقد دلت التجارب على أن الفكرة التى تسبق إلى ذهن الطالب وهو في أفضل أوقاته نشاطا وفطنة أصح من الفكرة التى تأتيه وقد تعب وأرهق وخبا نور علمه وذهنه .

ومما يخطئ فيه الطلاب أن يجيبوا إجابات تشتمل على زيادات ليست مما يطلبه السؤال ، يفعلون ذلك كثيرا إذا عمى

عليهم السؤال ولم يستطيعوا تحديد ما يطلبه ، وفي أحيان قليلة يفعلون ذلك إظهاراً لسعة ما عندهم من علم .

فينبغى أن تقرأ الأسئلة بترو ودقة نظر ، وأن تجيب بما هو مطلوب ، دون أن تزيد على ذلك شيئا ، ففى هذه الزيادة دلالة عجز ، ومضيعة وقت وجهد عليك وعلى المدرس المصحح معا . ثم إن المدرس سيهمل كل ماكان مزيدا ، وإلى جانب ذلك سوف يسئ بك الظن فيتهمك بسوء الفهم في قراءة الأسئلة وبالتهرب من الإجابة الدقيقة .

ومما يخطئ فيه الطلاب أن ينظر أحدهم إلى إجابته فيراها قليلة الكلمات قليلة الأسطر ، فيعمد إلى تضخيمها بكل وسيلة ظنا منه أن الإجابات في الامتحانات لا ينبغى أن تكون قليلة المقدار صغيرة الحجم ، أوتوهما أن المدرس ممن يقيس الإجابة بالأشبار .

لاينبغى لمثلك أن يسلك سبيل الخداع والتمويه والعبث وسوء الظن بالمدرس ، مثل هذا لا يجمل منك ، ولن يلقى من المدرس إلا الزراية والسخرية .

---

من الطلاب من يكتب بخط واضح مقروء ، ومع الوضوح أناقة وجمال ومن الطلاب من يكتب بخط واضح يقرأ بسهولة ويسر ، وإن لم يكن جميلا ومن الطلاب من يكتب بخط بينه وبين الوضوح عداوة وخصام .

وأقل مستوى في الخط يكفل لك أن تأخذ ما تستحقه من درجات أن يكون خطك واضحا مقروءا بسهولة .

ولقد قامت هيئات تعليمية تربوية بتجارب في هذا الميدان ، كان منها أن كتبت إجابات بعض الطلاب بخط سئ لا يقرأ إلا بجهد ومشقة ، وكتبت الإجابات نفسها بخط واضح يقرأ بسهولة ، وأعطيت الإجابات لجماعتين من المصححين ، وطلب إليهم بحزم وشدة ألا يكون للخط أى تأثير على تقدير الدرجات ، وكانت النتيجة أن الإجابات التى كتبت بخط واضح أخذت نصيبا من الدرجات أعلى من الإجابات التى كتبت بخط ردىء .

قليل جدا اولئك المدرسون الذين يصبرون طويلا ويبذلون جهدا كبيرا في قراءة خطوط الطلاب السيئة المعقدة ، ويعطونها الدرجة التى تستحقها ، فعليك أن تكتب إجاباتك في الامتحان بخط واضح ، ومع الوضوح جمال إن اتسع الوقت وتهيأت لك الأسباب .

وإني لأنصح مرة أخرى أن تعنى بسلامة كتابك من الأخطاء النحوية والإملائية ، فإن سلامة الكتابة من

هذه الأخطاء ذات تأثير حسن على المصحح ، إنها تشجعه على أن يعطيك الدرجات التى تستحق ، وتجعله يحسن الظن فيما تكتب .

أما إذا كانت كتابتك مصابة بالأخطاء النحوية والإملائية ، ولا سيما الأخطاء القبيحة المنكرة التى لا تتوقع من طالب جامعى في مستواك ، فإنها ستؤثر تأثيرا سيئا على المصحح وعلى الدرجات التى تستحقها، سواء أراد المصحح هذا أم لم يرد .

تلميذى العزيز :

أرى رسالتى إليك قد طالت وما كنت أظنها تطول ، وأراها لا تتسع اليوم للتحدث عن البحث وما يتصل به ، فأسأله تعالى أن يعين على ذلك في رسالة قادمة .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

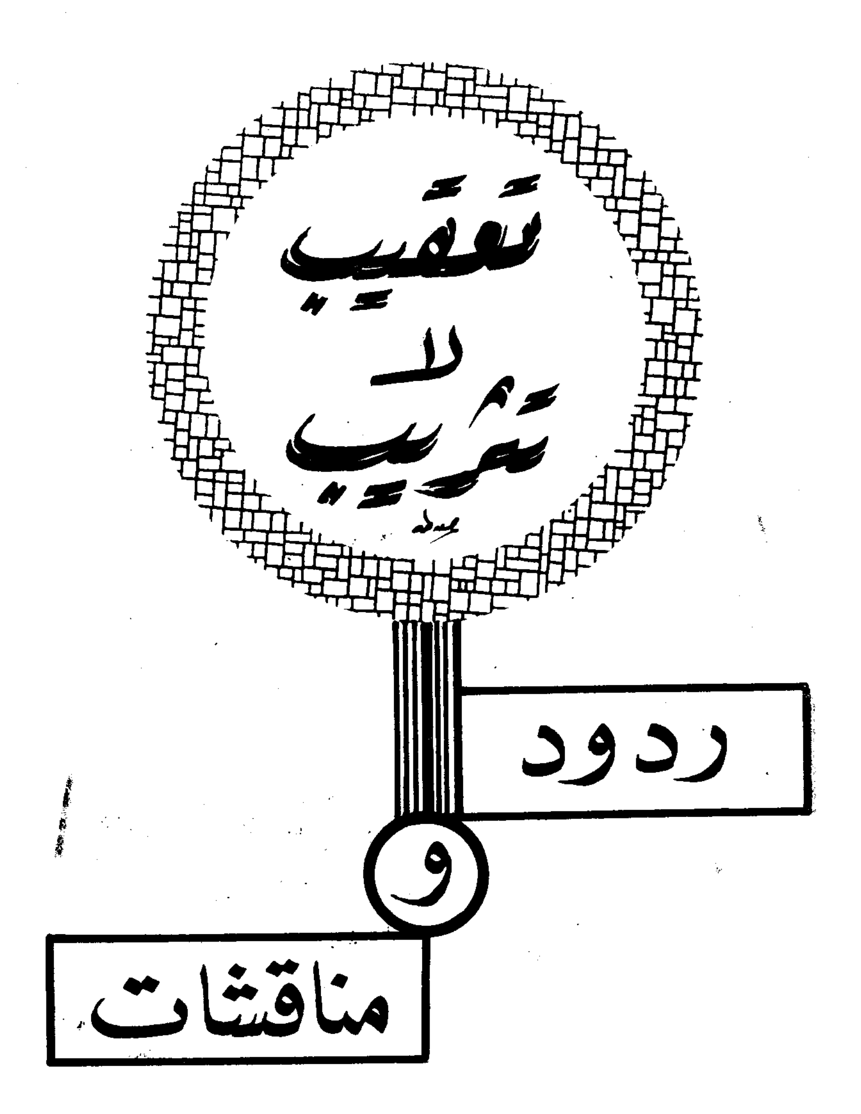
● ★ ●

## أفكار فى المزاد

لا شك أن المبشرين فيما يتعلق بتخريب وتشويه عقيدة المسلمين قد فشلوا تماما ولكن هذه الغاية يمكن الوصول اليها من خلال الجامعات الغربية . فيجب أن نختار طلبة من ذوى الطبائع الضعيفة والشخصية الممزقة . والسلوك المنحل من الشرق . ولا سيما من البلاد الاسلامية ونمنحهم المنح الدراسية ، وحتى نبيع لهم الشهادات بأى ثمن ليكونوا المبشرين المجهولين لنا لتأسيس السلوك الاجتماعى والسياسى الذى نصبو اليه فى البلاد الاسلامية ، لان اعتقادى القوى بان الجامعات الغربية يجب أن تستغل استغلالا تاما حصول الشرقيين للدرجات العلمية والشهادات واستعمال أمثال هؤلاء الطلبة كمبشرين ووعاظ ومدرسين لاهدافنا ومآربنا باسم تهذيب المسلمين والاسلام (١) .

---

من كتاب ( المشكلة الشرقية ) طبع لندن عام ١٩٥٧ .


تعقيب
و
تثريب
ردود
و
مناقشات



# صفات ربنا حقيقة على الوجه اللائق بكماله

لفضيلة الشيخ محمد المجذوب
المحاضر بكلية الدعوة وأصول الدين

يقال ان افلاطون قد سئل ذات يوم كيف تخالف آراء استاذك سقراط ، وهو الذى لا تكاد ترفع عليه احدا من الناس ؟ فأجاب : نحب سقراط ونحب الحـــق ، ولكن الحق أحب الينا من سقراط ، وقد رأينا تلميذى أبي حنيفة الافضلين لا يترددان عن خلافه في كثير من الامور للغاية نفسها ، وهو من اكرم الناس عليهما ، رحمة الله على الثلاثة اجمعين .

ذكرت هذا وأنا استمع الى فضيلة الاخ الاثير ، شيخ الادباء ومحدث الشعب الاستاذ على الطنطاوى، في برنامجه المرغوب ( مسائل ومشاكل ) وذلك في الساعة الثامنة الا ربعا من مساء الاربعاء الواقـــع في التاسع والعشرين من ربيع الآخر – عام – ١٣٩٦ هـ وكان السؤال الذى أجاب عليه يتعلق بمفهوم (القَدَم ) في الحديث الشريف الذى اخرجه البخارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن النار لا تفتأ تتطلب المزيد من الاشقياء حتّى يضع فيها الجبار قدمه – وفي رواية اخرى رجله – .

لقد رأيت الاستاذ كمن يقدم رجلا ويؤخر اخرى وهو يحاول البحث عن الجواب الجامع المانع . . حتّى اتكأ على احداهما اخيرا وقطع بأن القدم في الحديث ليست على ظاهر اللفظ ، وانما هى لون من الكناية – التى يراد بها لازم معناها – وراح يؤكد ذلك بكلام نقله من ( لسان العرب ) وخلاصته ان المراد بالقدم هنا هم اهل النار ، ويروي عن اللسان كذلك ما يثبت هذا التخريج بعبارات تثبت ان العرب يستعملون القدم بمعنى الطليعة ، ومقدمة الجيش وما الى ذلك . ثم مضى فضيلته يفرّع على هذا الاصل بعرض طائفة من مشتقات القدم . .

ولو أن تقدير الانسان لآخر يوجب السكوت عن كل ما يقول لكان على – بالاقل – ان اسكت على ما سمعت

فلا أتعقبه بشيء ، ولكن الواجب يقتضي غير ذلك ، لأن الموضوع أخطر من أن يهمل ، ولأن مكانة الاخ العزيز تجعل لقوله وزنا واثرا يتعذر اقتلاعه من النفوس، سواء كان ذلك الاثر سلبا أو ايجابا ، وهذا ما حفزني على أن أتناول الموضوع بشيء من التفصيل رجاء ان نتلاقي على القرار الذى يطمئن اليه قلب المؤمن ، وملئي اليقين بأن فضيلة الاخ سيكون على غاية من السرور اذا وجد في عرضي هذا الحق الذى لا يعدل به شيئا آخر .

فأول ما أسترعى اليه انتباه الاخ هو وقوفه في نقوله من لسان العرب على القول المنسوب الى الحسن واصحابه وقبوله دون مناقشة ، ودون تتبع للمصادر التى استقى منها ابن منظور هذا القول ، على خلاف ما عودناه فضيلته من ايثار للتحقيق والتدقيق في مثل هذه الاخبار الهامة ، يضاف إلى ذلك إغفاله الرواية الأُخرى المقابلة لتلك عن اللسان نفسه ، وهى القول بأن الخبر (متروك على ظاهره ويُؤمَنُ به ، ولا يفسر ولا يُكَيَّف . ) واو هو قد فعل ذلك لابرأ ذمته ، ولترك للسامعين أن يعرضوا الامر على مطالعاتهم وفطرهم ، فيختاروا ايهما أليق بكماله تعالى ، وبما وصف به نفسه في الكتاب الحكيم وعلى لسان رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم .

وقد لوحظ من خلال محاولاته الوصولَ بالأمر الى القرار النهائي ، شدةُ تعويله على جانب الاشتقاق اللغوى في تفسير ( القَدَم ) وذلك بحشده الأشتات من الكلمات المحتوية على حروفها . ومع أن اتصال اللفظ بصفات الله يقتضى الرجوع باستيضاحه إلى أيمة الحديث والتفسير والفقه بالدرجة الأولى ، فقد اغفل هذا الجانب تماما مكتفيا بالدلالات اللغوية ، وهو الاديب البليغ الذى لا يفوته أن اللغة واحدة من وسائل المعرفة الكثيرة في هذا الميدان ، وأن كل ما يتعلق بأسماء الله وصفاته يعتمد في تحديده على المأثور من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ومفهوم السلف . . ولو تُرِكَ أمره الى اللغويين وحدهم لاضطرب الحبل ، وضاعت الحقيقة في ركاب المجازات والكنايات وما اليها من معمَّيات . .

ثم شيء آخر لا مندوحة عن التوكيد علَيه في نقول اللسان .

ان هذا المعجم الموسوعى قد أُلِفَتْ أصوله في ظروف متأخرة ، ثم جاء ابن منظور رحمه الله ليضم بعضها الى بعض في عهد تراكمت اثناءه مقررات الفرق واهل الكلام والمتفلسفة ، فابتعدت السبيل بالفكر الاسلامى عن ينبوع الوحى المصفّى ، اذ أصبحت آراء

الرجال هى الحكَمَ الفصلَ في كل خلاف بين الكثرة من اهل العلم . وما كان لابن منظور ولا سواه أن يتخلص من آثار ذلك الجو الا من رحم الله ، ومن هنا تسللت الى اعمالهم اللغوية والثقافية تلك الشواذ التى لم ينقل مثلها عن احد من أئمة الهدى في خير القرون.

وعلى هذا فان مجرد إلحاق مثل تلك الرواية بالحسن وأصحابه لا يكفى للقطع بصحتها ، لأن الإقدام على تحكيم اللغة والهوى في تأويل صفات الله لم يكن مما يسوغه التابعون أو يسكتون عليه ، فضلا عن أن يقبلوه ويتقولوا به ، وانما نجم ذلك على لسان بعض المتتلمذين ليهود والصابئة بعد عصر الحسن بزمن ، ثم تفاقم الامر بعد محنة الإمام احمد ، وشرع المتأثرون بمترجمات الفلسفة يطلقون سهامهم لتحريف المفهومات الاسلامية عن صفات الحق سبحانه . . ولم يتورعوا عن الكذب على الايمة بأن ينسبوا اليهم ما لم يقولوه ، أو يذهبوا بأقوالهم الى غير ما أرادوه . وقد نقل شيخ الاسلام بن تيمية عن الطبرى عن الاسفرائينى عن محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة ( أن الفقهاء كلهم اتفقوا على الايمان بالقرآن والأحاديث في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه . . ) وروى البيهقى باسناد صحيح عن أبي عبيد القاسم بن سلام أن ( هذه الأحاديث التى فيها: ضحك ربنا من قنوط عباده، وأن جهنم لا تمتلئ حتى يضع ربك فيها قدمه . . هى عندنا حق حملها الثقات بعضهم عن بعض ، غير أنا لا نفسرها ، وما أدركنا احدا يفسرها (١). فليت شعرى . . ألا يسعنا اليوم ما وسع أمس اولئك السادة من اهل الحق ، فنقف حيث وقفوا من اوصاف الله نفسه ، وأخبار رسوله عنه ، فلا نتجاوز سبيلهم الى التأويل والتعطيل وما يقاربهما ! . .

وما الذى يحول بيننا وبين الايمان بأن لربنا قدما وعينا وسمعا وبصرا وساقا وما الى ذلك مما ثبت من صفاته العُلى في كتابه وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم ؟ . . وفيم نفتح على أنفسنا ابواب التكلف فنصرفها عن وجوهها الى المجازات والكنايات وما في سبيلهما ؛؟

اذا كان الباعث على ذلك خوف الوقوع في التشبيه والتجسيم فقد كفانا الله ذلك الخطر بنفى مشابهته لخلقه في أى شئ ، فنحن نؤمن بكل ما صح عنه وعن رسوله في صفاته مع كمال تنزيهه عن المشابهة . . فيده وقدمه وعينه مثلا كعلمه وقدرته وحكمته ، نثبتها كلها على الوجه اللائق بكماله سبحانه .

---

١ ـ مجموع الفتاوى ج ٥ ص ٥٠ ـ ٥١ ط ١ ـ الرياض ـ

فكما أن علمه لا يشبهه علم الانسان ، وقدرتهُ وحكمتهُ لا مجال للمشابهة بينهما وبين هاتين الصفتين في مخلوقاته كذلك الأمر في القدم واليد والعين ، لا تشبهها قدم ، ولا تناظرها عين ولا تقاس بها يد . .

ونحن نقرأ في كتاب الله وصفه لألوان النعيم في الجنة فلا نتصور انها من النوع نفسه الذى نتمتع به في الدنيا ، وانما لكل من النعيمين مزيته المناسبة لبيئته . . وقد ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن ليس في الجنة من أشياء الدنيا الا الاسماء . فالاشتراك اذن بين النوعين انما يقع في اللغة دون الماهية . . وكذلك صفاته تعالى أطلق عليها أسماء أشياء نعرفها ، والفرق بين هذه وتلك هو فرق ما بين الفاني والباقي ، والناقص والكامل ، تعالى ربنا عما يقول المشبهون والمعطلون علوا كبيرا .

وأخيرا . . لنقف قليلا أمام بعض هذه الأحاديث التى هى مدار الحديث .

في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضى الله عنه انه قال : ( يقبض الله الأرض ويطوي السموات بيمينه ، ويقول : أنا الملك ، أنا الملك ، أين ملوك الأرض ؟ ! ) وفي مسلم عن ابن عمر رضى الله عنه ( أين الجبارون . . اين المتكبرون ؟ ! ) .

وقد ورد هذا الحديث بألفاظ اكثر تفصيلا وأشد تهويلا ، كالذى رواه ابن منده وابن خزيمة وغيرهما من الايمة عن ابن عمر رضى الله عنه ، أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وهو يقول : ( يأخذ الجبار سمواته وأرضه . . وقبض بيده وجعل يقبضها ويبسطها ويقول : أنا الرحمن ، أنا القدوس ، أنا السلام ، أنا المؤمن أنا العزيز ، أنا الجبار ، أنا المتكبر انا الذى بدأت الدنيا ولم تك شيئا . انا الذى أعيدها. أين الجبارون . أين المتكبرون ؟ . ويصف ابن عمر رضى الله عنه رسول الله أثناء ذلك قائلا : ( ويتميل رسول الله على يمينه وعلى شماله حتى نظرت الى المنبر يتحرك من أسفل شئ منه حتى اني أقول : أساقط هو برسول الله ؟ ! . . ) .

ومعلوم أن أصل الحديث في قوله تعالى ( وما قدروا الله حق قدره ، والارض جميعا قبضته يوم القيامة ، والسماوات مطويات بيمينه . سبحانه وتعالى عما يشركون ٦٧/٣٩ ) .

فها هنا يمين الله يمسك بها السموات

---

(١) مجموع الفتاوى ج ٥ ص ٥٠و ٥١ ط ١ ـ الرياض ـ

والارض . . قابضاً باسطا مهددا منذرا ، وقد أُخِذَ رسول الله بهول الموقف فهو يهتز يمنة ويسرة حتى ليخشى ابن عمر عليه السقوط . .

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه « أتى النبى صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فقال : يا محمد ان الله يجعل السموات على اصبع ، والارضين على اصبع ، والجبال والشجر على اصبع ، والماء والثرى على اصبع ، وسائر الخلق على اصبع ، فيهزهن فيقول : انا الملك انا الملك . . )

يقول عبد الله رضى الله عنه: فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر ، وقال: (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته .(١)

فها هنا ايضا اصابع مضافة الى الرحمن يسمع رسول الله ذكرها فلا ينكره ، بل يقره ويؤيده بتلاوة الآية . .

فأى هذه الاثار الثابتة يجرؤ على التردد في قبوله عاقل ؟ . . وأى معنى غير الحقيقة يستخلصه من خلالها لغوى ؟ ! وهل ثمة من مجال للكناية أو المجاز في هذا العرض الذى يزلزلنا برهبته ؟ !

ان ربنا في هذه الأخبار القاطعة يمجد نفسه ، وله المثل الاعلى ، وهو الحقيق بكل تمجيد ، فيذكر بعض صفاته المعنوية التى يتفق على الايمان بها المسلمون قاطبة ، فأى فرق بينها وبين قبضه السموات والارض بيمينه ، وهو من صفاته الذاتية؟! إن بعض صفاته الاولى مما يطلق أيضاً على بعض خلقه ، فيقال : فلان ملك وعزيز وجبار ومتكبر . . ولكننا جميعاً متفقون على انها في المخلوق غيرها للخالق سبحانه . فعلام نختلف في شأن اليمين — والاصابع — فنقول انها على الحقيقة اللائقة بكماله تعالى دون تكييف ولا تحريف ، ويقول الآخرون انها وانها وانها ، حتى ليكادون ينتهون بها الى غير شئ ! . . ثم يكون حصيلة ذلك الرفض لحقيقة الصفات أن ينجرّ اصحابه الى تأويل كل صفة ذاتية لربهم ثبتت له في القرآن أو السنة الصحيحة ، كما فعل المعتزلة بتأويل معظم صفات الله ، حتى أوشكوا أن يشركوا النصارى في وصف ربهم بأنه ( محبة ) . . أى أنه معنى لا ذات له ! . .

أليس خيراً وأسلم للمسلم أن يقف مع الأولين الافضلين من سلف هذه الامة بإزاء هذه الامور فلا يلقى بنفسه في المتاهات التى سلكها المتأخرون من المتفلسفة والمتكلمين ! ! .

(١) انظر (لوامع الانوار ..)للسفاريني ج ١ ص ٩٩ و ٢٣١

(ألسنا قد أثبتنا لربنا ذاتا لا كالذوات) فما المانع من اثبات صفات لا كصفات المحدثات ؟ ! ) .

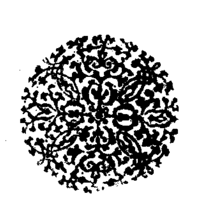
يقول سفيان بن عيينة رحمه الله : « كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته والسكوتُ عنه . ليس لأحد أن يفسره الا الله ورسوله .) (١)

وهذا ما ندين الله به فنثبت له سبحانه ما أثبت لنفسه ، ونقول ما قاله أهل الحق ، من ان المراد باليدين اثبات صفتين ذاتيتين تسميان يدين (١) ، ومثل ذلك نقوله في القدم والساق والاصابع والكـــف والعين والسمع والبصر ، ولا نتجاوزه الى ما ليس لنا به من علم ، ورحم الله مالكا الذى ادرك خطر هذا المنزلق فجاء بالفصل الحاسم في قوله لسائله : ( الاستواء معلوم ، والكيف مجهول . . ) ومثل ذلك روى عن أم سلمة ( رض) وفيه : ( والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ) .

وأخيرا ان القيمة التى توزن بها كلمات الاخ الطنطاوى هى التى حفزت الى كتابة هذا التعقيب ، وهو قد اعلن رأيه لعشرات الآلاف من مستمعيه ، فلا أقل من أن يقرأ هذه الكلمات بعض هؤلاء المستمعين ، ليستيقنوا ان هناك افهاما اخرى تنظر الى الموضوع من غير الزاوية التى اطل منها .

ولا حاجة للاعتذار الى فضيلته ، فانا واياه على سواء في ايثار الحق على أى اعتبار آخر ان شاء الله .

والحمد لله ملهم الصواب



(١) انظر (لوامـــع الانوار ..)للسفاريني ج ١ ص ٩٩ و ٢٣١

# تنبيه .. وتحذير ..

لفضيلة الشيخ حمود بن عبدالله التويجري

الحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين . . وبعد فقد رأيت في جريدة الرياض في الصفحة الرابعة من العدد ٣٤٠٨ الصادر في يوم الاربعاء ٨ شعبان ١٣٩٦ هـ تحت عنوان « مجنون يحكي وعاقل يفهم » وقد سمى الكاتب نفسه ابراهيم ولم يزد على ذلك . رأيت فيه ما نصه « أم ترى فرنجية يمسك بعصا موسى السحرية » انتهى المقصود من كلامه . واحب ان انبه الكاتب خاصة وغيره من قراء الجريدة عامة الى ان عصا موسى ليست بسحرية وانما هي آية من آيات الله الكبرى وبرهان من الله تعالى على صدق نبيه موسى عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى في سورة طه: (وما تلك بيمينك يا موسى . قال هي عصاى أتوكأ عليها واهش بها على غنمي ولى فيها مآرب اخرى . قال ألقها يا موسى . فالقاها فاذا هي حية تسعى . قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى. واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء ، آية اخرى . لنريك من آياتنا الكبرى ) وقال تعالى في سورة النازعات ( فاراه الآية الكبرى . فكذب وعصى ) وقال تعالى في سورة النمل ( وألق عصاك فلما رآها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون . الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم . وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين ) وقال تعالى في سورة القصص ( وان ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين . اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين ) .

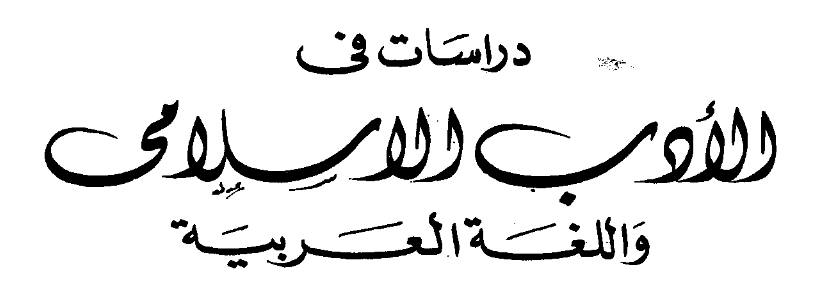
فالله تبارك وتعالى جعل عصا موسى حية عظيمة تسعى حين القاها موسى من يده . ثم اعادها الله تبارك وتعالى الى حالتها الاولى عصا حين اخذها موسى في يده والله على كل شئ قدير. وقد قال الله تعالى : (انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ) . وليست عصا موسى من قبيل السحر . والقول بانها سحرية هو قول

فرعون وملئه. قال الله تعالى في سورة الشعراء حاكيا قصة موسى معهم (قال أولو جئتك بشئ مبين . قال فأت به ان كنت من الصادقين . فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين . ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين . قال للملأ حوله ان هذا لساحر عليم . يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون) وقال تعالى في سورة الاعراف ( قال ان كنت جئت بآية فات بها ان كنت من الصادقين . فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين . ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين . قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم . يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تأمرون ) وقال تعالى في سورة النمل ( فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين . وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ) وقال تعالى في سورة يونس ( فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين . قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون ) وقال تعالى في سورة طه ( قال أجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى . فلنأتينك بسحر مثله ) الآية . وقال تعالى في سورة القصص ( فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين ) وقال تعالى في سورة الاعراف ( وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين ) .

والقول بأن عصا موسى سحرية كفر باجماع اهل العلم لما فيه من تكذيب ما اخبر الله به عنها في سورة طه انها صارت حية تسعى . وما اخبر به عنها في سورتي الاعراف والشعراء انها صارت ثعبانا مبينا .

قال القاضي عياض في كتابه الشفاء : اعلم ان من استخف بالقرآن والمصحف أو بشئ منه أو سبهما أو جحده أو حرفا منه أو آية أو كذب به أو بشئ مما صرح به فيه من حكم أو خبر أو اثبت ما نفاه أو نفى ما اثبته على علم منه بذلك أو شك في شئ من ذلك فهو كافر عند أهل العلم باجماع انتهى . فقد صرح بتكفير من كذب بشئ مما صرح به في القرآن من حكم أو خبر أو أثبت ما نفاه أو نفى ما اثبته او شك في شئ من ذلك وان ذلك اجماع اهل العلم . فليتنبه الكاتب وغيره لما ذكره القاضي عياض لئلا يقع احد منهم في الكفر وهو لا يشعر . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه . ١٣٩٦/٨/٢٢ هـ

حمود بن عبد الله التويجرى


دراسات في
الأدب الإسلامي
واللغة العربية





# الشعر في ضوء الشريعة الإسلامية


بحث كتبه

الشيخ محمد عبد الرحمن شميلة الاهدل

الطالب بقسم الدراسات العليا - شعبة السنة

بالجامعة الاسلامية

# فهرس البحث

★

بسم الله الرحمن الرحيم

**الحمد لله الذى كرم الانسان . وعلمه البيان فله سبحانه وتعالى جزيل الشكر وعظيم الامتنان ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أرجو بها الفوز في يوم التناد ، وأدخرها سلم نجاةٍ في يوم المعاد ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أفصح من نطق بالضاد ، الذى بين للأمة سبل الهدى والرشاد . فصلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه نجوم الاهتداء ومن قفا إثرهم وترسم خطاهم . .**

وبعد . . فهذا بحث أقدمه بين أيدى القراء الكرام وموضوعه « الشعر في ضوء الشريعة الاسلامية » ولقد اخترت هذا الموضوع بالذات لما يلى :

طالما سمعت من يردد قول الله عز وجل « والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون » ويقف بعضهم عند هذه الآية مدللاً على أن القرآن ذم الشعراء وشعرهم فيكون بتعميمه هذا مخطئا وكأنه لم ينتبه للاستثناء الوارد بعد هذه الآيات ولم يعرف من هو المقصود بالذم . لذا اخترت الكتابة في هذا الموضوع بالرغم من قصر باعى وكثرة اشغالى وبالله الاعانة ، والأهم في هذه الرسالة هو جمع جملة من الآحاديث الواردة في الشعر وتخريجها وشرحها بمقتطفات من أقوال أهل العلم .

## تعريف الشعر

الشعر في اللغة واحد الأشعار ، قال الراغب هو في الأصل اسم للعلم الدقيق في قولهم ليت شعرى وسمى الشاعر شاعراً لفطنته ودقة معرفته (١)

وفي اصطلاح الادباء هو كما قال ابن خلدون (٢) « الكلام الموزون المقفى ، ومعناه الذى تتكون أوزانه كلها على روى واحد وهو القافية (١) قال وأساليب الشعر تناسبها اللوذعية وخلط الجد بالهزل والاطناب في الأوصاف وضرب

---

١ ـ غريب القران ـ ص ٢٦٢ ـ طبعة المكتبة المرتضوية

٢ ـ المقدمة ص ٥٣٢

الأمثال وكثرة التشبيهات والاستعارات

قلت : ومن هنا نعرف الفرق بين الشعر والنثر حيث أن الأول يعتمد على الوزن والقافية ويكسو المعاني من جمال التشبيه وحسن الاستعارة وبراعة الكناية وضروب المجاز حللاً خيالية بخلاف الثاني . والغرض المقصود من توحيد الوزن والقافية الحفاظ على جرس اللفظ لسلاسته في النطق وخفته على السمع والارتياح لقبوله .

وربما أطلق العرب الشعر على النثر المسجوع المشتمل على الخيال المؤثر في الوجدان ، ومنه ما ورد أنحسان بن ثابت رضى الله عنه سمع ابنه يصف زنبوراً لسعه بقوله «كأنه ملتفٌ في يزدى حبره » فقال له شعر ورب الكعبة .

والشعر عند العرب صفة قديمة لهم ولا يمكن تحديد بدء ظهوره فانه ما سمع في التاريخ القديم الا وهو محكم مقصّد وان كان تهذب أسلوبه وتشعبت مناحيه وتطور فنه حينما إختلفت العُصُر وبدت الحوادث ورقي بنى الانسان في عالمالمادة .

قال الأديب الكبير احمد حسنالزيات ومما يدل على أن الشعر قديم العهد قول امرئ القيس :

عوجا على الطلل القديم لعانا
نبكى الديار كما بكى ابن حزام

وقول عنترة :

هل غادر الشعراء من متردّم .

وقول زهير :

ما أرانا نقول إلا معاراً
أو معاراً من قولنا مكروراً (١)

مكانة الشعر العربي

مما لا شك فيه ان كثيراً من الشعر العربي له اليد الطولى في المساهمة في تفسير كثير من ألفاظ الشريعة الواردة في الأصلين العظيمين والمصدرين الكريمين الكتاب والسنة إذ بواسطة الشواهد والأدلة من الأدب العربي نستعين على فهم كتاب الله الكريم وسنة صاحب الخلق العظيم .

وبواسطته بحث علماء اللسان الأساليب المختلفة والتراكيب المتنوعة في الشعر العربي فأرسوا قواعدهم وأصلو أصولهم مستقين من معينه ومستضيئين بنور مصباحه .

قال الاستاذ محمدأمين حنفى في موضوع الأدب الاسلامى مستعرضا الأسباب التى اقتضت محافظة المسلمين على الأدب

١ ـ تاريخ الادب العربى ص ٢٨ ـ طبعة دار نهضة مصر .

الجاهلى ما نصه : « والذى يعن لى في تمسك المسلمين بالأدب الجاهلى عدة أسباب ، فالسبب الأول هو حاجة مفسرى القرآن الكريم إلى شواهد وأدلة من كلام العرب القديم على صحة التفسير والفهم لكلام رب العالمين ، والسبب الثاني هو بحث النحاة واللغويين في عصر التدوين ووضع قواعد اللغة العربية عن الشعر الجاهلى وعن كل كلامٍ عربيٍ قديم واحيائهم وتسجيلهم لكل ما نقلوه أو سمعوه من أجل استنباط القواعد ومعرفة معاني الكلمات .

والسبب الثالث هو اقتداء الشعراء بالشعر الجاهلى وروايتهم له وتقليدهم إياه لأنه كان هو المقياس للقيمة الأدبية لدى النقاد والعلماء في ذلك الوقت .

ويضاف الى ذلك سبب رابع هو ظهور الصراع الشعوبي بين العرب وغيرهم من بعض الأعاجم مما دفع العرب والمسلمين المخلصين إلى التمسك بالتراث العربي وبلغة القرآن والدفاع عنه والتعصب له والتنديد بالشعراء الذين يخرجون على عمود الشعر الجاهلى ولذلك كان للشعر العربي الجاهلى مكانته في النفوس وقيمته لدى العلماء والأدباء مما جعله يحتفظ بعموده وأساليبه ومعانيه دون أن يجرؤ أحد على النيل من مكانته أو قيمته وان كان يحوى كثيراً مما لا يرضى به الاسـلام كالغزل بنوعيه والتشبيب والنسيب والهجاء ، واعلان الفجـور والمجون ووصـف مجالس اللهو والشراب وما إلى ذلك من الأمور المنكره » (١) .

قلت ومما لا يجهله كل النـاس أن الشعر له الأثر الطيب في اعانة طلاب العلم وحملة الشريعة على جمع ما تفرق ونظم ما تشتت من العلوم والفوائد بل وسائر الفنون فانه ما من فن من فنون القرآن والحديث وعلوم اللغة الا وقد نظمت فيه المناظيم وقيلت فيه الأشعار فسهل حفظها على الصغار والكبار وللوسائل حكم المقاصد كما هو معروف .

وأنا لست من المتعصبين للشعراء ولا المبررين لزلات الشعر وهفوات شعرائه ولكنى أقول إنه أداة من أدوات الفنون قابل للخير والشر حسنه حسن وقبيحه قبيح كسائر الكلام بيد أن الأشعار الجاهلية والقصـائد الأولية التى قيلت في زمن الاحتجاج بأهلها لها الفوائد القيمة التى أشرنا إليها حتى وان كانت هجواً مقذعاً أو غزلا مكشوفاً أعنى من حيث أنه اسلوب عربي فما يمنعنا والحالة هذه أن نجنى من ثمار أشجاره ما طاب ونترك منها ما خبث من توجيه غير

١ ـ انظر حضارة الاسلام العدد٨ ـ السنة السابعة ص ٧٠ـ٧١ ـ

حسن أو دعوة إلى غير القيم المثلى ، أو افتخار بنزعةٍ من نزعات الجاهلية الأولى .

ولذا يقول ابن قتيبة في مقدمة كتابه الشعر والشعراء ما نصه :

« وكان اكثر قصدى للمشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جل أهل الأدب والدين يقع الاحتجاج بأشعارهم في الغريب وفي النحو وفي كتاب الله عز وجل وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) » .

قلت — والمتتبع لعلماء السلف والخلف يجد أن اكثرهم قد أدلى بدلوه في هذا المضمار ونظم جيد الأشعار ولكنهم يتفاوتون في القلة والكثرة وانما اتصف بعضهم بالشاعر أو الأديب لكونه صار ديدنه والظاهرة التي تغلب عليه أو لنبوغه فيه وتفوقه على أقرانه يدل على ما ذكرناه ما سجله ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء حيث يقول « قل أحد له أدنى ملكة من أدب وله أدنى حـظ من طبع إلا وقد قال من الشعر شيئا ولو أردنا أن ندون في كتابنا هذا كل شاعر لذكرنا اكثر الناس ولا حتجنا أن نذكر صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلة التابعين وقوماً كثيراً من حملة العلم ومن الخلفاء والأشراف ونجعلهم في طبقات الشعراء .

إذاً فللشعر قيمته وللشعراء رتبهم العالية لأنهم حفظوا لسان العرب وغاصوا على مكنونات مخدراته حتى أن بعضهم قيل فيه لولا فلان لضاع ثلث اللغة وناهيك بهذه المفخرة ، قال عبد الرحمن البرقوقي في مقدمته لشرح التلخيص ما لفظه : « وهل بلغ أئمة الدين هذه المنزلة بفهم أغراض القرآن ومعرفة اسرار الشريعة الا بعد ان قبضوا على خرائم الأدب والقيت اليهم مقاليد اللغة ألم يكن مما نجم عند تعدد الآراء بينهم أن كان أحدهم يروى من كلام العرب ما يروى الآخر غيره(٢) .

هذا لفظ القرء مثلا ذهب مالك رحمه الله الى أنّه الطهر وحجته في ذلك قول الاعشى .

أفي كل عام انت جاشم غزوة
تشد لاقصاها عزيم عزائكا
مورثة مالاً وفي الحى رفعة
لما ضاع فيها من قروء نسائكا

وذهب ابو حنيفة رحمه الله إلى انه الحَيض ومستنده قول الآخر :

يارب ذى ضغن على قارض
يرى له قرء كقرء الحائض

١ ـ ص ٧ ـ طبعة دار الثقافة
٢ ـ ص ٨ـ٩ ـ طبعة المكتبـةالتجارية

قال ومثل هذا كثير لا يكاد يحصيه الاستقصاء حتى لقد اختصه العلماء بالتآليف وافردوه بالكتاب .

ثم ذكر قصة معزوة الى الفاروق رضى الله عنه وخلاصتها أن عمر تلا قول الله سبحانه وتعالى : « أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الارض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم على تخوف»(١) فقال للصحابة ماتقولون فيها فنهض أعرابي وقال هذه لغتنا التخوف التنقص وانشد قول ابي كبير يصف ناقته :

تخوف الرحل منا تامكا قردا
كما تخوف عود النبعة السفن(٣)

فقال عمر رضى الله عنه عليكم بديوان العرب فان فيه تفسير كتابكم . قلت وقد روى عن عمر بن الخطاب أيضا انه كتب الى ابي موسى الاشعرى: مر من قبلك بتعلم الشعر فانه يدل على معانى الاخلاق وصواب الرأى ومعرفة الأنساب. قال شيخنا محمد المجذوب في تعليقه على هذا الاثر ولعله رضى الله عنه راعى ما فيه من تسجيل عاداتهم واخلاقهم وتاريخ وقائعهم وايامهم وما اودعوه من معادن حكمتهم وكنوز آدابهم (٣) .

وما قال شيخنا يضاف الى ماسبق من أنه مفسر لكثير من الفاظ القرآن وغريب الحديث ويقع به الاحتجاج في النحو وغيره من علوم اللسان كما سبق النقل عن ابن قتيبة والله اعلم .

ما ورد في تفسـير آيات الشعراء

قال الله سبحانه : « والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون».

القراءة :

« والشعراءُ » قرأ الجمهور بالرفع على أنه مبتدأ وخبره ما بعده وقرأ عيسى بن عمر الشعراءَ بالنصب على الاشتغال ، وقرأ نافع «يتبعهم» بالتخفيف وقرأ الباقون بالتشديد . وقرأ ابن عباس والحسن وأى منفلتٍ ينفلتون بالفاء مـكان القاف والتاء مكان الباء من الانفلات بالنون والفاء الفوقية . وقرأ الباقون بالقاف

١ ـ سورة النحل ٤٧
٢ ـ تامكا سناما عظـيما ، والقرد الذى أمله القراد والسفن الحديد الذى ينحت به وهو المبرد يقول ـ ان الرحل اثر سنام الناقة وتنقص منها كما ينقص السفن من العود
٣ ـ مذكرة فى الادب لطلاب كلية الشريعة

الياء من الانقــلاب بالنون والقاف والموحدة والمعنى على قراءة ابن عباس والحسن : أن الظالمين يطمعون في الانفلات من عذاب الله والانفكاك منه ولا يقدرون على ذلك (١) .

عن عكرمة عن ابن عباس « والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلونَ فنسخ من ذلك واستثنى فقال « الا الذين آمنوا — إلى قوله ينقلبون .

اخرجه ابو داود في الأدب والبخارى في الأدب المفرد .

المفــــردات

الشعراء جمع شاعر كجاهل وجهلاء وعالم وعلماء والغاوون جمع غاوٍ وهو الضال ، يهيمون يقال هام يهيم هيماً وهيمانا اذا ذهب على وجهه .

سبب النزول قال السيوطى :

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس قال تهاجى رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدهما من الأنصار والآخر من قوم آخرين وكان مع كل واحدٍ منهما غواة من قومه وهم السفهاء فأنزل الله « والشعراء يتبعهم الغاوون » الآيات قال واخرج ابن أبي حاتم نحوه (١) :

قال ابن كثير وأخرج اين أبي حاتم قال حدثنا أبي حدثنا ابو مسلم حدثنا حماد ابن سلمة عن هشام بن عروة عن عروة قال لما نزلت « والشعراء يتبعهم الغاوون » إلى « قوله وأنهم يقولون مالا يفعلون » قال عبد الله بن رواحة يا رسول الله قد علم الله أني منهم فأنزل الله تعالى « الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » الآية ثم قال ولكن هذه السورة مكية فكيف يكون سبب نزول هذه الآيات شعراء الانصار وفي ذلك نظر ولم يتقدم الا مرسلات لا يعتمد عليها والله اعلم (٢)

معنى الآيات الكريمات

قال الشوكاني قوله عز وجل « والشعراء يتبعهم الغاوون » المعنى أن الشعراء يتبعهم أى يجاريهم ويسلك مسلكهم ويكون من جملتهم الغاوون — أى الضالون عن الحق ثم بين سبحانه قبائح شعراء الباطل فقال « ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون » والجملة مقدرة لما قبلها والخطاب لكل لكل من تتأتي منه الرؤية » أى ألم تر أنهم في كل فنٍ من فنون الكذب يخوضون وفي كل شعب من شعاب الزور يتكلمون فتارة يمزقون الاعراض بالهجاء وتارة

١ — فتح القدير ج ٤ — ص ١٢١- ١٢٢ مطبعة مصطفى البابى الحلبى
٢ — لباب النقول فى اسباب النزول بها من الجلين ص ٢٣٧ — ج ا
٢ — ج ٣ — ص ٣٥٤ — دار احياء التراث العربي

يأتون من المجون بكل ما يمجه في السمع ويستقبحه العقل وتارة يخوضون بحر السفاهة والوقاحة ويذمون الحق ويمدحون الباطل ويرغبون في فعل المحرمات ويدعون الناس إلى فعل المنكرات كما تسمعه في أشعارهم من مدح الخمر والزنا واللواط ونحو هذه الرذائل الملعونة ثم قال سبحانه « وأنهم يقولون ما لا يفعلون » أي يقولون فعلنا وفعلنا وهم كذبة في ذلك فقد يدلون بكلامهم على الخير ولا يفعلونه وقد ينسبون إلى أنفسهم من أفعال الشر ما لايقدرون على فعله كما تجده في كثير من أشعارهم من الدعاوى الكاذبة والزور الخالص المتضمن لقذف المحسنات وأنهم فعلوا بهن كذا وكذا وذلك كذب محصن وافتراء بحت .

ثم استثنى سبحانه الشعراء المؤمنين الصالحين الذين أغلب أحوالهم تحرى الحق والصدق فقال « الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » أي دخلوا في حزب المؤمنين وعملوا بأعمالهم الصالحة . « وذكروا الله كثيرا » في أشعارهم . وانتصروا من بعد ما ظلموا – كمن يهجو منهم من هجاه أو ينتصر لعالم أو فاضل كما كان يقع من شعراء النبى صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يهجون من يهجوه ويحامون عنه ويذبون عن عرضه ويكافحون شعراء المشركين وينافحونهم ويدخل في هذا من انتصر بشعره لأهل السنة وكافح أهل البدعة وزيف ما يقول شعراؤهم من مدح بدعتهم وهجو السنة المطهرة كما يقع ذلك كثيرا من شعراء الرافضة ونحوهم فان الانتصار للحق بالشعر وتزييف الباطل به من أعظم المجاهدة وفاعله من المجاهدين في سبيل الله المنتصرين لدينه القائمين بما أمر الله بالقيام به وتصرف (١)

وقال الزمخشرى : استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن وكان ذلك أغلب عليهم من الشعر واذا قالوا شعراً قالوه في توحيد الله والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والآداب الحقة ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة وصلحاء الأمة وما لا بأس به من المعاني التى يتلطخون فيها بذنب ولا يتلبسون بشائنة منقصة وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم (٢) .

أضواء على الآيات وفوائد تتعلق بها

إذا أنعمنا النظر في هذه الآيات الكريمة

---

**١ ـ فتح القدير ج ٤ ص ١٢١ ـمطبعة مصطفى البابي الحلبي**

**٢ ـ ١٢٣ ـ ج ٣ ـ**

وما تضمنه سياقها المحكم نجد أنها قسمت الشعراء قسمين ووضعتهم طبقتين الأول — قسم غاوون . مائلون عن الطريق السوى ، والمنهج الأدبي لأنهم لا ينطقون بالحق ، ولا يتكلمون بالعدل فتراهم في كل وادٍ يهيمون ، وفي شعاب الكذب والزور يتيهون ، لا يزنون الكلام الا بميزان الهوى ، ومعيار الغواية ، فهؤلاء هم المذمومون وعن طريق الحق متنكبون وعلى جياد الضلالة راكبون ، إن أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يخطون .

القسم الثاني : فريق آمنوا بربهم واهتدوا بنور نبيهم عليه الصلاة والسلام فسابقوا إلى الأعمال الصالحات ، وأخلصوا لله النيات ووزنوا اشعارهم بميزان الشريعة فهم لا يهجون الا من هجاهم ولا يمدحون الا من يستحقه لغنائه في الاسلام أو يذبون عن حياض الدين وينافحون عن شريعة سيد المرسلين أو يجمعون العلوم الشرعية النافعة وينظمونها لتحصل من ذلك الفائدة ويسهل تناولها على الآخذين ويحفظها الطلاب فهؤلاء ونحوهم ممن يخرج من عموم لفظ والشعراء ويدخل في فريق المستثنى ، وعلى هاذين تتنزل الأحاديث الواردة في ذم الشعر تارة ومدحه أخرى .

قال المناوى رحمه الله وقد انعقد الاجماع على حل قول الشعر إذا قلّ وخلا عن هجوٍ وكذب واغراق في مدح وتغزل فيما لا يحل (١) .

فوائد :

الفائدة الأولى — وصف الله الشعراء بأنهم يقولون ما لا يفعلون فاختلف العلماء فيما إذا أقر الشاعر في شعره بارتكابٍ حدٍ من حدود الله فهل يقام عليه الحد بحسبٍ إقراره أم لا . لأن الله عز وجل قد وصفهم بأنهم يقولون ما لا يفعلون ولأنه يكثر الباطل في أشعارهم : قولان لأهل العلم .

قال بعضهم يقام عليه الحد لأنه مكلف أقر بجريمة ارتكبها فلا سبيل إلى تركه والاقرار تثبت به الحــدود .

وقالت طائفة أخرى إنه لا يقــام عليه الحد ان أقــر بموجبه في الشعر — قالوا لأن كذب الشاعر في شعره أمــر معروف معتاد واقــع لا نزاع فيه .

قال شيخنا محمد الامين الشنقيطى (٢) أظهر القولين عندى أن الشاعر إذا أقر في شعره بما يستوجب الحد لا يقام عليه الحد لأن الله جل وعلا صرح هنا بكذبهم في شعرهم في قوله « وأنهم يقولون ما لا يفعلون » فهذه الآية الكريمة تدرأ عنهم

---

١ — فيض القدير

٢ — اضواء البيان — ج ٦ — ص٣٩٢

الحد ولكن الأظهر أنه ان أقر بذلك استوجب باقراره به الملام والتأديب وان كان لا يحد به .

واستأنس شيخنا لما ذهب إليه بما روى ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة حيث قال وذكر محمد بن اسحاق ومحمد بن سعد في الطبقات والزبير بن بكار في كتاب الفكاهة أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمل النعمان بن عدى بن نضلة على ميسان من أرض البصرة وكان يقول الشعر فقال :

ألا هل أتي الحسناء أن حليلها
بميسان يسقى في زجاج وحنتم
إذا شئت غنتنى دهاقين قرية
ورقاصة تجذو على كل منسم
فان كنت ند ماني فبالأكبر اسقني
ولا تسقنى بالأصغر المتثلم
لعل أمير المؤمنين يسوءه
تناد منا بالجوسق المتهدم

قال فلما بلغ عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال إى والله إنه ليسوءني ذلك ومن لقيه فليخبره أني قد عزلته وكتب اليه عمر « بسم الله الرحمن الرحيم » تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم غافر الذنب و قابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله الا هو إليه المصير » أما بعد فلقد بلغنى قولك :

لعل أمير المؤمنين يسوؤه
تنادمنا بالجوسق المتهدم ل

وايم الله إنه ليسوءني وقد عزلتك فلما قدم على عمر بكته بهذا الشعر فقال والله يا أمير المؤمنين ما شربتها قط وما ذلك الشعر الا شئ طفح على لساني فقال عمر أظن ذلك ولكن والله لا تعمل لى عملاً أبداً وقد قلت ما قلت .

قال شيخنا فلم يذكر أنه حده على الشراب وقد ضمنه شعره لأنهم يقولون ما لا يفعلون ولكنه ذمه عمر ولامه على ذلك وعزله به قلت وقد احتج الفرزدق بهذه الآية الكريمة عند الخليفة سليمان بن عبد الملك حينما سمع قوله .

فبتن بجانبىّ مصرعات
وبت أفض أغلاق الختام

فقال سليمان قد وجب عليك الحد فقال يا أمير المؤمنين قد درأ الله عنى الحد بقوله « وانهم يقولون مالا يفعلون »(١) قال كاتبه غفر الله له الظاهر أنه لا يقام عليه الحد لما سبق ولأن النبى صلى الله عليه وسلم « قال ادرؤا الحدود بالشبهات (٢) فيكون تعلق الشاعر المقر

١ ـ الكشاف ـ ص ١٣٣ ا ـ ج٣

٢ ـ اخرجه البيهقى من طريق على موقوفا والترمذى والحاكم عن عائشة بلفظ «ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم» سبل السلام ص ٥٣/٤

بموجب الحد بهذه الآية الكريمة من أقوى الشبه الدارئة للحد عنه والله سبحانه وتعالى أعلم » .

الفائدة الثانية :

قال ابن العربي أما الاستعارات والتشبيهات فمأذون فيها وان استغرقت الحد وتجاوزت المعتاد فبذلك يقرب الملك الموكل بالرؤيا المثل وقد أنشد كعب بن زهير النبى صلى الله عليه وسلم .

بانت سعاد فقلبي اليوم مبتــول
متيم إثرها لم يفــد مكبول
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا
إلا أغن غضيض الطرف مكحول
تجلو عوارض ذى ظلم اذا ابتسمت
كأنه منهــل بالــراح معلول

فجاء في هذه القصدة من الاستعارات والتشبيهات بكل بديع والنبى صلى الله عليه وسلم يسمع ولا ينكر عليه حتى في تشبيه ريقها بالراح .

وقد كانت حرمت قبل إنشاده لهذه القصيدة ولكن تحريمها لم يمنع عندهم طيبها بل تركوها على الرغبة فيها والاســتحسان لها فكان ذلك أعظم لأجورهم (١) .

الفائدة الثالثة ــ قال الحافظ ابن حجر وأما الشعر فكان نظمه محرماً على الرسول عليه الصلاة والسلام باتفاق : قال الله عز وجل « وما علمناه الشعر وما ينبغى له » (٢)

قال لكن فرق البيهقى وغيره بين الرجز وغيره من البحور فقالوا يجوز له الرجز دون غيره وفيه نظر فان الاكثر على أن الرجز ضرب من الشعر وانما ادعى أنه ليس بشعر الأخفش وانكره ابن القطان وغيره وانما جرى البيهقى لذلك ثبوت قوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب . فإنه من بحور الرجز ولا جائز أن يكون مما تمثل به كما سيأتي لأن غيره لا يقول أنا النبى ويزيل عنه الاشكال أحد أمرين : إما أنه لم يقصد الشعر فخرج موزوناً وقد ادعى ابن القطاع وأقره النووى الاجماع على أن شرط تسمية الكلام شعراً أن يقصد له قائله وعلى ذلك يحمل ما ورد في القرآن والسنة واما أن يكون القائل الأول قال أنت النبى لا كذب ، فلما تمثل به النبى صلى الله عليه وسلم غيره والأول أولى . هذا كله في انشائه ويتأيد ما ذهب إليه البيهقى بما أخرجه ابن سعد بسندٍ صحيح

---

١ ـ انظر احكام القران ج ٣ ـص ١٤٣٠ ـ
٢ ـ انظر التلخيص الحبير ج ١٢٨/٣

عن معمر عن الزهرى قال لم يقل النبى صلى الله عليه وسلم شيئاً من الشعر قيل قبله أو يروى عن غيره الا هنا . وهذا يعارض ما في الصحيح عن الزهرى أيضا لم يبلغنا أن النبى صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذه الأبيات زاد ابن عائذ من وجه آخر عن الزهرى إلا الأبيات التى كان يرتجز بهن وهو ينقل اللبن لبناء المسجد وأما انشاده متمثلا فجائز ويدل عليه حديث عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال: ما أبالى شربت ترياقا أو تعلقت بتميمة أو قلت الشعر من قبل نفسى أخرجه ابو داود وغيره .

فقوله من قبل نفسى احتراز عما إذا أنشده متمثلا فقد وقع منه ذلك كما ثبت في الأحاديث الصحيحة .

اذا علمت هذا عرفت ان الرسول الأمين لم يكن من أولئك الذين يقولون القصائد أو يجتذبهم حفظ الشعر ولا من الذين يتتبعون مواقعه ويغرمون بنغماته وتواقيعه .

كان الرسول الكريم ذلكم النبى الأمى بعيداً كل البعد عن مثل هذه الأمور لأنه مهيأ لسماع النغمات القدسية والألفاظ الربانية لسماع الوحى المعظم .

لذا لم يكن شاعراً وما ينبغى له .إذ رتبته التى هيئ لها أسمى المراتب على الاطلاق ومنزلته أعلى المنازل بالاتفاق

## القران الكريم وسر اعجازه

جرت العادة الالهية في خلقه أن يبعث إلى كل أمة نبياً مؤيداً بمعجزة خارقة من جنس ما فاقت به تلك الأمة وامتازت به على غيرها من الأمم .

وحين ولد الهدى وآن لديجور الجاهلية أن ينجلى وحان لنور الاسلام أن ينبثق في قلب الجزيرة العربية مطارداً ظلمات الغواية . بعث الله تعالى نبي الرحمة عليه الصلاة والسلام في أمة امتازت بالبيان حيث مدت عليهم الفصاحة ظلها وأهدتهم بنات البلاغة حليها فكانوا ينبوع الفصاحة ودوحة البلاغة وكان جهابذة الفصحاء منهم أهل مكانة مرموقة ورتب مرفوعة .

فأيد الله نبيه وخليله بمعجزة القرآن فما إن تلاه عليهم ذلك النبى الأمى وطرقت آذانهم آياته وسوره حتى وقفوا مع فصاحتهم أمامه ذاهلين وأيقنوا أن البشر لا يقوون على النسيج على منواله ولا الابداع على مثاله ،هز قلوب بلغائهم نظمه ولم تقو فرسان البيان على مسابقته .

هناك وقف العباقرة أمامه حائرين لأنه من كلام العلى القدير كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من هدن حكيم خبير .

جاء القرآن بألفاظ عربية وتراكيب معهودة لدى المخاطبين فجاراهم في

أساليبهم وخاطبهم بجنس ما يتخاطبون به بيد أن الذى استرعى انتباههم واستولى على مشاعرهم حتى أدرك الكثير منهم أنه ليس بقول الشعراء ولا سجع الكهناء وان كان قد قالها

بعضهم على سبيل العناد والمكابرة — الذى استرعى انتباههم أمور نلخصها فيما يـلى : —

اولاً — تفرده بسمو التركيب وعلـو الطريقة — فتراكيبه أعلا التراكيب وأرفعها وطريقته هى الوحيدة في سموها وقوتها .

ثانياً — امتيازه بالدقـة البالغة في اختيار اللفظ لموقعه الذى أريد له والروعة المعجزة في اختياره الى غير ذلك من اسرار الاعجاز وحسبك أنه قد الف فيه المؤلفات قديما وحديثا .

**أن من البيان لسحرا وأن من الشعر لحكمة والامر بهجـاء المشركين**

الحديث الأول :

عن ابن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من البيان سحرا (١) .

معنى الحديث — إن بعض البيان يكشف الحقيقة ويوضح المشكل فيستميل القلوب ويجذبها كما يستمال بالسحر .

وهذا الحديث قاله عليه الصلاة والسلام حين قدم وفد تميم وفيه الزبرقان وعمرو ابن الاهم فخطبا ببلاغة وفصاحة ثم فخر الزبرقان فقال يارسول الله أنا سيد بنى تميم والمطاع فيهم والمجاب لديهم أمنعهم من الظلم وآخذ لهم بحقوقهم وهذا يعلم ذلك فقال عمرو إنه لشديد العارضة مانع لجانبه مطاع في اذنيه ، فقال الزبرقان : والله لقد علم منى اكثر مما قال ما منعه أن يتكلم الا الحسد فقال عمرو أنا أحسدك والله انك للئيم الخال حديث المال ضيق العطن أحمق الولد والله

يا رسول الله لقد صدقت فيما قلت أولاً وما كذبت فيما قلت ثانيا ، ولكنى رجل اذا رضيت قلت أحسن ما علمت واذا غضبت قلت أقبح ما وجدت ولقد صدقت في الأولى والأخرى جميعا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان من البيان لسحرا »

قال الميداني — هذا المثال في استحسان النطق وايراد الحجة البالغة (٢) .

---

١ — اخرجه احمد فى مسنده والبخارى فى صحيحه وابو داود والترمذى
ووجه المطابقة بين الحديث والترجمة أن البيان اعم من كونه نثرا فيدخل فيه الشعر لما يشتمل عليه من اوجه البيان وصفوف التشبيهات والمحسنات التى تجذب ..
٢ — الميدانى — مجمع الامثال والزرقاني — فيض القدير ٥٢٤/٢

الحديث الثاني :

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من البيان سحرا وان من الشعر حكما » وفي رواية إن من الشعر لحكمة (١) .

والمعنى أنه ليس كل شعر غواية بل منه ما يتضمن اقامة الحق والحث على الخير ، كانت العرب تطلق اسم الحكمة على قوة جامعة لرزانة العقل والرأى وشرافة الخلق ومن هذا سموا الرجـــل العاقل المهذب حكيما . وكذا يطلقونها على فصل الخطاب وهو القول الواضح عند العقل والقلب والحكم والقضاء حقا كان أو باطلا قال تعالى : « ما لكم كيف تحكمون أفحكم الجاهلية يبغون » قال النووى في تعريف الحكمة فيها أقوال مضطربة وقد صفا لنا منها أن الحكمة عبارة عن العلم المتصف بالاحكام المشتمل على المعرفة بالله تعالى بنفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق والعمل به والصبر عن الهوى والباطل وقد اتفق العلماء على مدح الايجاز والاتيان بالمعاني الكثيرة بالألفاظ اليسيرة وعلى مدح الاطناب في مقام الخطابة بحسب المقام. نعم الافراط في كل شئ مذموم وخير الأمور أوسطها (٢) .

الحديث الثالث :

عن البراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت «اهجهم وهاجهم وجبريل معك» متفق عليه وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن انه سمع حسان بن ثابت الأنصارى يستشهد أبا هريرة أنشدك الله هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا حسان أجب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أيده بروح القدس قال ابو هريرة نعم — أخرجه مسلم وعن أنس بن مالك أن رسول ابن صلى الله الله عليه وسلم قال : جاهدوا المشركين بأنفسكم وأموالكم وألسنتكم — أخرجه ابو داود .

عن كعب بن مالك حين أنزل الله تبارك وتعالى في الشعر ما أنزل أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال إن الله تبارك وتعالى قد أنزل في الشعر ما قد علمت وكيف ترى فيه فقال النبى صلى الله عليه وسلم إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه — اخرجه أحمد .

---

١ ـ أخرجه احمد فى مسنده ،وابو داود فى سننه من طريـــقابن عباس والجملة الثانية ثابتـــة فى البخارى بلفظ ان من الشعـرلحكمة من طريق ابى قاله الزرقانى٢/٢٤
وانظر ابنحجر فتح ـ ١٠/٢٠٢باب ان من البيان سحرا
٢ ـ ابن حجر فتح ١٠/٢٠٢

وفي رواية له والذى نفسى بيده لكأنما تنضحونهم بالنبل فيما تقولون لهم من الشعر .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت « استأذن حسان بن ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم في هجاء المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف بنسبى فقال لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين » متفق عليه وعن هشام عن أبيه قال ذهبت أسب حسان عند عائشة فقالت لا تسبه فانه كان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » أخرجه الاسماعيلى .

في هذه الأحاديث جواز الشعر بل استحبابه إذا كان هادفاً إلى صالح الاسلام وتدعيم الدعوة الاسلامية ورفع صرحها ونقض مباني الشرك وعبادة الأوثان .

دخل حسان بن ثابت رضى الله عنه في الاسلام حتى إذا أخذ شعراء قريش في هجاء الرسول وصحبه من المسلمين انبرى لهم بلاذع هجائه وكان رسول الله يحثه على ذلك ويدعو له بمثل « اللهم أيده بروح القدس » .

ولما قال له الرسول كيف بنسبي قال له لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين . فكان يهجوهم بأفعالهم وبما يختص عاره بهم .

واستمع الرسول إلى بعض هجائه لهم فقال « لهذا أشد عليهم من وقع النبل » .

وفي حديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « أمرت عبد الله بن رواحة بهجاء قريش فقال وأحسن وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن وأمرت حسان بن ثابت فشفى واشتفى »

وما ذلك الا أنه لم يكن يهجو قريشاً بالكفر وعبادة الأوثان إنما كان يهجوهم بالأيام التى هزموا فيها ويعيرهم بالمثالب وهذا طبيعى لأنهم كانوا مشركين فعلاً فلو هجاهم بالكفر والشرك ما بلغ منهم مبلغاً . وبحق سمى حسان شاعر الاسلام وشاعر ورسوله الكريم فقد عاش يناضل عنه أعداءه من قريش واليهود ومشركى العرب رامياً لهم جميعاً بسهامٍ مصمية :

نبذة عن شعر حسان :

قدم على الرسول وفد بنى تميم فقال حسان يرد على شاعر هذا الوفد الزبرقان بن بدر مادحاً للمهاجرين مدحاً رائعاً يقول في تضاعيفه :

إن الذوائب من فهرٍ واخوتهم
قد بينوا سنةً للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته
تقوى الاله وبالأمر الذى شرعوا

إن كان في الناس سباقون بعدهم
فكل سبق لأدني سبقهم تبع
أهدى لهم مدّحى قلب يـؤازره
فيما أراد لسان حائك صنع

وورد أنه كان ينشد الرسول شعره في المسجد .

ومن هنا تعرف أن القرآن انما يهاجم شعراء المشركين الذين كانوا يهجون الرسول ويثبطون عن دعوته فالقرآن لم يهاجم الشعر من حيث انه شعر وإنما هاجم شعراً بعينه كان يؤذى الله ورسوله وهو نفسه الذى قال فيه الرسول الكريم لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خير له أن يمتلئ شعرا

ويقول حسان من همزيته التى أجاب فيها أبا سفيان بن الحارث وقد استهلها بمطلع غزلى جميل

عفت ذات الا باطح فالجواء
إلى عذراء منزلها خلاء

إلى أن يقول :

عدمنا خيلنا إن لم تروها
تثير النقع موعدها كداء (١)
يبارين الأسنة مصعدات
على أكتافها الأسل الظماء (٢)
تظل جيادنا متمطرات
تلطمهن بالخمر النساء (٣)
فاما تعرضوا عنا اعتمرنا
وكان الفتح وانكشف الغطاء (٤)
والا فاصبروا لجلاد يوم
يعز الله فيه من يشاء (٥)

إلى أن يقول :

الا أبلغ أبا سفيان عنى
فأنت مجوف نَخْبُ هواء (٦)
بأن سيوفنا تركتك عبداً
وعبد الدار سادتها الاماء (٧)
هجوت محمداً فأجبت عنه
وعند الله في ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفءٍ
فشركما لخيركما الفداء
فمن يهجو رسول الله منكم
ويمدحه وينصره سواء
فان أبي ووالده وعرضى
لعرض محمد منكم وقاء

---

١ ـ النقع ـ غبارالحرب ـ كداءموضع باعلى مكة وهو غير كدى بالضم
٢ ـ مصعدات ،سرعات فى الصعود ـ الاسل الرماح الجيدة
٣ ـ متمطرات مسرعات متحفزات ..
٤ ـ الفتح يعنى فتح مكة
٥ ـ الجلاد المصابرة فى القتال
٦ ـ مجوف : فارغ نخب : جبان هواء فارغ
٧ ـ عبدالدار : اخو عبد مناف وحسان يهجو بنى عبد الدار لان النبى صلى الله عليه وسلم من بنى عبد مناف .

والموضوع طويل وحسبنا ما ذكرنا على سبيل المثال .

وقد ذكر البخارى في ( باب من استنشد الشعر وما سمعه النبى صلى الله عليهو سلم منه وما تمثل به وبيان أنه بمنزلة الكلام )

(١) عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال استنشدني النبى صلى الله عليه وسلم شعر أمية ابن أبي الصلت وأنشدته فأخذ النبى صلى الله عليه وسلم يقول هيه هيه » حتى أنشدته مائة قافية فقال « إن كاد ليسلم » (١) .

ترجمة أمية :

هو أمية بن عبد الله بن ربيعة الثقفى . وعتبة وشيبة أبناء خاله ولذلك كان قتلى بدر بقصيدته المشهورة ممن حرم الخمر وتجنب الأوثان والتمس الدين وطمع في البنوه لأنه قرأ في الكتب أن نبياً يبعث في الحجاز فرجا أن يكون هو . (٢) .

فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم حسده وبلغ به الحسد الى حد الجحود فلم يسلم توفي بالطائف في السنة الثانية وقيل في التاسعة » ومن شعره :

كل دين يوم القيامة عند الله
إلا دين الحنيفة زور

ومن شعره :

إن تغفر اللهم تغفر جما
وأى عبد لك لا ألما (٣)

قوله « هيه هيه » أصله ايه أبدلت الهمزة بالهاء ، اسم فعل بمعنى الأمر تقول للرجل إيه بغير تنوين إذا استزدته من الحديث المعهود بينكما فاذا نونته استزدته من حديث ما لأن التنوين للتنكير .

قوله « أن كاد » مخففة من الثقيلة أى قارب الاسلام ولم يسلم . وفي رواية آمن لسانه وكفر قلبه .

(٢) عن خالد بن كيسان قال كنت عند ابن عمر فوقف عليه إياس بن خثيمة قال ألا أنشدك من شعرى يا ابن الفاروق قال بلى ولكن لا تنشدني إلاحسناً فأنشده حتى إذا بلغ شيئاً كرهه ابن عمر قال له أمسك (٤) .

---

١ ـ اخرجه البخارى فى الادب المفرد واخرجه مسلم فى كتاب الشعر اخر كتاب الحيوان وابن ماجه فى الادب والدارمي في الاستئذان وابن خزيمة فى التوحيد والطحاوى فى الكراهية واحمد فى مسند ابن عباس

٢ ـ قال النووى فى الحديث جواز انشاء الشعر الذى لا فحش فيه وسماعه سواء شعر الجاهلية وغيرهم وان المذموم من الشعر الذى لافحش فيه انما هو الاكثار منه وكونه غالبا على الانسان فاما يسيره فلا باس بانشاده وسماعه وحفظه .. شرح مسلم ١٥/١٢

٣ ـ تاريخ الادب الغربى ص ٧٥

٤ ـ اخرجه البخارى فى الادب المفرد فى باب ان من الشعر حكمة قال حدثنا عبدالله بن محمد قال حدثنا ابو عامر قال حدثنا ايوب بن عن خالد هوابن كيان ـ الحديث ص ٢٢٢

(٣) عن قتادة سمع مطرفاً قال صبحت عمران بن حصين من الكوفة إلى البصرة فقلّ منزل ينزله إلا وهو ينشدني شعرا وقال إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب (١) .

عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد « الا كل شئ ما خلا الله باطل وفي رواية أصدق كلمة » متفق عليه

المراد بالكلمة هنا القطعة من الكلام كما قال سبحانه كلا إنها كلمة هو قائلها اشارة الى قول الكافر رب ارجعون لعلى أعمل صالحاً فيما تركت .

ترجمة لبيد

هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جفر بن كلاب يكنى أبا عقيل قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد بنى كلاب فأسلم ثم رجع إلى بلاده وقطن بالكوفة ومات بها عاش مائة واربعين سنة وكان شريفا في الجاهلية والاسلام قيل مات في خلافة عثمان وقيل في خلافة معاوية (٢) .

وعجز الشطر الأول . وكل نعيم لا محالة زائل . قوله باطل : أى هالك مضمحل لأنه موافق لأصدق الكلام وهو قوله تعالى « كل من عليها فان » فلا ريب أن هذه الكلمة أصدق ما تكلم به ناظم أو ناثر . مقدمتها كلية مقطوع بصحتها وشمولها عقلاً ونقلا ولم يخرج من كليتها شئ قطعا الامامر استثناؤه وهو الله وصفاته وعقابه وثوابه وفيه جواز الشعر وإنشاده ما لم يخل بأمر دينى أو يزيل الوقار أو يحصل منه إطراء أو اكثار (٣) .

(٣) عن المقدام بن شريح عن أبيه قال قلت لعائشة رضى الله عنها أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشئ من الشعر فقالت كان يتمثل بشئ من شعر عبد الله بن رواحة ويتمثل ويقول « ويأتيك بالأخبار من لم تزود » (٤)

قوله فقالت « لفظ الطحاوى فقالت نعم بشعر ابن رواحة وربما قال هذا البيت ويأتيك الخ وفي لفظ له كان يتمثل بشعر ابن رواحة أخرجه احمد من طريق مغيرة عن الشعبي اذا استراب الخبر تمثل فيه ببيت طرفة فنسبتها الى

---

١ ـ اخرجه البخارى فى الادب المفرد قال حدثنا عمرو بن مرزوق قال اخبرنا شعبه الحديث

٢ ـ شرح شواهد الغني للسيوطي ١٥٢ ـ ج ١

٣ ـ فيض القدير ٥٢٩/١

اخرجه الترمذى وصححه والنسائى فى اليوم والليلة والبخارى فى الادب المفرد والطحاوى فى مشكل الاثار

## عبد الله بن رواحة

صحابي جليل شهد بدرا وهو أحد النقباء استشهد بمؤتة وكان ثالث الأمراء الذين أخبر بهم النبى صلى الله عليه وسلم وكان جده أبو سريح عمرو بن امرئ القيس شاعراً فحلاً وهو القائل

يا مال والسيد المعمم قـــد
يبطره بعـــد رأيه السرف
نحن بما عندنا وأنت بما عنـ
ـدك راض والرأى مختلف

قوله ويأتيك الخ هذا عجز بيت وصدره ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً

والمعنى يأتي الزمان إلياك بالخبر من غير أن ترسل أحداً أن يأتي به إلياك فلا تحتاج أن تعطيه الزاد .

عن البراء بن عازب قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم ينقل معنا التراب وهو يقول :

والله لولا الله ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا
والمشركون قد بغوا علينا
إذا أرادوا فتنةً أبينا

ويرفع بها صوته

وفي رواية : ورفع بها صوته أبيناً أبينا — متفق عليه .

عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال

اللهم لاعيش الا عيش الآخرة
فاغفر للانصار والمهاجرة

وفي رواية سهل بن سعد عند مسلم فاغفر للمهاجرين والانصار وفي رواية كانوا يرتجزون ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم وهم يقولون الحديث متفق عليه .

عن جندب بن سفيان قال دميت إصبع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض تلك المشاهد فقال :

هل أنت الا اصبع دميت
وفي سبيل الله مـــا لقيت

أخرجه الشيخان . .

وعن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال في غزوة حنين « أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب » . اخرجه الشيخان

التعليق على الآحاديث . .

قال النووى (٢) قال المازرى أنكر بعض الناس كون الرجز شعراً لوقوعه

---

١ ـ فضل الله الصمد فى توضيح الادب ـ المفرد ٣١٦/٢
٢ ـ شرح مسلم ١١٨/١٢

من النبى صلى الله عليه وسلم مع قوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له وهذا مذهب الأخفش واحتج به على فساد مذهب الخليل في أنه شعر وأجابوا عن هذا بان الشعر هو ما قصد اليه واعتمد الانسان أن يوقعه موزونا مقفى يقصده الى القافية ويقع في ألفاظ العامة كثير من الألفاظ الموزونة ولا يقول أحدأنها شعر ولا صاحبها شاعر وهكذا الجواب عما في القرآن من الموزون كقوله تعالى « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » وقوله تعالى « نصر من الله وفتح قريب » .

ولا شك أن هذا لا يسميه أحد من العرب شعراً لأنه لم تقصد تقفيته وجعله شعرا قلت وقد قال الامام ابو القاسم على بن أبي جعفر بن على السعدي الصقلى المعروف بابن القطاع في كتابه الشافي في علم القوافي : قد رأى قوم منهم الأخفش وهو شيخ هذه الصناعة بعد الخليل أن مشطور الرجز ومنهوكه ليس بشعر كقول النبى صلى الله عليه وسلم الله مولانا ولا مولى لكم وقوله : هل أنت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت . وقوله أنا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب وأشباه هذا قال ابن القطاع وهذا الذى زعمه الأخفش وغيره غلط بين وذلك لأن الشاعر انما سمى شاعراً لوجوه منها أنه شعر القول وقصده وأراده واهتدى إليه وأتي به كلاماً موزونا على طريقة العرب مقفى فان خلا من هذه الأوصاف أو بعضها لم يكن شعرا ولا يكون قائله شاعرا .

عن سلمة بن الاكوع قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر فتسيرنا ليلاً فقال رجل من القوم لعامر بن الاكوع ألا تسمعنا من هينهاتك وكان عامر رجلاً شاعرا فنزل يحدو بالقوم يقول :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداء لك ما اقتفينا
وثبت الأقدام إن لاقينا
وألقين سكينة علينـــا
إنا إذا اصيح بنا أتينا
وبالصياح عولوا علينا

متفق عليه .

قلت وقد سبق الكلام على ما يتعلق به .

عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر بمنزلة الكلام حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام (١)

---

١ ـ اخرجه البخارى فى الادب المفرد والدراقطني فى سننـــــه

عن عائشة رضى الله عنها أنها كانت تقول الشعر منه حسن ومنه قبيح خذ بالحسن ودع القبيح ولقد رويت من شعر كعب بن مالك اشعاراً منها القصيدة فيها أربعون بيتا ودون ذلك (١)

عن جابر بن سمرة قال جالست النبى صلى الله عليه وسلم اكثر من مائة مرة فكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت فربما تبسم معهم .

أخرجه الترمذى والطيالسى واحمد والسياق للترمذى (٢)

ترجمة كعب بن مالك .

ابو عبيد الله المدني احد الثلاثة الذين نزلت توبتهم في القرآن بعد خمسين ليلة وهو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة شهد أحداً وما بعدها مات بالشام في خلافة معاوية .

والمعنى انه ذا حسن المعنى شرعا فالكلام محكوم عليه شرعاً بالحسن ولو كان اللفظ غير فصيح واذا قبح المعنى شرعا لم يحكم عليه بالحسن وإن كان لفظه فصيحا وهذا حق ولكن الوزن وفصاحة الكلام يزيد الحسن حسنا كالحكمة ويزيد القبيح قبيحا كالهجو (٣) .

كراهة الشعر لمن غلب عايه

عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأن يمتلئ جوف أحدكم قبحاً خير له من أن يمتلئ شعرا (٤)

زاد مسلم يريه بفتح الياء وكسر الراء من الورى وهو داء يفسد الجوف .

قال الطحاوى المكروه الشعر الذى يملأ الجوف فلا يكون فيه قرآن ولا تسبيح ولا غيره فأما من كان في جوفه القرآن والشعر مع ذلك فهو خارج من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يمتلئ الحديث (٥) .

وقال النووى المراد أن يكون الشعر غالبا عليه مستوليا عليه بحيث يشغله عن القرآن وغيره من العلوم الشرعية وذكر الله تعالى وهذا مذموم من أى شعر كان فاما اذا كان القرآن والحديث

---

١ ـ اخرجه البخارى فى الادب المفرد من طريق سعيد بن تليد قال حدثنا ابن وهب قال اخبرني جابر بن اسماعيل وغيره عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة قال الحافظ سنده حسن وذكره الالباني فى سلسلة الاحاديث الصحيحة .

٢ وقال حديث حسن صحيح وذكره الالباني فى سلسلة الاحاديث الصحيحة ص ١٧٦/ رقم ج ٤٣٥/١

٣ ـ فضل الله الصمد ج ٢ـ٣١٥

٤ ـ اخرجه مسلم فى كتاب الشعر والدرمي فى الاستئذان واحمد فى مسند ابن عمر والبخارى فى الادب المفرد ..

٥ ـ معانى الاثار ٣٧٢/٢

وغيرهما من العلوم الشرعية هو الغالب عليه فلا يضر حفظ اليسير من الشعر مع هذا لأن جوفه ليس ممتلئا شعرا وقال العلماء كافة هو مباح ما لم يكن فيه فحش ونحوه قالوا وهو كلام حسنة حسن وقبيحه قبيح وهذا هو الصواب فقد سمع النبى صلى الله عليه وسلم الشعر واستنشده وأمر به حسان في هجاء المشركين وأنشده أصحابه بحضرته في الأسفار وغيرها وانشده الخلفاء وأئمة الصحابة وفضلاء السلف ولم ينكره أحد منهم على إطلاقه وانما انكروا المذموم منه وهو الفحش ونحوه(١)

وفي رواية لمسلم من طريق أبي سعيد الخدرى قال بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرج إذ عرض شاعر ينشد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا الشيطان أو أمسكوا الشيطان لأن يمتلئ الحديث ...

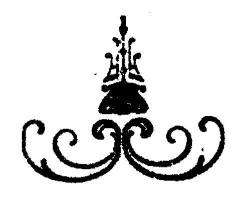
والعرج – على نحو ثمانية وسبعين ميلاً من المدينة .

قال النووى وأما تسميته هذا الرجل الذى سمعه ينشد شيطانا فلعله كان كافراً أو كان الشعر هو الغالب عليه أو كان شعره هذا من المذموم .

وبالجملة فتسميته شيطانا إنما هى قضية عين تتطرق إليها الاحتمالات المذكورة وغيرها ولا عموم لها فلا يحتج بها ،

وقال المناوى وأما قول المصطفى صلى الله عليه وسلم للشاعر الذى عرض له بالعرج خذوا أو أمسكوا الشيطان فلعله علم من حاله أنه اتخذ الشعر حرفة فيفرط في المدح اذا أعطى وفي الذم إذا منع فيؤذى الناس في أموالهم وأعراضهم (٢) .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . .



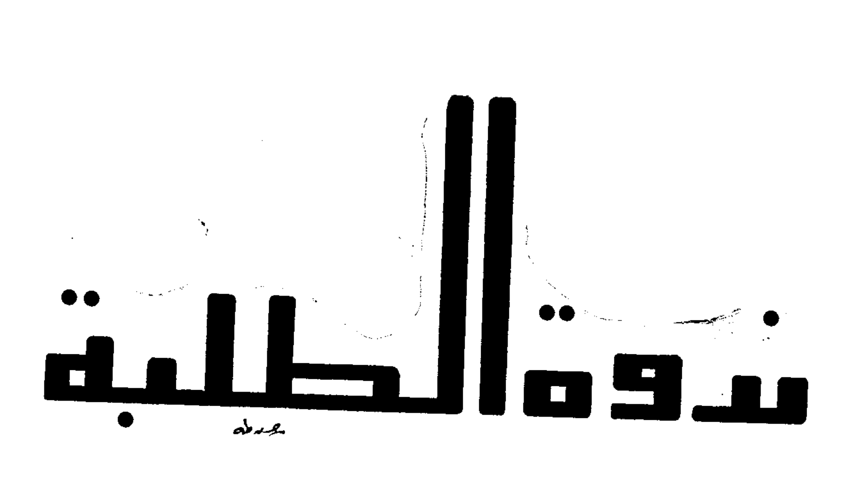
---

١ ـ شرح مسلم ١٥/١٤

٢ ـ فيض القدير ج ١ ـ ٥٢٩

## مراجــع البحث


القرآن
أحكام القرآن – لابن العربي
الكشاف – للزمخشرى
أضواء البيان – للشنقيطى
تفسير ابن كثير – لاسماعيل بن كثير
تاريخ الأدب العربي – للزيات
التلخيص الحبير – لابن حجر
سيرة ابن هشام
سنن أبي داود
سنن النسائي
سنن ابن ماجه
سبل السلام – للصنعاني
الشعر والشعراء لابن قتيبة
شرح شواهد المغنى – للسيوطى
شرح مسلم للنووى
غريب القرآن –
فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوى
فتح البارى – لابن حجر
صحيح البخارى
صحيح مسلم
فضل الله الصمد شرح الأدب المفرد – لفضل الله الجيلاني
لباب النقول للسيوطى
مسند احمد والطيالسى
مجمع الامثال
مقدمة ابن خلدون – مشكل الآثار للطحاوى
مقدمة شرح التلخيص للبرقوقي
مذكرة في الادب – لمحمد المجذوب
مجلة حضارة الاسلام


ندوة الطلبة



بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله « سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير »

# القدس

للطالب
سامي بن رضوان

ان للقدس موقعا جميلا ، وسحرا خاصا ، وجمالا خفيا لا يحس به الاحساس الكافي إلا من أقام بها مدة ، وتذوق هذا الجمال تدريجيا ، ولعل من عوامل سحرها ، هدوؤها ، وعمق صداها ، وجمال تلالها ، ونظافة جوها ، وتنمو على هاتيك التلال ، أعشاب وزهور متعددة الالوان تغطى تربتها ، وتؤلف معلما من معالمها ، وأبنيتها شاهقة تخالط سطوحها قباب غير مرتفعة موروثة عن تاريخها الغابر المديد .

## موقعها

وتقع القدس على خط العرض (٣٤) شمالا ، وعلى خط الطول (٣٥) شرقا ، وتبعد عن اريحا مسافة ( ٣٠ ) كيلو مترا ، وعن نهر الاردن ( ٤٠ ) كم ، وعن ساحل البحر الابيض المتوسط ( ٦٥ ) كم تقريبا .

وتقع المدينة كلها تاريخية ، وقديمة وحديثة على سلسلة جبال القدس ضمن هضبة ذات مرتفعات تعلو نحو ( ٨٠٠ ) متر عن سطح البحر .

وتحيط المدينة كلها جبال مشهورة أهمها جبل المشارف من الشمال ، وجبال المكبر من الجنوب ، وجبل الطور من الشرق ، وجبل صهيون من الغرب .

وتقع القدس القديمة ضمن سور يحيط بها من جميع جهاتها ويبلغ طوله

نحو ( ٤ ) كم ، وارتفاعه نحو ( ١٢ ) مترا ، وللسور سبعة ابواب كبيرة و مفتوحة يدخل الناس منها الى المدينة من نواحيها المختلفة ، والذى بنى هذا السور هو السلطان سليمان القانوني العثماني ، وقد دامت أعمال هذا البناء في السور (٥) سنوات .

وقد بلغت مساحة الاراضى التى تحتلها القدس قديمة وحديثة سنة ١٣٦٧ هـ ١٩٤٨ م ما يزيد على ( ٣١ ) كيلو متراً مربعاً ، أى ما يبلغ ( ٣١ ) الف دونماً ، وتبلغ مساحة القدس القديمة نحو ألف دونم .

وأهم ما في القدس أماكنها المقدسة وفي مقدمتها الحرم الشريف الذى يحوى المسجد الاقصى ومسجد الصخرة ، حيث يقع في الجهة الشرقية الجنوبية من المدينة القديمة .

وفي هذا المسجد قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، ومسجدى هذا ، والمسجد الاقصى » وهو مسجد رائع البناء عظيم الساحة ، ويحيط به سور عظيم ، وقد أسرى الله بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ، ومنه عرج به الى السماء ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يستقبل في صلاته المسجد الاقصى الى أن أمر بتحويل القبلة الى الكعبة بالمسجد الحرام ، فهو اولى القبلتين ، وثاني البيتين ، وثالث الحرمين ، ولهذا فهو محط أنظار المسلمين ، .

وفي المدينة مساجد أخرى كثيرة يبلغ عددها (٣٥) مسجدا ، وبها مقدسات مسيحية واهمها كنيسة القيامة ، ولا يملك اليهود بها آثار ا ولا أماكن دينية ولا مقدسات على الرغم من الضجة العالية والعويل الطويل إلا عرفا تقليديا لهم في البكاء خارج القسم الجنوبي من الحائط الغربي للحرم الشريف يسمى حائط المبكى .

عدد السكان

كان عدد السكان سنة ١٣٦٧ هـ سنة ١٩٤٨ م نحو (١٦٠) ألف نسمة نصفهم من العرب والآخر من اليهود وجاء عددهم هذا وليد الهجرة الناتجة عن وعد بلفور الجائر ، ففى النصف الثاني من القرن السابع عشر لم يكن عدد اليهود سوى (١٥٠) شخصا ، وفي سنة ( ١١٧٠م ) لم يكن في المدينة اكثر من يهودى واحد .

والقدس مدينة سياحية عالمية جذابة ولذا فإن بعض السكان يقومون ببعض الصناعات التى يغلب عليها الطابع

السياحى مثل صناعات خشب الزيتون والشموع ، والقاشاني ، والتطريز والزجاج والادوات الفضية وغيرها ، وبعض السكان يقومون بالزراعة حيث خصوبة التربة فيكثر فيها الفواكه والخضروات بأنواعـها المختلفة ، والتعليم فيها ناشط مزدهر إذ فيها نحو (٥٠) مدرسة عربية و (٣٠) مكتبة منها ما له قيمة تاريخية . كما يوجد بها جميع الدوائر الحكومية .

ما يفعله الصهاينة المحتلون

يعمل الصهيونيون اليهود على توسيع رقعة القدس وزيادة سكانها وتخطيط الحى اليهودى فيها ، وقد تضمنت الخطة عمارات متراصة مرتفعة يشبه بعضها ناطحات السحاب ، واشتملت على نواد وبارات ليلية كثيرة ، وشقق صغيرة تحيل المدينة الى ما يشبه محطة السكة السوداء داخل مظاهر الزيف والنشاز ، وقد عرضت الخطة على ثلاثين من المهندسين والمعماريين والفنانين العالميين فنفروا منها جميعا ورفضوها لمغايرتها طبيعة المدينة المقدسة . وقد فعلوا فيها ما لا يستوعبه المجلدات .

وقد توغلت الحفريات التى يقومون بها في اختراق الحائط الجنوبي للحرم الشريف والاروقة السفلية للمسجد الاقصى في اربعة مواقع الاول ، في اسفل محراب المسجد الاقصى والثاني اسفل مسجد عمر ، والثالث : تحت الابواب الثلاثة للاروقة الملاصقة للمسجد الاقصى وهنا توغلت (٢٠) مترا في داخل الحرم ، والرابع تحت الاروقة الجنوبية الشرقية للمسجد الاقصى ، أصبحت هذه الحفريات تهدد المسجد الاقصى وسور الحرم الجنوبي بالتصدع والانهيار .

ورغم كل ذلك فقد واصلت السلطات الصهيونية إخلاء العقارات والاراضى بالقوة وتمكنت من إجلاء ما يقارب من خمسة الاف عربي من مساكنهم وأماكن عملهم داخل الاسوار وحرست ما لا يقل عن ألف من العمل في الزراعة في الاراضى المصادرة خارج الاسوار يعيلون لا أقل من خمسة الاف شخص ، واجلاء ما يقرب من الف عربي من مساكنهم خارج الاسوار ،وهى بالاضافة الى ذلك جادة في ملاحقة الباقين منهم ويقدرون بحوالى الالف بالجلاء والتشرد .

الاستيطان الاسرائيلى

يهدف الى جعل القدس مدينة يهودية ، كشف عن ذلك وزير الاسكان اليهودى عن مؤامرة الاستيطان التى باشروها منذ ١٩٦٨ خارج اسوار القدس وداخلها وما حولها ، وتستهدف بناء (٣٥)

وحدة سكن وتتسع لإسكان ( ١٢٢ ) الف صهيوني جديد .

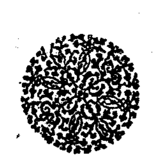
وقد نفذت هذا البرنامج خلال السنوات الست الماضية وتم لها انشاء ستة عشر حيا أو مستعمرة جديدة على انقاض ما هدم من احياء وقرى عربية وعلى ما صور أو أغتصب من الاراضى داخل اسوار المدينة وخارجها .

إحراق المسجد الاقصى

في يوم الخميس ٨ جمادى الثانية ١٣٨٩ هـ احرقت اسرائيل المسجد الاقصى ، وقد دمر الحريق القسم الجنوبي الشرقي منه ، كما أتي على المنبر ، وقد ادعت اسرائيل أن ماساً كهربائيا سبب الحادث ، ثم تراجعت وزعمت أن شابا أضرم النار في المسجد ، .

هل يحتاج المسلمون بعد ألسنة النار التي التهمت المسجد الاقصى الى من يوقد حميتهم ويشعل ارادتهم للوقوف صفا واحدا وجبهة واحدة في وجه العدو ، ولكن من المؤسف حقا أن اشعال النار في أولى القبلتين وثاني البيتين وثالث الحرمين لم يكن مفاجأة وان المسلمين والعرب لم يأخذوا على حين غرة عندما أقدمت اسرائيل على حرقه ولن يؤخذوا على غرة اذا فعلت اسرائيل لا قدر الله بمقدساتهم أكثر من ذلك .

ان القدس كانت ولا تزال محل أطماع اليهود والصليبيين ، أما الصليبيون فقد يئسوا من تحقيق اطماعهم منذ أن هزمهم صلاح الدين الايوبي واستردها منهم ، وأما اليهود فما زالوا يتآمرون عليها وقد استطاعوا بغدرهم وتفكك المسلمين أن يسيطروا عليها ولكن ذلك لن يطول فسنستردها بعون الله منهم وتبقى تراثاً اسلاميا مصونا تحوطها القلوب المؤمنة وتحميها صدور المسلمين ، وسوف يرتد كل معتد على القدس والمسجد الاقصى خاسئاً بإذن الله .



# مِنْ آياتِ اللهِ في الآفاق

للطالب محمد الأمين ولد الشيخ

أيها الملحدُ الغبيُّ تعلَّم ... وانظر الكون واعياً وتفهم

وتفكَّر هُنَيْهَةً وتدبَّر ... وتأمَّل هذا الوجودَ المُنظم

أنظامٌ ولا مُنظم هذا ... نحوٌ سخف ظاهر ورأىٌ مُحَطَم

منطقٌ هكذا صغيرٌ حقير ... لا يساوى مداده لا يسلِّم

منطقُ البصرة السَّليمة يأبا ... ه ويقضى برده إن علم

وَجِدَ الكونُ صدفة لا تقل ذا ... أىٌّ عقل يُسيغ هذا ؟ تكلم

استمعْ ههنا جهازٌ دفينٌ ... مُحْكم متقن جميل مصمم

كان من غير صانع أتُرى ذا ... منطق العقْل ؟ لا وربِّى الأكرم

أتُرى ذا الجهازَ وهو صغيرٌ ... من جهاز السماء والأرض أحكم !

إنتبه جيدا تفكَّر قليلاً ... لا تقلِّد منَ عقلُه قد تسمَّم

انفرد ساعة إذا الليل أظلم ... وسرى الصمتُ في الوجود وخيم

وتساءَلْ أصدفةً كلُّ هذا ... وتساءل وقل لنفسك مهْيَم ؟

أُترك الكبر جانبا وتواضعْ ... واطلب الحقَّ خالصا وتقدم

خطوة خطوةً رُوَيْدا رويدا ... فاذا الكُفْر كلهُ قد تهدَّم

وإذا باليقين ينمو وينمو ... وإذا النُّور قد أضاء فعمَّم

أَسلم ــ الكونُ مسلمُ ــ وتَقَدَّم ... وتشهد شهادة الحق تسلم

محمد الأمين ولد الشيخ

المعهد الثانوى ــ السنة الأولى

# كلية الحديث

للطالب أحمد بن حسن المعلم

نبـأ أهـاج كوامنى وأثـارا — وهششت عند سماعـه استبشارا
كليـة باسـم الحـديث واهله — تـروى الهـدى وتعلم الآثـارا
مـاذا اقـول وكيف انطق بالذى — في خـاطرى وأوضح الأسرارا
أ أقـولـه نـثراً بغـير تقيـد — أم هـل ترون اصوغه أشعارا
ما حجم ابيات القصيدة كى تفى — ما في الجوانح والفؤاد تـوارى
والقلب لـولا ما يضم من الهدى — لفرى الضلوع من السرور وطارا
والنفـس يغمـرها السرور ومالها — ألا تسرو وتلبس النوارا
لم لا اسرو وقد حظيت بغـايـة — كانت لآمـالى الكبـار منارا
سأكـون من صحب الرسول وآله — سأنـال منه قـرابة وجوارا
سأعيش في كنـف الرسول مصليا — ومسلـما ومتابعـاً مختـارا
سأرى الدليـل وسوف اعمل بالذى — دل الدليـل على سناه ودارا
انـا لن أكون مقلداً متعصبـاً — شبه البهيمة رحبت ينعق سارا
انـا لن أكون مقلـداً متعنتـا — ادع الدليـل لمـا اراه جهارا
ان المقلـد في الخسارة والشقـا — ما عـاش يومـاً يشبه الأحرارا
ان المقلـد كالضـرير يقـوده — من شاء بـراً كان أو كفارا
ان المقلـد كالصغير مفـوضا — ان يعط تمـراً يرضـه أو نارا
فـدع الثعب المذاهـب انـه — سجن العقول يتريقها الأصارا
واراه غـلاً في الرقاب وصانعاً — مـا يقـول رسولنا وستارا

يا طـالب العلم الصحيح بشارة — منحوك عـلما نافعاً مختـارا
أقبـل عـلى علم الحديث فإنه — جسر الحياة لمن أراد فخـارا
وفـذ الصحيح ودع سواه فما بنا — من حـاجة لتلفق الأقيارا
وتتُبُع الاسناد وانقـد اهـلـه — لا تخش اثمـا فيه أو اضرارا
وفـذ الصحيح بقـوة لاتخش في — تطبيقه زيـداً ولا عمـارا
واضرب بسيف الحق كل مقلـد — فلقـد حملت مهـند بشـارا
وانـر بمصباح الحديث ظلامنـا — ودع الليـالى الحالكات نهارا
وصدع رؤوس الخارجين عن الهدى — من كل مبتدع غدا حفارا
وانف الضعيف ومـا تبين زيفـه — فلقد رأينا منهما الأضـرارا
واعمـل بما حصلت منه ولا تكن — بعـد الدراسة حاملا اسفارا
وادع الانـام الى طريق واحد — الكـل في تطبيقـه يتبـارى
فلقد اساء لنا التغرف اعصـرا — فسبى العقـول وقيد الافكـارا
فمتى يخلصنا الحديث من العنـا — فنسير تحت لـوائه احـرارا
ومتى يوحـدنا الحديث على الهدى — فنسير جيشا واحـداً جرارا
هـذا بعـون الله سوف ننالـه — فلقد رأينا للخلاص منـارا
كليـة العلم الجليـل تقـودنـا — فنخوض تحت لوائها الاخطـارا
فليهـن ابنـاء الحنيفـة منهـل — بالعـذب ينضح طيبا مدرارا
وليهن جـامعـة المدينـة انهـا — صارت لطلاب الحديث مزارا

احمد بن حسن المعلم
ثالثة ثانوى فصل « أ »

المكتبة الإسلامية



# طه حسين

## حياته .. وأدبه .. في ميزان الإسلام ...

لفضيلة الشيخ ابراهيم محمد سرسيق
كلية القرآن والدراسات الاسلامية

طالما سألت نفسى ، منذ اشرأبت عنقى إلى بلابل الدوح وهى تشدو في حدائق الأدب . .

إذا كانت قيمة كل امرئ ما كان يحسنه ، فبأى قيمة من قيم الدين أو الأدب أو الخلق ، تسنّم الدكتور طه حسين ذروة الأدب والثقافة والتعليم في مصر ؟ وبأى قيمة من قيم الدين أو الأدب أو الخلق تبوّأ مقعد القيادة والتوجيه في دولة الفكر قرابة نصف قرن من عمر الزمان ؟

وبأى قيمة من قيم الدين أو الأدب أو الخلق ، قد تقبل في كبرياء مصطنع ، وشموخ كاذب ، وعبقرية مدّعاة - أن يصفه أهل البَغاء الفكرى ، والنفاق السياسى ، بأنه : عميد الأدب العربي ؟ ؟
بالله خبروني :
من ذا الذى عمّده للأدب في دنيا العرب . . ؟ ؟

وهذا كتاب أخرجه لنا كاتب إسلامى نشيط ، هو الأستاذ / أنور الجندى ، ونشرته ( دار الاعتصام ) بالقاهرة ، عام ١٣٩٦ هـ ( ١٩٧٦ م ) .

وهذا الكتاب يضع طه حسين في ميزان الإسلام ، بعد أن وضعه الآخرون في موازين كثيرة . ويشاء الله تعالى أنه، بقدر ما ارتفعت به الموازين الأرضية فقد هبط في ميزان الإسلام إلى الحضيض.

جزاء وفاقا ، بما فرط في جنب الله ، وألحد في ذاته ، وتهجم على نبيه صلى الله عليه وسلم ، وطعن في كتابه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

والكتاب يحتوى على حوالى ( ٢٧٠ ) صفحة من الحجم المتوسط ، ويقع في مقدمة وثلاثة أبواب :

الباب الأول ( حياة طه حسين ) :

مرحلة التكوين والإعداد . ويتضمن خمسة فصول .

وتدور هذه الفصول الخمسة حول مطالع حياتـه ، رحلته الى أوربة وأثرها ، في أحضان الاستشراق ، التبعية للفكر الغربي ، الولاء للسياسة الغربية .

أما الباب الثاني (مرحلة التضوج والتألق) فيتضمن خمسة فصول أيضا :

في الجامعة ، في وزارة المعارف ، في الصحافة والسياسة الحزبية ، في المجمـع والجامعة العربية ، وفي المحاضرات والمؤتمرات .

ثم يأتي الباب الثالث والأخير (آراء طه حسين وصراعه مع أهل جيله) — ويتضمن ستة فصول :

آراء طه حسين ، طريقة البحث ، ظاهرة التحول والتناقض ، الأسلوب والأداء الفنى ، الاستجواب ، صراعه مع أهل جيله .

ثم خاتمة في حوالى سبع صفحات ، تلمس لمسا خفيفا أهم ما جاء بالكتاب ، وتبرز الدافع إلى تأليفه وتعد بتقديم بحث جامع في الموضوع نفسه .

وسنعود إلى إبداء رأينا في المنهج والخاتمة ، بعد بحث وتقويم المادة العلمية .

**الحاجة الى مثل هذا البحث :**

إن الحاجة ماسة جدا إلى مثل هذا النوع من البحوث التى تزن مختلف الشخصيات العلمية والأدبية بميزان الإسلام . ومهما يكـن رأينا في المنهج العلمى الـذى سار عليه الكاتب في بحثه — فإننا نناشد المؤلف وغيره من الباحثين المسلمين أن يتناولـوا أولئك الأعلام ، الذين ارتفعوا على أسنة الاقلام ، أو حملهم العوام فوق الاكتاف والهـام — لكى يوضعوا في دائرة الضوء الإسلامى فيبدو للملأ ما فيهم من غث أو سمين ، ولكى يبرزوا إلى نـور الحق بدل أن يضاعفوا أحجامهم ويرفعوا عقائرهم في الظلام . فالقيمة الحقيقية لهؤلاء الأعـلام لا توزن بموازين الارض الزائلة ، بل توزن بموازين العدالة الإسلامية : ( ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويُشهد الله على ما في قلبه وهو ألدّ الخصام . وإذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد (١) ) . والمشكلة دائما هى أن الحق أبلج ولكن الباطل لجلج ، وفي هذا العصر نرى أهل الباطل يجعجعون ويصيحون ويصرخون ، ويتنادون بالنصرة والأحلاف ويهزون

(١) سورة البقرة (٢٠٤ ـ ٢٠٥)

الأعطاف – بينما أهـل الحق قانعون بالسلامة الذليلة ، راضون عن الغنيمة بالإياب .

فهل يلام الباطل إذا أرغى وأزبد ، وتهدد وتوعّد ؟

وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزالا ! !

ومشكلة ( طه حسين ) أنه رجل ملأ الدنيا وشغل الناس ، واستفاض صيته وطارت شهرته في كل الأقطار ، وما علم الناس سببا لهذه الشهرة المتفيضة والصيت الذائع ! ولكنهم اقتنعوا ، فجأة وبزعمهم ، بأن هذا الرجل مشهور وما دام مشهورا فلابد أنه شخصية عظيمة . وهكذا ظلوا مع الآخرين يكذبون ويكذبون حتى صدّق الجميع أنفسهم ! ! !

لماذا برز « طه حسين » وفرض شخصيته على الناس سنين طويلة ؟

هـل بسبب موقفه المعادى للفكرة الإسلامية ؟

هـل بسبب نشاطه الحزبي ومغامراته السياسية ؟

هـل بسبب كتبه الهزيلة ، وشخصيته المنافقة ؟

هـل بسبب ارتمائه الذليل في أحضان المستشرقين ، وترديده لأباطيلهم ؟

هـل بسبب منهجه العلمى الزائف المستعار ؟

هـل بسبب كراهيته للعرب وتهوينه الدائم من شأن دينهم وحضارتهم ؟

هـل بسبب اتجاهه إلى الإباحية والأدب المكشوف ؟

مـرة أخرى :

لماذا استفاضت شهرة طه حسين ؟ لماذا ارتفعت منزلته لدى الباحثين عن صنم يعبدونه من دون الله ؟ يالله للمسلمين !

متى يكف الناس عن إحاطة بعضهم بعضا بأوصاف القداسة ، وهالات العظمة ، وهم يعلمون أن العظمة والقداسة لله وحـده ؟

متى يكف الناس عن كيل عبارات المديح والاطراء لمن يزعمونهم خطأ قد بلغوا قمة العلم أو الحكمة أو البراعة في دنيا المظاهر البراقة والألقاب الخادعة ( كأنهم إلى نُصُب يوفضون ) . وصدق الله العظيم : ( وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ) .

فلنسر في دروب البحث المتأني وراء هذا الشبح الغامض ، عسانا أن نهتدى بفضل الله تعالى في الوقوف على سرّ هذه الظاهرة العجيبة ظاهرة البرق الذى يلمع في ظلام دامس فزاده غبرة ترهقها قترة .

**أولا – عداؤه للفكرة الاسلامية :**

إن كل من يراجع كتابات طه حسين ابتداءً من كتابه ( في الشعر الجاهلى ) إلى آخر ما أملى – يروعه جرأة هذا الرجل على شريعة الله وأحكامه السامية ، حتى ليخيل إليه أن الرجل قد حمل بكلتا يديه معولا مسنونا يهدم به كل بنيان إسلامى ، وقد لبس في كل مرة قناعا يتخفى من ورائه وهو يقوم بعمله الموبوء في همة دائمة لا تعرف الكلال .

(١) فهو قد تعمد إحياء الدعوة المنهارة بفصل دراسة الأدب العربي عن الفكرة الإسلامية . ووصف هذه العملية الخبيثة بوصف مثير وخطير كعادته في كل عملية هدم يقوم بها : فقال إنها ( تحرير الأدب العربي من إطاره الإسلامى ) . ورفع عقيرته قائلا « أنا أريد أن أدرس تاريخ الأدب في « حرية وشرف » كما يدرس صاحب العلم الطبيعى علم الحياة والنبات ! ! » وزعم أن ربط الأدب بالإطار الاسلامى فيه إيحاء بالدعوة إلى الاسلام والتبشير به ! ! !

ومن عجب أن ينزلق صاحب « الوعد الحق » و « على هامش السيرة » إلى هذا المنزلق الخطير ! !

ولئن كانت الدعوة الإسلامية وما زالت والحمد لله – في غنى عن أمثاله من القردة المقلدين ، الذين جعلوا ظهورهم قنطرة عبور لأفكار المستشرقين من كل حدب وصوب – فإنا نقول لكل من يحاول إحياء هذه الشبهة التى نعتبرها بحق كالجنين الذى ولد ميتا :

– وهل الاسلام إلا منهج كامل للحياة ، والأدب جزء منها ؟ فكيف لا يدخل الأدب في الإطار العام للقيم الاسلامية النبيلة التى تسكن من قلوبنا في السويداء ؟

– إذا كان العلم الطبيعى كعلم الحياة والنبات يملك سلاحاً قويا للتمحيص والتجريب هو التجربة العلمية التى يمكن التحكم فيها ، والاحتكام إليها فما المرجع الذى يمكن اللجوء إليه لتصحيح القيم ، وتهذيب السلوك ، وترقية المشاعر – إذا لم نرجع إلى شريعة الله.. رب كل شئ ومليكه؟ ( ألا يعلم من خلق ، وهو اللطيف الخبير ) ؟

– يقول علماء النفس : لابد لأى سلوك من دوافع . .

– فإذا كان الأمر المتعارف عليه أن يدرس الأدب في ظل القيم والمبادئ السائدة في كل عصر وبيئة باعتبارها ( الاطار المرجعى له From of Reference ) ، وإذا كان

الأدب العربي يدرس في بيئة إسلامية فما الدوافع الخفية وراء السلوك الطارئ المستنكر لدراسة الأدب العربي مقرونا بمبادئ الاسلام ؟

- ثم من ذا الذى يزعم ان دراسة الماديات في علم الحياة والنبات — يمكن أن تقارن بدراسة المعنويات من القيم والفضائل والأنسانيات ؟ ؟

أخيرا يعلق المستشرق كامبفاير قائلا ( إن المحاولة الجريئة التى قام بها طه حسين ومن يشايعه في الرأى ، لتخليص دراسة العربية من شباك العلوم الدينية — هى حركة لا يمكن تحديد آثارها على مستقبل الإسلام ) (٢) .

**(ب) دعوته الى الجاهلية الفرعونية :**

ويتمثل ذلك في إصراره على وضع شعار فرعوني للجامعة المصرية حين كان مديراً لها .

وفي ادعائه المتكرر : ان مصر فرعونية وأنها تابعة لليونان في الفكر ، وتابعة لمنطقة البحر المتوسط والغرب في السياسة ، واقرب ما تكون إلى الروح الفرعونية في الثقافة والحضارة ! ! ! وقد أرسل إليه الاستاذ توفيق الفكيكى برقية من العراق تقول :

« إن شعاركم الفرعوني سيكسبكم الشنار ، وستبقى أرض الكنانة وطن الإسلام والعروبة ، برغم الفرعونية المندحرة ! ! » .

ماذا — أيضا — يستهدف طه حسين من هذه الدعوة السخيفة إلى جاهلية الفراعنة ؟ كيف يدعو مفكر إسلامى إلى العودة الانتكاسية إلى جاهلية الاوثان وبدائية التصور وفطرية السلوك وخرافة المعتقدات ؟

وماذا يبتغى من جذبهم إلى الفرعونية الهالكة إلا سلخهم من الانتماء إلى أمة الإسلام ودين الإسلام ونبى الإسلام ؟

في أيام هذا المفكر الفرعوني — ردّ عليه الدكتور زكى مبارك قائلا :

« إنك تعرف أن مصر ظلت ثلاثة عشر قرنا ، وهى مؤمنة بالعقيدة الإسلامية ، والأمة التى تقضى ثلاثة عشر قرنا في ظل دين واحد — لا تستطيع أن تفرّ من سيطرة هذا الدين» (٣)

ومعلوم ما يثبته المؤرخون من «الانقطاع الحضارى » الذى أحدثه الإسلام في نفوس المصريين ، حين نفضوا أنفسهم تماما من التراث الفرعوني واليوناني والروماني ، وتركوا هذه الحضارات

**(٢) انظر ص ١٧٨ من كتـــاب(طه حسين في ميزان الاسلام) دونتحديد المصدر الذى نقل عنه المؤلف**
**(٣) انور الجندى : طه حسيـنفي ميزان الاســلام ص ١٧٨ دونذكر المصدر .**

تذوب وتضمحل ، وآمـــنوا بالإسلام وتشربوا في معاملاتهم ولغتهم وسلوكهم ولم تكن لهم ثقافة خاصة منفصلة عن الثقافة الإسلامية الأصيلة .

ورغم أن هذه الفكرة الساقطة — فكرة الانسحاب من العقيدة القوية المسيطرة ، إلى أوهام القرون البدائية المنقرضة — لم يتقبلها المصريون أنفسهم ، ولم يكن لها من بينهم دعاة يعتد بهم ، فإنه من الواضح أن كثيرا من المستشرقين يحتضنونها في حدب شديد ، ويعتبرونها ركيزة أساسية في محاولاتهم المستمرة والمتكررة لهدم الإسلام .

ونحن هنا نلفت الانظار بقوة: إلى أن كل دعوة قومية لإحياء العنصرية العرقية إنما هى دعوة مشبوهة ، لأنها ضد الدين في المبدأ والأساس .

**(ج) ادعاؤه الكاذب أن الدين « ظاهـــــرة اجتماعية » :**

ارتأى طه حسين ، والحقد حشو فمه ، أو قل : إنه نقل نقلا حرفيا عن أستاذه اليهودى « إميل دوركايم » ذلك الرأى الخطير الكافر ، الذى يطيح بكل تراث طه حسين وشخصيته وتاريخه :

( إن العالم « الحقيقى » (!!) ينظر إلى الدين كما ينظر إلى اللغة ، وكما ينظر إلى الفقه ، وكما ينظر إلى اللباس . . من حيث إن هذه الأشياء كلها « ظواهر اجتماعية » يحدثها وجود الجماعة . وإذن نصل إلى أن « الدين في نظر العلم » لم ينزل من السماء (٤) ، ولم يهبط به الوحى ، وإنما خرج من الأرض كما خرجت الجماعة نفسها . . ) (٥) .
إذن فطه حسين ، هذا المنبع الكدر لتيارات الإلحاد والتشكيك ، هو السبب في ذيوع هذه الفكرة السامة التى روّجتها ألسنة الأغرار من الناشئة وأدعياء الثقافة والفلسفة ، ونشرتها أقلام الكتاب من كل مسلوبي الشخصية وضعاف العقيدة في هذا العصر ، الذين روّجوا أن الدين ظاهرة اجتماعية ! ! ظاهرة اجتماعية تصدر عن الجماعة ، وتتطور معها ، وليست بوحى سماوى من الله تعالى . وطه حسين أيضا ، وقد ازداد بغيا وعتوا ، وإفسادا في الارض ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله فقد رتّب على هذه النظرة المتحدية للدين — ما يلى : —

(١) « أن الدين يجب أن يُعلّم فقط كجزء (٦) من التاريخ القومى ، لا

(٤) تعالي الله عما يقولون علواكبيرا .
(٥) لم يذكر المؤلف مصدر هذهالعبارة مع الاسف .
(٦) الصواب : باعتباره جـزءا«لان الشيء لايشبه بنفسه» وهـوخطا نحوى فاضح لعميـــد الادب

كدين إلاهى منزل لإصلاح أحوال البشر » . ويرى : « ان القوانين الدينية لم تعد تصلح في الحضارة الحديثة كأساس للأخلاق والأحكام ، ولذلك لا يجوز أن يبقى الإسلام في صميم الحياة السياسية أو كمنطلق لتجديد الأمة » ويرى : « أن الأمة تتجدد بمعزل عن الدين »(٧)

وما من شك هنا — أن هذا الملحد الجرئ إنما يعرض للإسلام من منظور المسيحية ، ويجهل أو على الأصح يتجاهل بخبث شديد : الفرق الهائل بين الإسلام والمسيحية . فبينما المسيحية تعطى ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله ، فالإسلام يتناول الحياة كلها بتشريع كامل لا ينفصل فيه دين عن دنيا ( إلا في أذهان العباقرة أمثال عميد الأدب الراحل ) . . . وصدق الله مولانا في كتابه الكريم ( قل إن صلاتي ونسكى ومحياى ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين )(٨)

(٢) أن النص المثبت في الدستور المصرى بأن الإسلام دين الدولة ، لا ضرورة له . ويقول ( لم أكن في اللجنة التى وضعت الدستور القديم ، ولم أكن بين الذين وضعوا الدستور الجديد ولم يستشرني أولئك ولا هؤلاء هذا النص والذى اشتمل عليه الدستور والذى (٩) يعلن أن للدولة المصرية دينا رسميا هو الاسلام . . ولو استشارني أولئك أو هؤلاء لطلبت إليهم أن يتدبروا ويتفكروا قبل أن يضعوا هذا النص في الدستور ! ! ! ) (١٠) .

**(د) تهوينه من شأن العرب والحضارة العربية الاسلامية ..**

لكأنما أصيب صاحبنا بحمى قاتلة . . جعلته ينتفض حنقا على العرب وكل وكل ما يمت إليهم بصلة . . ونتساءل مع الأستاذ أنور الجندى : ( هل يمكن أن يكون مثل هذا الكاتب عميدا للأدب العربي الذى يزدريه ويتعقبه ؟ أو قائدا لأمة هو منكر لمفاهيمها لا يدين لها بولاء . . ؟ ) (١١) .

في اعتقاده — عفى الله عنه — أن العرب ليسوا إلا وسطاء بين الأمم والحضارات . وأن الدور الذى قاموا به هو الدور الذى قام به من سبقهم من شعوب البحر المتوسط كالفينيقيين واليونان والرومان . ويريد

---

**(٧) راجع الفكرة كلها في كتابه(مستقبل الثقافة في مصر) .**
**(٨) سورة الانعام (١٦٢ ، ١٦٣)**
**(٩) الصواب : الذى . فالواوهنا لاضرورة لهـا ، لان الشيءلايعطف علي نفسه . ومعذرة عن التطاول علي مقام عميد الاديباصلاح أخطائه اللغوية .**
**(١٠) صحيفة كوكب الشرق المصرية (١٢ ـ اغسطس ١٩٣٣م)**
**(١١) انظر خاتمة الكتاب موضوعبحثنا .**

أن يتجه سكان المنطقة إلى الغرب لمواجهة الوحدة الإسلامية ! وسكان مصر إلى البحر المتوسط لمواجهة فكرة العروبة ! !
ويدعى أن الفتح العربي الاسلامى لم يكن الا ضربا من الاستعمار الذى خضع له المصريون كما خضعوا للفرس والرومان وغيرهم .

ومن الواضح أنه في كل ذلك يسقط الأثر الدينى من حسابه في كل ما يقول .

ادعى أن العرب لم يكن لهم « نثر فنى » . وأنهم لم يجيدوا الانشاء إلا بعد اتصالهم بالفرس ، وأن أول كاتب في اللغة العربية هو ابن المقفع الفارس الأصل . وكل هذا الشر قد نقله من شرير آخر هو « المسيو مرسيه » الذى كتبه في المجلة الافريقية التى تصدر بالفرنسية في الجزائر .

هاجم العلامة العبقرى ( ابن خلدون ) في رسالته التى تقدم بها إلى السربون ، إرضاء لاستاذه اليهودى ( دوركايم ) الذى كان رئيسا للجنة الدكتوراه ، وانتقد علم الرجل وقدره ، ووصف جهاد المغاربة ضد الفرنسيين بأنه ( معارضة للتمدن) . ؟

## رأيه فى القرآن الكريم

معاذ الله أن يكون لبشر ما ، كائنا من كان ، رأى في القرآن الكريم المعجز الذى يعلو ولا يُعلى عليه . فالقرآن ليس من كلام البشر ، ولا ينبغى أن تحكم فيه أهواء البشر . قل أنزله الذى يعلم السرّ في السموات والأرض .

ولكن هكذا تقتضينا أمانة العلم أن نكشف على الملأ ، مطاعن تلميذ المستشرقين النشيط طه حسين ، في الترويج والدعاية لمبادئ أساتذته في ( السربون ) وفي ( الكوليج دى فرانس ) أولئك الذين اتخذوا من التظاهر بدراسة الإسلام تكأة للطعن فيه ، حسدا من عند أنفسهم ، من بعد ما تبين لهم الحق .

- ١ -

أول هذه المطاعن (١٢) يهوى بصاحبه إلى هوة الكفر الصريح والعياذ بالله .
وهذا نص عبارته ( للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم واسماعيل . وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا . ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفى لإثبات وجودهما التاريخى ؛

**(١٢) ارجو ان يتنبه ابناء كلية القران الكريم في الجامعة الاسلاميه بخاصة - الي هذه المطاعن والشبه وان يتعقبوها في مظانها ليقضوا عليها ، لانها شبه ومطاعن لاتموت بموت صاحبها - ولكنها تتجدد كلما استشرى نشاط المبشرين الهدام ، او كلما نعق ناعق من ارباب الفتنة فى الصحافة المأجورة او عبر الاذاعات السامة .**

فضلا عن إثبات هذه القضية التى تحدثنا بهجرة اسماعيل بن إبراهيم إلى مكة ، ونشأة العرب المستعربين فيها . ونحن مضطرون إلى أن نرى في هذه القصة نوعا من الحيلة في إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة — وبين الإسلام واليهود والقرآن والتوراة من جهة أخرى ) (١٣) .

هكذا يفجر طه حسين قذيفة الكفر الرهيبة المدمرة هذه دون أن يبالى أى قدر من الخسائر تسببه لضمير الأمة المسلمة وإحساسها المرهف نحو دينها وعقيدتها . . ! تكذيب صريح للقرآن الكريم ، وادعاء فاجر بأنه ليس مصدرا تاريخيا موثوقا به ( ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ) .

والغريب أن هذا الكفر كان يراد له أن يدرس في كلية الآداب بالجامعة المصرية ! لولا أن أراد الله أن تموت الفتنة في مهدها ويفصل رأس الكفر من الجامعة .

## - ٢ -

في مؤتمر المستشرقين السابع عشر بجامعة أكسفورد ( سبتمبر ١٩٢٨ م ) ألقى طه حسين بحثا عنوانه ( استخدام ضمير الغائب في القرآن )

وقد أرتأى فيه : أن تأويل ضمير الغائب في معظم آيات القرآن باسم الاشارة — فيه حلّ لمشكلة عدم المطابقة بين الضمير وما يرجع إليه . وزعم أنه بهذا الرأى يصحح ما يراه بعض المستشرقين من أن في القرآن خطأ نحويا — حاشا لله — إذ يرون الضمير قد رجع إلى متأخر ، أو رجع إلى محذوف مفسّر بما يدل عليه من بعض الوجوه . وقد وصف الرافعى رحمه الله طريقة استبدال اسم الإشارة بضمير الغائب بأنها « بيع الذهب بالملح » ! إشارة إلى أن رأى طه حسين الذى نقله عن أسياده المستشرقين بلا فهم وبلا علم إنما هو رأى ساقط بليد تافه ، لا تقاس قيمته إلا بقيمة الملح إذا قورن بالذهب في نفاسته .

ويعقب الرافعى قائلا : ( وكأنه أخذ تلك القاعدة من ذلك الكتاب الذى عثر به في خرائب روما ، فرآه مكتوبا قبل الإسلام بمائة سنة ، وفيه آراء في الشعر الجاهلى ، وفيه قواعد نحوية ضابطة محكمة لا يشذ عنها إلا شاذ ،

---

(١٣) طه حسين : في الشعـــرالجاهلي ص ٢٦ · وقد اثار هذاالكتاب سخط جميع افراد الامـــة علي مؤلفه ، وطرد بسببه مـــنالجامعة ، وما اغني عنه شيئـــاان عاد فاعترف بانه مؤمن باللـــه ورسوله وملائكته وكتبه واليـــومالاخر ، لانه ايمان علي طريقـــةفرعون ، ولذا رد عليه الشيـــخ الازهرى (عبد ربه مفتاح) بمقـــالعنوانه : الان وقد عصيت قبـل ؟؟(انظر صحيفة الاهرام القاهريـــة الصادرة في ١٢ مايو ١٩٢٦م

ولا يختلف عليها إلا ما كان خطأ . وفيه أشياء وآراء يقال أن الدكتور طه — لا يردّه عن نشرها إلا أنه يطمع أن يجد تحقيقها في كتاب آخر يعثر به في خرائب أثينا ! ! ) (١٤) . وهو يشير بذلك إلى ولع الدكتور بالثقافة اليونانية وإغراقه في حب الإغريق ، وحبِّه لهم حبا ملك عليه قلبه حتى نهاية حياته !

ويكاد المريب يقول خذوني :

امتنع الدكتور عن نشر بحثه هذا في اللغة العربية ، حتى حصلت عليه صحيفة الأهرام فنشرته مترجما ، وانكشفت أباطيل الدكتور وفضحه الله على رءوس الأشهاد !

- ٣ -

زعم طه حسين ان القراءات السبع المجمع عليها لدى العلماء — لم تنزل من عند الله ، وأن العرب كما قرأتها حسبما استطاعت قراءتها — لا كما أوحى الله بها إلى نبيه صلى الله عليه وسلم .

وهو بذلك البهتان ينكر أنها مروية عن الله تعالى كما جاءت على لسان الرسول الكريم — صلى الله عليه وسلم — متجاهلا الآثـار المتواترة والصحيحة التى وردت بهذا الصدد في كتب السنة المعتمدة .

كان يرى أن هناك قرآنا مكيا وقرآنا مدنيا القرآن المكى يتميز بالبعد (١٥) عن المناقشة والخلو من المنطق ( كذا ) ! والقرآن المدني يناقش الخصوم بالحجة الهادئة . .

والمؤسف ليس هذا الكلام الغث وحده ، وإنما المؤسف بالدرجة الأولى هو ما يدل عليه : من أن هذا الملحد المجاهر بإلحاده يعتقد أن القرآن الكريم هو من وضع النبى صلى الله عليه وسلم ! ! ! فهل هناك ما هو أصرح من هذا في باب الكفر ؟ وليس كلامه هذا صادرا عن استقراء لما يزعمه قرآنا مكيا ومدنيا .

فالدراسة المتعمقة للقرآن تبين أن الآيات المكية مليئة بأقوى البراهين وأقمعها للملحدين الجاحدين . وكثيرا ما حاجّ الله سبحانه كفار مكة وقارعهم الدليل تلو الدليل وتحداهم المرة بعد المرة فأعلنوا عجزهم وتسليمهم ودخلوا في دين الله أفواجا .

---

**(١٤) صحيفة كوكب الشـرق(٢٧ـ١١ـ١٩٢٨م) وقد نشر البحث المذكور في عدد هذه الصحيفـة الصادرة بتاريخ (١٥ من اكتوبرعام ١٩٢٨م) ونشرته الاهـرام القاهرية ايضا كما ستاتي الاشارة الي ذلك .**

**(١٥) يستخدم الدكتور كلمـة(الهروب من المناقشة) ليبرهن علي بعده عن التادب مع كتاب اللـه تعالي . فيا حسرتنا علي العباد الذين يتخذون من التخريف امارة علي جودة التاليف ، ويسمونـه كذبا وبهتانا : عميد الادب ..**

اما ما يزعمه قرآنا مدنيا ، ويزعم أنه ملئ بالتشريعات والأحكام ومبادئ الأخلاق . . الخ . الخ فإنه يرد ذلك كله — قاتله الله — إلى احتكاك المسلمين بيهود المدينة ، الخ ما قاله مما يملأ النفس ألما ووجدا على هذا الآدمى الذى ابتلى به المسلمون حينا من الدهر ، ولا زالت سمومه تتسرب على أيدى أشياعه ممن وردوا ورده ، وشربوا من المستنقع الذى كرّع منه حتى غصّ بريقه . . !

- ٥ -

زعم أن عدم وضع النقط على الحروف القرآنية في بدء تدوينه قد أدّى إلى حدوث اختلاف في نطقه ، فهناك كلمات تنطق هكذا : فتبينوا ، فتثبتوا . . الخ

والحق الذى لا مراء من حوله ، مهما أرجف المرجفون ، أن القرآن مكلوء برعاية الله إلى أبد الآبدين ودهر الداهرين وذلك بنص قول الحق سبحانه وتعالى : ( إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ) .

وقد أحاط الكثيرون من الدارسين لعلوم القرآن بالكثير مما يتعلق بهذه الأمور ، وما قصد طه حسين بهذا الافتراء — إلا أن يكسر القداسة التى خص بها القرآن الكريم ، سيّما وهو يعلم أن القرآن يتميز عن التوراة والانجيل بأنه معجز بلفظه ، محفوظ في السطور والصدور بنصّه ، متعبد بتلاوته وهو كما قال ( جاك بيرك ) سقف اللغة العربية تقاس عليه ولا يقاس عليها ، فكيف يضعه هذا المخرّف موضع الشك والاختلاف ؟

- ٦ -

ادعى أن لفظة ( سورة ) مأخوذة من كلمة ( شورة ) العبرية ، بمعنى ( سلسلة ) وأثار الشك في لفظة ( قرآن ) هل هى عربية أو عبرية أو مأخوذة من لغات أخرى .

ورأى أن ( الكتاب ) غير ( القرآن ) ، وأن الكتاب كان موجودا قبل إنزال القرآن ، وأن القرآن صورة عربية منه . ( نعوذ بالله من ذلك ) .

هل سمع السامعون في تاريخ الكفر والنفاق بمثل هذا ؟

- ٧ -

ومن أخباره أنه كان يشجع تلاميذه في كلية الآداب على أن ينقدوا القرآن في جرأة : ينقدونه باعتباره كتابا أدبيا ! يمكن أن يقال فيه هذا كذا ، وهذا كذا . ويحاول أن يدرسه دراسة فنية ! !

فهل تسلح أولئك الطلاب بالأسلحة العلمية الكافية لدراسة القرآن ، فضلا عن « نقده » بأمر أستاذهم ؟

وهل يملك استاذهم نفسه ، مهما بلغ من علوم اللغة نحوها وصرفها وبلاغتها

وأدبها وفقهها ومتنها ، أن يمسّ القرآن بكلمة نقد واحدة ؟

وهل استطاع أساطين البلاغة وفرسان البيان من العرب الخلص - إلا أن يسلموا مقاليدهم أمام إعجاز القرآن الكريم وبلاغته - فماذا يبلغ هذا الدعيّ من الفقه بلغة الكتاب الكريم وأحكامه العظيمة ؟

« سبحانك ، هذا بهتان عظيم » .

## وقفة أمام تراث طه حسين

سنضرب الذكر صفحا عما أوردناه ، رغم فظاعته وهوله .

وسنلج مرة أخرى باب البحث في تراث طه حسين ، لعلنا قد ظلمنا الرجل وما أنصفناه : أن أثبتنا عداوته للدين ، وأغفلنا نتاجه في الأدب .

سنلج باب البحث في أدبه على طريقته هو : بأن نجرده من القيم الروحية التى كان معاديا لها . « ونحرره » - كما يقول من إطاره الإسلا مى !

تميزت كتابات طه حسين بما يلى :

**١ - المجافاة لروح البحث العلمى الصحيح**

من الواضح أنه لم يكن من الميسور له أن يستعين بأدوات البحث العلمى من هنا اكتفى بالنقد الأدبي الذى يقوم على الذوق ، والقصة التى تقوم على الخيال ، والاستعراض التاريخى والسياسى الذى يستطيعه كل من يمسك بالقلم كما يقول أنور الجندى ! وفي الجامعة المصرية يقول استاذه الشيخ محمد المهدى : إن رأس هذا الفتى كالقدر الفارغة تحتها النار تتلظى : فلا هو يشفق على القدر فيملؤها بما يقيها جور النار ، ولا هو يبقى على النار إلى أن يتسنى لها الانتفاع بها في الوقت المناسب ١٦ .

وفي الحقيقة ان استعراض النتاج النقدى لطه حسين ، يقفنا على حقيقة خطيرة ومؤسفة ، وهى أنه كان في نقده يسير على غير قواعد . كان يكتفى بما يسميه هو نقدا ذوقيا . ومتى كان النقد ذوقا مجردا بلا دراسة ؟

ومتى كان الذوق دستورا عاما يستوى فيه كل الناس ، حتى تكون الأحكام الصادرة على أساسه أحكاما نهائية وعامة ولها صفة الثبات والصدق ؟

هذا ما عابه عليه صديق عمره والمدافع عنه ضد الثائرين عليه : عباس العقاد : ( نرى الدكتور يقول مرة : ( إن أصول النقد الأدبي واحدة ، قد وضعها اليونان قديما وفرغوا منها ، وتلقاها منهم الانجليز كما تلقاها منهم الفرنسيون فهم لا يختلفون .

---

**(١٦) انور الجندى : طه حسينص ٨٦**

ثم اراه يقول بعد أشهر قليلة : إن النقد ليس له أصول مقررة عند الناقد ، فضلا عن الأمم الكبيرة والعصور الكثيرة ، وأن الناقـد يستحسن أو يستهجن ، والمرجع إلى ذوقه وحده في استحسانه أو استهجانه ! ) ١٧

وأخطر من هذا أن ينقلب ذوق الناقد إلى صكوك للغفران ، بحيث يعطى البركة لهذا وجواز العبور لذاك ، أو ينصب من نفسه حاكما عاماً في دولة الأدب ، يأمر وينهى ، ويكافئ ويضطهد ، ويقرب ويبعد . . ويميل في معظم أحكامه مع الهوى . وهذا هو أيضا ما فعله طه حسين . يقول اسماعيل أدهم :

( والدكتور طه في نقده للمؤلفات العصرية ، والأدباء والشعراء المعاصرين — يميل كثيرا مع هواه ، لأنه يعتبر النقد عملا أدبيا محضا . فيعمل على إظهار تذوقه ، وتتجلى شخصيته بأغراضها وأهوائها في نقداته ، ومن السهل أن تكتشف عواطف الدكتور وميوله بل أهواءه واغراضه من السهل تستكشف أنه متأثر بالحب في هذا الفصل وبالصداقة في هذا الفصل ، وبالبغض والحسد في ذياك الفصل . ومن هنا يرى الكثيرون أنه ليس بعالم ، ولا يستطيع أن يكون عالما ) ١٨

(١٧) المرجع ص ١٨٥
(١٨) المرجع ص ١٨٢

ولعل هذا الاتجاه القائم على الميل مع الهوى — هو الذى دفع طه حسين إلى أن يغير كثيرا من آرائه فجأة وبلا مقدمات ، ولذلك سنجده ينقض اليوم ما بناه بالأمس ، كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا . وما ينبغى للكاتب الذى يحترم نفسه وفكره وعقل القارئ له — أن يبدى أحكاما فجة لم تستقر في عقله ولم تنضج في تفكيره ! !

اتجاهه إلى الإباحية والأدب المكشوف :

إن الدعوة القوية المشبوهة ، التى اتجه بها طه حسين إلى فصل دراسة الأدب العربي عن الفكر الإسلامى ، وظل يلح إلحاحا عجيبا في الدعوة إليها لم يناد بها عبثا ، ولم يطالب بتطبيقها مطالبة ذاهبة في الهواء .

وإنما كانت هذه الدعوة ستارا فاجراً يخفى من ورائه عملياته الإباحية الداعرة ، التى تنطلق من مبدأ الحرية في التعبير الأدبي !

ويا أيتها الحرية . . ! كم من الفضائح في دنيانا ترتكب باسمك ! !

انطلق طه حسين باسم الحرية الفكرية يطالب بترك الأبناء على هواهم في طريق حياتهم ، واعطائهم ما يسمى بحق التربية الاستقلالية الحرة . . .

ودعا إلى مطالبة المرأة بالثورة على الرجل ، ومخالفتها له ، وخروجها على ولايته . . وتشجيع الفتاة على ممارسة جميع أنواع الحرية وتحطيم التقاليد الشرقية . . ( أى الآداب الاسلامية ) . .

ولاشك أنه ، بما استطاع أن يتشربه من عادات الغرب في فرنسا ، وبما اقتبسه من تقاليد الغرب منذ اقترن بزوجته الفرنسية في باريس ، وانجب منها ولده الذى أسماه اسماً فرنسيا هو « كلود » — لاشك أنه بذلك أقدر على تعليمنا كيف يكون التنكر للدين ، والتقاليد ، والقيم والفضائل الإسلامية .

ونحن نتساءل :

لمصلحة من ، يشيع الدكتور في دراسته للعصر العباسى ، أنه كله كان عصر شك وزندقة وفجور ومجون . ويتخذ من شعراء معينين ذوى ميول غزلية وجنسية أعلاما منشرة لهذا العصر كله ، مسقطا من حسابه كل الاتجاهات الدينية والحماسية والحكمية وأشعار البطولة وأبيات الزهد . . الخ ؟

لا غرو ان الناقد الذى يتخذ من كتاب الأغاني ونحوه مصادر رئيسية لنقده الذوقي وإنتاجه الأدبي — ويقضى جل أوقاته مع النتاج الرخيص لأبي نواس ، ومسلم بن الوليد ، ووالبة بن الحباب ، وأمثالهم من شعراء العبث — لا يتوقع منه إلا أن يطلق هذه الغثاثات التى لا تثبت للنقد ، ولا تستحق أن تناقش لأن زيفها واضح حتى للمبتدئين في دراسة الأدب : ١٩

وليس يصح في الأذهان شئ
إذا احتاج النهار إلى دليل

## اعتناقه مبدأ الشك الديكارتى

هل يمكن أن يصل الإنسان عن طريق الشك — إلى اليقين ؟

هذا هو السؤال الخطير الذى أجاب عنه طه حسين بالإيجاب . بل وجعل منه منهجا علميا ، التزمه في دراساته الأدبية ، وتعصب له تعصبا شديدا . والمهم أن نقرر كما قرر هو :

أن هذا المنهج لم يصطنعه من عند نفسه ، بل جارى فيه الفيلسوف الفرنسى « ديكارت » صاحب الكوجيتو » الفرنسى المشهور . .

( أنا أفكر ، فأنا موجود . .

**( Je pense, donc Je suis )**

وإذا تأملنا هذا المنهج بعمق ، ووقفنا

(١٩) ملأ طه حسين كتابه (حديث الاربعاء) ـ الذى كتبه علي غرار (احاديث الاثنين) للناقد الفرنسي (سانت بيف) مع الفارق الكبير بين الرجلين ـ باخبار المجان وشعراء الغزل واخبار المحبين وافرط في ذلك الي حد غير مقبول

عنده طويلا ، لوجدناه يتضمن عمليتين ذهنيتين ، إحداهما يقينية ، وهى النقض أو الهدم .

وثانيتها محتملة ، وهى البناء أو اليقين . فالمفكر الفرنسى يفرغ ذهنه تماما من أى فكرة معارضة أو مؤيدة لموضوع بحثه ، ثم يبدأ في محاولة البناء من جديد ، وهى عملية أشبه ما تكون بالولادة العسرة . فالهدم أسهل ما يكون بضربة معول ، بينما البناء يتطلب أدوات وخبرات عديدة ووقتا طويلا وعملا شاقا حتى يرتفع البناء مرة أخرى .

ثم إن هناك مدى محدودا يمكن أن يتحرك فيه هذا المبدأ الشكاك . أما إذا اقتربنا من المقدسات الدينية ، والنصوص الثابتة من الكتاب أو السنة . فأى منطق يجيز لمفكر أو باحث مهما علا كعبه في ميدانه — أن يستخدم مبدأ الشك الديكارتي كما يستخدم الجراح المشرط في تشريح النصوص وتمزيقها وتفريق وحدتها وهدم مضموناتها ؟ إن دون ذلك خرط القتاد ! .

لقد بلغ هوس الدكتور بتطبيق مبدأ الشك أن جرّبه في كل شئ . .

— في إنكار الشخصيات التاريخية ، حتى وإن اثبتها القرآن والتوراة والانجيل . كما فعل في انكار الوجود التاريخى لابراهيم واسماعيل عليهما السلام .

— في النسب الصحيح للشاعر المتنبى حين ادعى أنه لقيط !

— في الحقائق الثابتة . . حين أنكر عروبة مصر وساق الأباطيل التى يرددها المستشرقون لتأييد هذا الانكار

— في وجوب تعظيم النسب الشريف ، حين قال : فلا مر ما ، اقتنع الناس بأن النبى يجب أن يكون صفوة بنى هاشم ، وان يكون بنو هاشم صفوة بنى عبد مناف ، وأن يكون بنو عبد مناف صفوة بنى قصى ، وأن تكون قصىّ صفوة قريش ، وقريش صفوة مضر ، ومضر صفوة عدنان ، وعدنان صفوة العرب ، والعرب صفو الانسانية كلها (٢٠) !

— في انكار الشعر الجاهلى جملة وتفصيلا وهو ديوان العرب ، ومصدر ثقافتهم وموضع فخرهم وسجل انتصاراتهم ، وتاريخهم المنبئ بأحوالهم في سلمهم وحربهم ، في حلهم وترحالهم ، في غدوهم ورواحهم .

وفي معرض الرد على مذهب الشك الذى إنتهجه طه حسين — يقوالاستاذ

(٢٠) طه حسين : في الشعر الجاهلي ص ٧٢ .

الغمراوى : ( إن الغرب نجا من أن يحاول هدم تاريخه أو تاريخ لغاته هادم – عن طريق الشك غير العلمى : لسيادة الرأى العلمى فيه . . واستحواذ الروح العلمى على أهله . . أما الشرق ، فليس له مثل هذين السياجين يردّان عنه عادية هذا الباطل الذى يهاجمه باسم الحق ، ولا هذا الشك الذى يريد أن يداخله باسم العلم ، ولا هذا الهدم والتعطيل اللذيْن يكرّ عليه بهما نفر من أهله باسم التجديد ! ومهما يكن من موقف المؤرخين في الشرق أو في الغرب حيال مبدأ الشك المطلق – فان العلماء لا يأخذون به ، وان العلم لا يقرّه ولا يمكن أن يقره . . ) (٢١)

إن منهج الشك الذى اتخذ منه صاحبنا الشكاك هذا – معولا يهدم به التراث العربي والإسلامى ، وسلاحاً يحاول به تمزيق عقائد الأمة وأخلاقها – لا يصلح أن يكون طريقا علميا منهجيا يسلكه الباحثون عامة والباحثون المسلمون خاصة . .

وبحسب المرء منا أن يسأل نفسه :

هل يمكنه أن يشك لحظة واحدة فيما جاء في كتاب الله سبحانه – أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ؟

وهل يمكن أن يوصله الشك في الحقائق الثابتة الوطيدة – إلا إلى هوة الضياع الأبدى ؟

وهل استطاع أن يتوصل من شكه هذا – إلى الايمان ، سيما والكل يعلم أن طه حسين ظل يتاجر بتصريحاته الدينية وكتبه التى يزعمها إسلامية إلى آخر حياته ؟

إن الدعوة الإسلامية في غنى عن هذا كله .

إنّ قضية الإيمان لا يهزها ولا يؤثر فيها مدعو الايمان ، والمتاجرون بعقائد المسلمين ، ولكن الأمور يجب أن توضع في نصابها الصحيح ، فلينهض أسود الدعوة لينفوا أمثال هذا المأجور الراحل من صفوفهم : كما ينفى الكير خبث الحديد !

يقول الاستاذ العدوى ( كيف يقدس الحق – من يجد في الشك لذة ؟ أم كيف يطمئن للحقائق من يجد في القلق والاضطراب رضا ؟ إذا كان الشك يلذ للدكتور وأمثاله من المجددين ، والاضطراب تستريح إليه نفسه ، فكيف يستنتج مجهولا من معلوم ، وينتقل من مقدمات الى نتائج ، ومن مبادئ

---

**(٢١) محمد احمد الغمراوى : النقد التحليلي لكتاب الادب الجاهلي ص ١٣٢ .**

الى غايات ؟ — وهل إذا وضحت أمام الدكتور المقدمات وتجلت الحقائق ، يأمن أن تساوره شهوة الشك ، أو تملك عليه أمره لذة القلق والاضطراب ؟ (٢٢)

## ملاحظـــات حول منهج البحث الذى ارتضاه المؤلف

من المعروف جيدا لدى الباحثين (٢٣): أنه لا بحث بدون منهج ، ولا منهج بدون هدف . وهناك أساسيات لدى المشتغلين بالبحث العلمى ، وهى أشبه ما تكون بالدستور العام ، الذى يتضمن عددا من القواعد الكلية ، التى بدونها لا يمكن وضع البحث أيا كان صاحبه في دائرة البحوث العلمية المحترمة .

ونحن الآن بصـــدد المناقشة لبعض الجوانب التى أغفلها الباحث المخلص الأستاذ أنور الجندى ، رغم علو كعبه ورسوخ قدمه في الدراسات الأدبية والاسلامية بصفة عامة :

- ١ -

إن أكبر ما يعاب به الباحث ألاّ يحيل القارئ على المراجع المتخصصة التى استقى منها مادته العلمية . ومؤلفنا ينقل عن العقاد ما يقرب عن صفحة كاملة ( ص ١٨٤ ) من كتابه — دون أن يقول لنا من أين استقى كلام العقاد هذا ، لعل القارئ يبغى الاستزادة أو الرجوع الى الاصل المنقول عنه .

وينقل مثل هذا عن السيد / محب الدين الخطيب ( ص ١٨٥ ) دون ذكر المرجع ومثل هذا كثير في كتابه . إذ يقول مثلا ص ٢٠٢ ( وقد دمغه صديق عمره الاستاذ أحمد أمين بهذا التحول والتناقض حين قال في إحدى مقالاته . . ) والسؤال هنا : أين ، ومتى . . قال الأستاذ أحمد أمين ذلك ؟ ؟ .

- ٢ -

ومن المعروف أيضا في علم مناهج البحث ، وفي علم مصطلح الحديث ، أن عدم ذكر الراوى يضعف من صحة الرواية . ومن أجل هذا لا يمكن قبول مثل هذه العبارة التى أوردها المؤلف ص ١٨٦ :

( ويتفق هذا مع ما قاله بعض المقربين إليه : لا أدرى الزيات ، أم أحمد أمين أم غيرهما . . )

إذا كنت لا تدرى مصدر الخبر ،

---

(٢٢) انور الجندى : طه حسين ص ٢٠٩ .

(٢٣) يجب ان ينتبه الطـــلاب المشتغلون باعداد البحـوث فـــي الكليات الجامعية الي هذه الملاحظات لانها ضرورية لهم في اعـــداد بحوثهم ، وما من شك ان الطريقة المنهجية هي اهم ماينبغي ان ينتبـه اليه طلاب الجامعة بعامة ، وطلاب الدراسات العليا بخاصة .

فعلى أي أساس أوردته ؟ ومثل ذلك قوله ص ١٧١ :

( ويقول أحد الباحثين الأعلام . . ) أحد الباحثين الأعلام ، ولا ندرى من هو ؟ لماذا ؟ هل يخجل أن يصرح لنا بأسمه ؟ ؟

- ٣ -

ومما يخدش منهج الباحث : أن يذكر في صلب بحثه ما يجب ان يذكره في الحاشية . وهى مسألة يجب أن ينتبه إليها الباحثون أجمعهم ، لأن ذلك يوقع الباحث في بلبلة وحيرة ويعطل الانتفاع المرجو من البحث بالطريقة العلمية المفيدة . فهو يقول في الصفحة الثانية بعد المأتين :

- ٤ -

( كتب الدكتور زكى مبارك في ١١ نوفمبر ١٩٣٢ م في جريدة البلاغ تحت عنوان : الحديث ذو شجون .) والمفروض ان يذكر المرجع وصاحبه وتاريخه في هامش الصفحة كما هو المتبع لدى الباحثين .

يقتضى منهج البحث الصحيح أن يقسّم الكتاب من الناحية الموضوعية تقسيما في غاية الدقة ، بحيث يكون أشبه بالبناء الهندسى المتماسك ، الذى يرتبط بعضه ببعض في قوة وإحكام ، وذلك يقتضى ألا يكون فيه تكرار ، ولا يحدث في مادته العلمية تداخل ، ولكننا نجد المؤلف يكرر الكثير من العبارات في أجزاء مختلفة من الكتاب لأدني ملابسة ، وكان يكفى الاشارة إلى موضعها من الكتاب نفسه . وهذه أمثلة مكررة :

- اتهام طه حسين للمتنبى بأنه لقيط صفحات ٢١٣ ، ٢١٥
- مبالغة طه حسين في حديثه عن ديكارت ٢١٦ ، ١٨٩ ، ٢٠٨ .
- انكار الدكتور الوجود التاريخى لابراهيم واسماعيل عليهما السلام صفحات ٦ ، ٢٠٩ ، ٢٢٠ ، ٢٥٥
- تشكيكه في فضل النسب الشريف صفحات ١٧٥ ، ٢٢٠ .
- تقرير لجنة الازهر المشكلة لدراسة كتاب الشعر الجاهلى صفحات ١٧٦ . ٢٢١
- تقليد العقاد امارة الشعر ثم نكران ذلك صفحات ١٨٩ ، ٢٥٢ .
- رأى العقاد في طريقة البحث عند طه حسين صفحات ١٨٥ . ٢٠١ .
- رأى د. عمر فروخ في أسلوب الدكتور صفحات ٢٠١ ، ٢٠٧ .
- أقوال تكررت نسبتها إلى د. اسماعيل أدهم ، وفتحى غانم ، وعبد الحميد

السحار ، ومحمود مراد صفحات ١٩٨ ، ٢٥٨ .

- ٥ -

من المعروف جيدا لدى الباحثين أن كل باحث مسئول عن الآراء والعبارات التى ينقلها عن غيره . كما أن سكوته عنها معناه أنه موافق على ما جاء فيها من ناحية الشكل ومن ناحية المضمون كذلك .

وقد جرت العادة أن يعلق الباحث على ما ينقله من آراء لغيره ، وقد يكون هذا التعليق في صورة تصحيح لبعض المعلومات الواردة ، في النص المنقول ، أو اعتراض مصحوب بالدليل على أجزاء منه ، أو استكمال لنقص ورد فيه من الناحية العلمية أو الموضوعية البحتة ، أو تصحيح لبعض الأخطاء المطبعية أو الإملائية أو النحوية بالفقرة موضع الاستشهاد .

وقد نقل مؤلف الكتاب عددا من النصوص التى وجـدت فيها بعض الأخطاء ، وكانت الأمانة العلمية تقتضى تصويب هذه الأخطاء ، أو التعليق عليها بما يفيد إدراك المؤلف لموضع الخطأ فيها .

وهذه بعض الأمثلة التى أوردها مع الإشارة إلى موضعها من الكتاب ، وصواب ما رأيته صوابا :

- جاء بالكتاب ص ١٩٨ ( منسوبا إلى فتحى غانم ) :

هل طه حسين ملحد أم مؤمن .

وصوابها : ملحد أو مؤمن .

- وجاء منسوبا إلى طه حسين نفسه ص ٢٠٠ أنا كمسلم أعلن أني

وصوابها : أنا باعتبارى مسلما ( لأن الانسان لا يشبه بنفسه )

- ونقل عن الدكتور عبد الحميد سعد ص ٢٢٧ :

ومن يتبع حياته العلمية وجد . .

والصواب : ومن يتتبع حياته العلمية يجـد . .

- ونقـل عن اللواء شيت خطاب ص ١٧٣ :

إن الله يقول ( إنا انزلنا الذكر . . )
وصوابها : ( إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ) سورة الحجر : آية رقم ( ٩ ) .

- وكما نقل عن الاستاذ / عبد المنعم مراد ص ٢١٧
على هؤلاء النقاد الفضوليون
( وصوابها ) : على هؤلاء النقاد الفضوليين .

- وجاء منسوبا إلى طه حسين قوله ص ١١٦ :

كمـــا يقول الفرنسيين

والصواب : كمـــا يقول الفرنسيون

– وجاء منسوبا إلى « جريدة الشعب » ص ١٣٨ :

ليس حرب على الدين فقط . .

والصواب : ليس حرباً على الدين فقط

## عبارات مضيئة

من الطرق المهمة للاستفادة بما يقرأ :

تركيز الانتباه على عبارات بعينها ، وإعادة مطالعتها والتأمل كثيرا في مضمونها . ذلك لأن أمثال هذه العبارات يعد بمثابة « مفاتيح الإنارة العلمية » التى تكشف لك العديد من الاتجاهات ، وتنير لك الكثير من دروب الفكر ، وتكون في يدك بمثابة العلامات الهادية على طريق البحث العلمى .

ولقد أعجبنى من هذه العبارات ما يلى :

( إنه كما قال البعض : أنكر كثيرا ولم يثبت شيئا .

ونحن نعرف أن إثارة الشكوك ، وتركها معلقة دون إجابات صحيحة هو لبّ المنهج التلمودى الذى يسيطر الآن على الفكر الغربي الحديث ) ص ٢٠١

وجاء بالكتاب ، نسبة إلى د. زكى مبارك : ( إن الأستاذية في الأدب عبءٌ ثقيل لا ينهض به إلا الأقلون . وهى تفرض الاطلاع الشامل على خير ما أبدع العرب في خمسة عشر قرنا ، وهى تفرض البصر الثاقب بأصول الأساليب وهى تفرض العناء المطلق في التعرف على فحول الكتاب والخطباء والشعراء .) ص ٨٤ .

ويقول المؤلف ( إن التجارب العديدة أثبتت : أن الفنيين في التعليم لم يكونوا إلا قسسا أمثال دنلوب ، أو مستشرقون متصلون (٢٣) بالكنائس أو الاستعمار الغربي ، ولم يكن هناك الفنيون المتجردون من الهوى والغاية ، الذين يفهمون كيف يكون التعليم في بلد مسلم ، وليس عندهم إلا مناهج الارساليات وهى موجودة والحمد لله ! ! في مصر ، والعالم العربي بوفرة ، وقد نقلت مناهجها إلى المدارس الوطنية منذ قدوم دنلوب عام ١٨٨٦ م تقريبا ) ص ١٠٤ .

وجاء بالكتاب أيضا قول المؤلف :

( إن طه حسين قد تعلم فيما تعلم شيئا هاما (٢٤) جدا بعد التجارب المريرة :

ألا يهاجم الدين – بل يهاجم المؤسسات والأفـــراد .

---

(٢٣) كذا بالاصل ، والصواب : مستشرقين متصلين ..

(٢٤) الصواب : مهما ، ومـــن الافضل تغيير كلمة (خلق) الواردة في الفقرة نفسها .

فهو حين يهاجم الأزهر إنما يهاجم الاسلام من الداخل وذلك أسلوب كانت له آثار بعيدة في خلق جوّمن استهانة الناس بعلماء الإسلام ، والنظر إليهم على أنهم ليسوا أهلا لأن يقدّموا التوجيه للمسلمين . . ) ص ١٠٧

ونقول : هذا ما فعله طه حسين حين هاجم الازهر وطالب المسئولين بإلغائه وإلغاء المعاهد الدينية العلمية ، وتوحيد التعليم على أساس مدني بحت ، وجعل الازهر كلية لاهوتية فقط على النظام الأوربي ، فهل أغناه ذلك شيئا في قدومه على ربه سبحانه ؟ (٢٥) .

وبعـــد . .

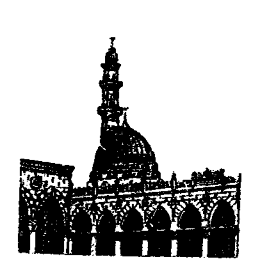
فإن هذا كتاب جدير بالقراءة لأن هناك آخرين يحملون راية طه حسين ويرددون نفس أقواله ، ( ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم )

فلتكن أعينكم مفتوحة على الخطر مهما كان مصدره ، ولتكن رءوسكم مرفوعة في وجه المنحرفين والمشككين مهما كان حجمهم ووزنهم .

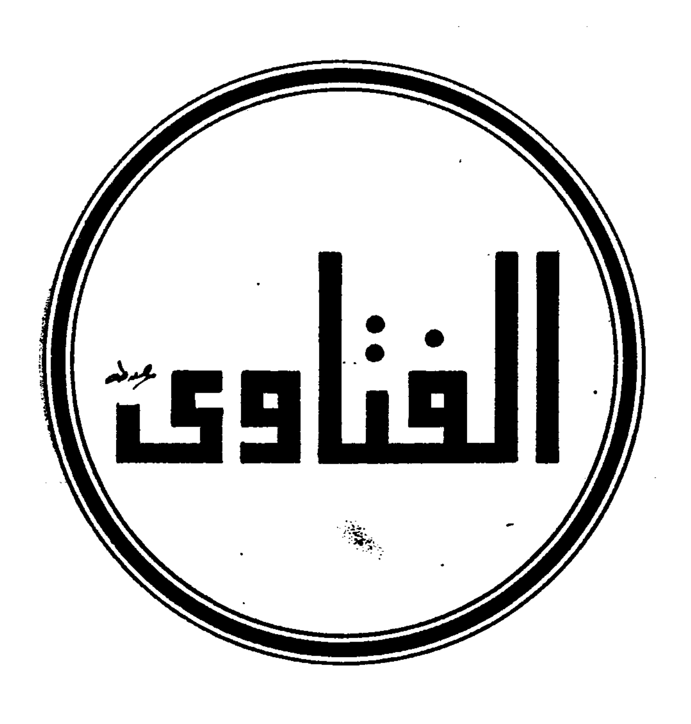
ولتكن عقولكم متفتحة على كل الثقافات لمعرفة الصحيح منها والفاسد ، ( ليميز الله الخبيث من الطيب ) .

وطوبي لمن عرف الحق فاتبعه ، وعرف الباطل فاقتلعه ، فإنما ينتصر الاسلام بجنود يتحدون الضلال فيصرعونه ولا يتركونه حتى يصرعهم .

ابراهيم محمد سرسيق
المدرس في كلية القرآن الكريم
والدراسات الاسلامية



(٢٥) راجع مقاله (الخطوة الثانية) صحيفة الجمهورية المصرية ٢١-١٠-١٩٥٥م وكانت الخطوة الاولي التي هلل لها وفرح بها هي الغاء المحاكم الشرعية


الفتاوى

# حكم التعقيم ... وقطع النسل

لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز

ماذا يقول علماء الاسلام وفقهاء الدين – في مسألة تحديد النسل والتعقيم البشرى وقطع عروق التناسل والرجولية لذلك برضى أو أكراه . هل يجوز في دين الله ؟ بينــوا أثابكم الله الجواب الشافي – على ضوء الكتاب والسنة ؟ فان علماء بلادنا الهند قد اختلفوا في هذه المسألة – فالبعض أحل والبعض حرم والبعض سكت – فنحن مسلموا الهند حيارى في هذه المسألة لا ندرى تمس ديننا أم لا ؟

وهل يعتبر هذا العمل أى عمل تحديد النسل التدخل في دين المسلمين وديانتهم أم لا ؟

وهل يجوز لأى حكومة تنادى بحرية الديانات وعدم التدخل في الشئون الدينية أن تقوم بتحديد النسل على قدم وساق وتجهد المسلمين في ذلك بارضاء أو اكراه ؟

بينوا ووضحوا أجزل البارى ثوابكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

السائل : أنوار احمد خان بن ميجر مهر محمد خان

الرئيس العام للحزب المسلم بنجاب

مالبركوئلة . ( بنجاب ) الهند

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده وعلى آله وصحبه :

أما بعد . . فمن المعلوم بالضرورة من دين الاسلام ان هذا العمل المذكور في السؤال منكر وظلم للشعوب بل ظلم للبشرية جمعاء ولا يجوز لأية دولة اسلامية أوغيرها أن تقوم بذلك لأن التعقيم للرجل أو النساء ظلم عظيم يترتب عليه

فساد كبير وعواقب وخيمة وهو مخالف للأدلة الشرعية من الكتاب والسنة ومخالف للفطرة التى فطر الله عليها العباد ومخالف لما تقتضيه العقول الصحيحة التى ينشد أربابها المصلحة العامة للبشرية واذا كان ذلك مع المسلمين ففيه من المضار العظيمة تقليل عددهم ضد عدوهم ومخالفة للاحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التى أرشد فيها الى الأخذ بأسباب كثرة النسل وقال انه مكاثر بأمته الأمم يوم القيامة وفي ذلك من الفساد أيضا تقليل من يعبد الله وحده ويدعو الى شرعه ويعين على أقامة العدل في الأرض وبالجمله فالتعقيم المذكور من اقبح الظلم وقد قال الله عز وجل في سورة الفرقان « ومن يظلم منكم نذقه عذاباً كبيرا » وقال النبى صلى الله عليه وسلم « اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة » والأدلة على تحريم هذا التعقيم وأنه من انواع الظلم المحرم فعله من الكتاب والسنة كثيرة جداء فنسأل الله أن يهدى من فعل هذا الفعل المنكر الى الرجوع الى الصواب . وان يوفق المسلمين في كل مكان لما فيه عزهم وجمع كلمتهم على الحق ونصرهم على من خالف أمر ربهم انه سميع قريب وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

الرئيس العام

لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد

عبد العزيز بن عبد الله بن بـــاز



# أخبار الجامعة

- يعقد المجلس الأعلى للجامعة دورته الرابعة برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء والرئيس الأعلى للجامعة وذلك يوم السبت السادس عشر من شهر رجب المقبل بمشيئة الله وسيدرس المجلس موضوعات مهمة منها اللائحة التنفيذية للجامعة .

- تبدأ امتحانات الدور الأول في قسم الدراسات العليا وفي الكليات والمعاهد التابعة للجامعة يوم السبت ٢٤ / ٦ / ١٣٩٧ هـ

- ستقيم الجامعة حفلا لتوزيع الشهادات على خريجى الدفعة الثالثة عشرة في السادس عشر من شهر رجب ويشرف الحفل صاحب السمو الملكى الأمير فهد بن عبد العزيز ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء والرئيس الأعلى للجامعة .

الف منحة دراسية توزعها الجامعة لعام ١٣٩٨,٩٧هـ خصصت الجامعة لأبناءالعالم ألف منحة دراسية في الجامعة لعام ١٣٩٨/٩٧ هـ موزعة على أكثر من مائة قطر وفقا لما يلى : —

جدول توزيع المنح الدراسية لعام

١٣٩٨/٩٧ هـ وعددها ١٠٠٠ منحة

| الرقم | البلد | العدد |
|---|---|---|
| ١ | الامارات العربية ... ... ... ... ... ... | ٢٥ |
| ٢ | اثيوبيا ... ... ... ... ... ... ... | ٢٥ |
| ٣ | الاردن ... ... ... ... ... ... ... | ١٥ |
| ٤ | اريتريا ... ... ... ... ... ... ... | ٢٠ |
| ٥ | اسبانيا ... ... ... ... ... ... ... | ٢ |

تابع جدول توزيع المنح الدراسية لعام ٩٧ ١٣٩٨ هـ
وعـــددها ١٠٠٠ منحـــة

| الرقم | البلـــد | العـــد د |
|---|---|---|
| ٦ | استراليا ... ... ... ... ... ... ... | ٣ |
| ٧ | افريقيا الوسطى ... ... ... ... ... ... | ٥ |
| ٨ | افغانستان ... ... ... ... ... ... ... | ١٢ |
| ٩ | المـــانيا ... ... ... ... ... ... ... | ٥ |
| ١٠ | اندونيسيا ... ... ... ... ... ... ... | ٥٠ |
| ١١ | أنجولا ... ... ... ... ... ... ... ... | ٢ |
| ١٢ | ايـــران ... ... ... ... ... ... ... | ١٥ |
| ١٣ | باريدوس ... ... ... ... ... ... ... | ٤ |
| ١٤ | باكستان ... ... ... ... ... ... ... | ٣٠ |
| ١٥ | بانجلاديش ... ... ... ... ... ... ... | ٣٠ |
| ١٦ | البحـــرين ... ... ... ... ... ... ... | ٧ |
| ١٧ | البرازيـــل ... ... ... ... ... ... ... | ٤ |
| ١٨ | بـــروني ... ... ... ... ... ... ... | ٢ |
| ١٩ | بريطـــانيا ... ... ... ... ... ... ... | ٥ |
| ٢٠ | بلجيـــكا ... ... ... ... ... ... ... | ٤ |
| ٢١ | بورمـــه ... ... ... ... ... ... ... | ٦ |
| ٢٢ | بورنـــدى ... ... ... ... ... ... ... | ٤ |
| ٢٣ | تايلنـــد ... ... ... ... ... ... ... | ٢٠ |
| ٢٤ | تنزانيـــا ... ... ... ... ... ... ... | ٦ |
| ٢٥ | تركستان ... ... ... ... ... ... ... | ٦ |
| ٢٦ | تركيـــا ... ... ... ... ... ... ... | ٢٠ |

تابع جدول توزيع المنح الدراسية لعام

٩٧ / ١٣٩٨ هـ وعددها ١٠٠٠ منحة

| الرقم | البلد | العدد |
| --- | --- | --- |
| ٢٧ | ترنداد | ٥ |
| ٢٨ | تشاد | ١٥ |
| ٢٩ | توجو | ٦ |
| ٣٠ | تونس | ٨ |
| ٣١ | جابون | ٣ |
| ٣٢ | الجزائر | ١٠ |
| ٣٣ | جزائر القمر | ١٢ |
| ٣٤ | جزر فيجي | ٥ |
| ٣٥ | الجنوب العربي | ١٢ |
| ٣٦ | جنوب افريقيا | ٦ |
| ٣٧ | جيبوتي | ٤ |
| ٣٨ | الدنمرك | ٢ |
| ٣٩ | داهومي | ١٠ |
| ٤٠ | روندى | ٥ |
| ٤١ | روديسيه | ٤ |
| ٤٢ | زامبيا | ٣ |
| ٤٣ | زائير | ٥ |
| ٤٤ | ساحل العاج | ١٥ |
| ٤٥ | السنغال | ١٥ |
| ٤٦ | سنغافوره | ٥ |
| ٤٧ | السودان | ٢٠ |
| ٤٨ | سوريا | ١٢ |
| ٤٩ | السويد | ٢ |

تابع جدول توزيع المنح الدراسية لعـام
٩٧ / ١٣٩٨ هـ وعددها ١٠٠٠ منحـة

| الرقـم | البلـد | العـدد |
|---|---|---|
| ٥٠ | سيراليـون | ٨ |
| ٥١ | سـيلان | ٨ |
| ٥٢ | الصـومال | ١٥ |
| ٥٣ | الصومال الفرنسى | ٢ |
| ٥٤ | الصين الوطنية | ٤ |
| ٥٥ | العـراق | ١٢ |
| ٥٦ | عمـان | ٦ |
| ٥٧ | غانـا | ١٥ |
| ٥٨ | غامبـيا | ٥ |
| ٥٩ | غيانة الامريكية | ٥ |
| ٦٠ | غينيه بيساو | ٥ |
| ٦١ | غينيه كونكرى | ٥ |
| ٦٢ | فرنسـه | ٢ |
| ٦٣ | الفلبـين | ١٥ |
| ٦٤ | فولتا العليا | ١٠ |
| ٦٥ | فلسطـين | ١٥ |
| ٦٦ | فيتنام الجنوبيـة | ٣ |
| ٦٧ | قـبرص | ٢ |
| ٦٨ | قطـر | ٦ |
| ٦٩ | كشمير الحرة | ٦ |
| ٧٠ | كمبوديـا | ٢ |
| ٧١ | الكميرون | ٨ |
| ٧٢ | الكنغوبرازفيل | ٥ |

| الرقم | البلد | العدد |
| --- | --- | --- |
| ٧٣ | كنـــدا ... ... ... ... ... ... | ٣ |
| ٧٤ | كوريا الجنوبية ... ... ... ... ... | ٥ |
| ٧٥ | الكـــويت ... ... ... ... ... ... | ٧ |
| ٧٦ | كينـــيا ... ... ... ... ... ... | ١٠ |
| ٧٧ | لبنـــان ... ... ... ... ... ... | ١٠ |
| ٧٨ | ليبـــيريا ... ... ... ... ... ... | ٥ |
| ٧٩ | ليبـــيا ... ... ... ... ... ... | ٥ |
| ٨٠ | مالـــيزيا ... ... ... ... ... ... | ١٧ |
| ٨١ | مـــالى ... ... ... ... ... ... | ١٠ |
| ٨٢ | مالديب ... ... ... ... ... ... | ٦ |
| ٨٣ | مدغشقر ... ... ... ... ... ... | ٣ |
| ٨٤ | مصـــر ... ... ... ... ... ... | ١٢ |
| ٨٥ | المغـــرب ... ... ... ... ... ... | ١٥ |
| ٨٦ | المـــلاوى ... ... ... ... ... ... | ٥ |
| ٨٧ | موريتانيـــا ... ... ... ... ... ... | ١٢ |
| ٨٨ | موريشس ... ... ... ... ... ... | ٥ |
| ٨٩ | موزمبيـــق ... ... ... ... ... ... | ٥ |
| ٩٠ | نيبـــال ... ... ... ... ... ... | ٦ |
| ٩١ | النيجـــر ... ... ... ... ... ... | ٩ |
| ٩٢ | نيجـــيريا ... ... ... ... ... ... | ٣٥ |
| ٩٣ | نيوزلنـــدا ... ... ... ... ... ... | ٢ |
| ٩٤ | الهنـــد ... ... ... ... ... ... | ٢٤ |

| الرقم | البلد | العدد |
| --- | --- | --- |
| ٩٥ | هولانــده ... ... ... ... ... ... ... | ٢ |
| ٩٦ | هونج غونج ... ... ... ... ... ... | ٢ |
| ٩٧ | الولايات المتحدة ... ... ... ... ... ... | ٨ |
| ٩٨ | اليابــان ... ... ... ... ... ... ... | ٣ |
| ٩٩ | اليمــن ... ... ... ... ... ... ... | ٣٥ |
| ١٠٠ | يوغوسلافيا ... ... ... ... ... ... | ١٠ |
| ١٠١ | يوغنــده ... ... ... ... ... ... ... | ١٢ |
| ١٠٢ | اليونــان ... ... ... ... ... ... ... | ٤ |
| | ثمان وثلاثون منحة لبقية الأقليات الاسلاميــة التى لم تذكــر ... ... ... ... ... ... | ٣٨ |
| | المجمــوع ... ... ... ... ... ... | ١٠٠٠ منحــة |



# فهرست

| الصفحة | الموضوع | الكاتب |
| --- | --- | --- |


مؤسسة مكة للطباعة والإعلام